الهادي

إلى

رياض الفقه والفقهاء

تأليف

بنت المفتي مجيب الرحمن الديروي

على ضوء

ما أفاده الشيخ الوالد

راجعه

المفتي فضل ودود الشاهبوري

من منشورات

مكتبة الإمام أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني

تيمركره باكستان

ھدیۃ

للاخ الصالح مولانا نور اسلام کو ہدیہ

بندہ مجیب الرحمٰن

بندہ نور اسلام عفی عنہ کوچیہ تیمرگرہ ضلع دیر پاکستان

0342 9508326

Email : noor.islamjuimalakand@gmail.com

Fac : noor_islamjui

مفتی صاحب کے اجازت سے شائع کی ہے۔

اللہ تعالیٰ قبول فرمائیں۔

الهادي

إلى

رياض الفقه والفقهاء

تأليف

بنت المفتي مجيب الرحمن الديروي

على ضوء

ما أفاده الشيخ الوالد

راجعه

المفتي فضل ودود الشاهپوري

من منشورات
مكتبة الإمام أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني
تيمرگره پاكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

خطة العمل في التعليق والتهميش

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهجت في التهميش منهجا معينا يتمثل في النقاط التالية:

١) قمت بعزو الآيات الكريمة إلى سورها مبيِّنة أرقامها.

٢) خرّجت الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب من مصادرها، بذكر رقم الحديث أو الأثر فحسب، دون أن أتعرض لذكر الجزء والصفحة أو الباب. أخرّجه من صحيحي إمامي المحدثين -رحمهما الله-، أو من أحدهما، أو من أسفار السنة المعتمدة.

٣) وثّقت النقول عن العلماء والسلف الصالح بعزوها لمصادرها الأصلية، ولم أُلجأ للعزو بالواسطة؛ لتوفر المصادر -والحمد لله-، إلا في مواضع معدودة، وحذفت الواسطة؛ ثقة بها واختصارا.

ومنهجي في ذلك: أن عند إحالة نقل إلى مصدره أذكر اسم المصدر، مع ذكر الكتاب والباب أو القسم، وما فيه من العنوان إن كان، دون أن أتعرض لذكر الجزء أو الصفحة، أو معلومات عن الطبع والمحقق والبلدة الناشرة والدار الناشرة -كما هو المنهج الحديث للبحث والتحقيق-؛ تسهيلا على القارئين وتوفيرا للفائدة عليهم؛ فإن كثيرا ما يختلف ترقيم أجزاء طبعة وصفحاتها عن طبعة أخرى، ولا تتيسّر لكل أحد الطبعة التي أحيل عليها. وكذلك لم أذكر اسم المؤلف إلا عند ورود المصدر لأول مرة.

٤) تركت توثيق النقول في بعض الفصول، واكتفيت بإيراد أسماء المصادر في أواخر تلك الفصول، وذلك لأنها من جنس واحد تتصل بعضها ببعض في المصادر المأخوذ منها، ففي توثيق كل نقل وعزوه إلى مصدره مما يؤدي إلى نصب القارئ وضياع وقته الثمين، ويفضي إلى تضخيم زائد في وزن الكتاب ووزن عوضه.

٥) ترجمت لأغلب الأعلام الذين جاء ذكرهم في ثنايا الكتاب، باستثناء الأنبياء -صلوات

الله عليهم- والصحابة -رضوان الله عليهم-.

وذلك عند ورود العلم لأول مرة إلا في ما ندر، قصدا أو سهوا. واهتممت بأن آخذ ترجمة كل علم من مصادره المختصة به في كتب التاريخ والرجال والطبقات. وغالبا ما تكون الترجمة في سطرين أو ثلاثة، أضمّنها ما يلي:

أ- لقب العلم وكنيته.

ب- اسمه الثنائي أو الثلاثي.

ج- نسبته وضبطها بالحروف والحركات.

د- تخصصه.

هـ- مذهبه.

و- شيخ أو شيخان من شيوخه.

ز- فضله.

ح- كتاب من تأليفه.

ط- تاريخ وفاته.

هذا، وربما زدت أو نقصت حسبما اقتضاه المقام.

ثم عند الإحالة على المصدر أذكر اسم المصدر، فإن كان على ترتيب حروف التهجي لم أذكر بعده شيئا، وإن كان على ترتيب السنين والوفيات أو على ترتيب الطبقات ذكرت بعده رقم الترجمة بجَلْ.

واستثنيت الأنبياء -صلى الله تعالى عليهم- وكذلك الأصحاب -رضي الله تعالى عنهم-، أما الأنبياء -صلوات الله عليهم- فكيف يعرّف بهم ومعرفتهم من الإيمان؟ وكيف يعرّف بهم وقد عَرَفَتْهم السموات والأرضون، والإنس والجن، والشجر والحجر، والمدر والطيور، واللوح والقلم، والحل والحرم؟ وكيف يعرّف بهم والأقلام عاجزة عن التعريف بهم؟

فحسبنا أن نصلي عليهم عند ورود أسمائهم العطرة -اللّٰهُمَّ صل على سيدنا محمد، وعلى سائر لأنبياء، وعلى آلهم وأصحابهم وأتباعهم أجمعين-.

وأما الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- فلأن المسلم لا يجهل على الأقل اسم الصحابي وكنيته ....

علا أن نفسي لا تسمح بأن أعرف بصحابي نبينا -صلى الله عليه وسلم- في سطرين أو ثلاثة أو في صفحات، وإذاً لا تقنع نفسي ولا يغادرني قلمي إلا أن أذكر سيرته العطرة عن آخرها -زادنا الله تعالى حبا لهم وبغضا لباغضيهم-.

٦) رمزت لـ"راجع" أو "انظر": "ر"، ولـ"توفي" أو "المتوفى": "ت"؛ روما للاختصار.

٧) ذيَّلت الكتاب بإيراد قائمة المصادر والمراجع التي اقتبسنا منها في صلب الكتاب أو في الهامش. فذكرت اسم المصدر كاملا، ثم اسم مؤلفه تماما مع تاريخ وفاته.

٨) زيّنت التحقيق ببعض الفوائد والإيضاحات التي منّ الله تعالى بها علي أثناء التحقيق.

هذا مجمل منهجي، والله تعالى أسأل التوفيق والسداد.

بنت مجيب الرحمن الديروي

١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرع لنا من الدين ما وصى به الأنبياء، وجعل ورثتهم الفقهاء، الذين كأنهم من الفقه أنبياء، وأهّلهم لخشيته فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[١].

ورد أمر عباده في ما نزل بهم إلى المستنبطين منهم أهل الآراء، وأمرنا بالاقتداء بهم وهم أهل الرشد والاهتداء.

والصلاة والسلام على محمد قطب دائرة الاصطفاء، وحقيقة حقائق النبوة والاجتباء.

وعلى آله وصحبه الذين هم في الأرض كالنجوم في السماء[٢]، وعلى من سلك طريقتهم الغرآء، صلاة وسلاما دائمين إلى أبد الآباد من غير انتهاء.

وبعد:....

فهذا ما جمعت من إفادات والدي وشيخي مجيب الرحمن بن السيد ولي الله الديروي -جزاه الله تعالى خير ما جزى والدا عن ولده وشيخا عن تلميذه، وجعلني ممن يترسمون خطاه، وينسجون على منواله- ما يتعلق بالفقه والفقهاء، التي هي كالمقدمة لكتب الفقه عموما، ولكتاب "الهداية" للشيخ الإمام الأجل الزاهد برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني -رضي الله عنه- خصوصا. والتي بها يصير المتفقه على بصيرة في مجال الفقه والتفقه.

بعد أن أمر ونهى[٣]، ونصب لي في التأليف معالم أقف عندها، وحدّ حدودا لا أتجاوزها، وقد أضفتُ إلى ذلك بعض إضافات تتصل به وتنخرط في سلكه، ثم عرضتها على الشيخ الوالد فقررها.

وجعلته على عشرة فصول مسبوقة بتمهيد، ومتلوة بخاتمة، وضمّنت التمهيد والفصول

١- الفاطر: ٨٢.

٢- أي يهتدى بهم كما يهتدى بالنجوم، قال تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُوْنَ﴾ (النحل: ١٦). وقال -صلى الله عليه وسلم-: «أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم» (أورده في المشكاة برواية رزين، برقم: ٦٠١٨) وفي رواية أخرى: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» أخرجها مسلم برقم: ٦٤٦١.

٣- ومن معظم ما نهى عنه: التكلف في العبارة والصناعة.

مباحث، وقد تنبثق عن المباحث مطالب.

وسمتُه بـ"الهادي إلى رياض الفقه والفقهاء" -جعله الله تعالى اسما يوافق مسماه، ولفظا يطابق معناه-.

وجعلته تحفة مني مهدية إلى الشيخ الوالد متمثلة بقول القائل:

لا تُنكِرَنّ إذا أهديتُ نحوك منْ ... علومك الغُرّ أو آدابك الـنُتَفَا

فقيِّم الباغ قـد يُهدي لـمالكه ... بِرسم خدمته من باغه التُحَفَا

وقول الآخر:

لا تُنْكِرَنْ إهدائَنا لـك منطقا ... منك استفدنا حسنَه ونِظَامَه

فالله عز وجلّ يشكر فعل من ... يَتْلـو عـليه وَحْـيَه وكـتابَـه

علا أني بذلك لم أجازه معشار حقه.

هذا، وإن وقع مني تقصير في بعض الترتيب، أو شيء من حقوق التركيب فلما أن البشر محل الخطأ والنسيان، ولذلك سمي بإنسان[1]، وهما بالنص عنه موضوعان[2]، والجنان لا يساعد البنان في كل زمان، والبنان لا يوافق الجنان في كل بيان، ولا يخلو شيء من "لكن"، فقد قيل:

ما خطَّ كفُّ امرئ شيئا وراجعه ... إلا وعَـنَّ لـه تـبـديل مـا فيه

وقـال ذاك كـذا أولى وذاك كـذا ... وإن يكنْ هكذا تسمو معانيه

والمأمول ممن ينظر فيه أن يصلح ما يحتاج إلى الإصلاح؛ أداء لحق الأخوة بالنصح والانتصاح.

الله ربي أسأل أن يجعله لي ولأبي من الثلاث التي ينقطع عمل ابن آدم إذا مات إلا منها، وأن يوفقني وإياه لخدمة دينه القويم إلى أن يأتينا الموت ونحن على ذلك، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

١- في قول بعض أهل اللغة.

٢- فقال -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان» أخرجه ابن ماجة برقم: ٢٠٤٥.

التمهيد

وهو يتكون من عديد من المباحث:

المبحث الأول

في فضل العلم والتعلم والتعليم

فضل العلم لم يزل أمرا بديهيا، ما افتقر إلى دليل وبرهان، في كل عصر وزمان، فمن الذي لا يعلم فضل العلم وأهله؟

كيف وهو صفة الكبير المتعال، ومع ذلك قد تكاثرت الآيات والأخبار والآثار، وتواترت في شأن هذا الشأن وأهله، ونحن نذكر منها طرفا استحضارا وإحضارا، وتذكرا وتذكيرا.

اعلم أن فضل العلم لعظيم، وأن شرفه لعال رفيع، فكم من وضيع رفعه الله تعالى بالعلم إلى مصافّ الشرفاء، وكم من حقير نظمه العلم في سلك العلماء، به شرف آدم في الملأ الأعلى، وبه فاز أهله بالدرجات العلى.

فقد قال الله -عز من قائل-: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾[١].

وقال -جل وعلا-: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِيْ عِلْماً﴾[٢].

وقال -عز وجل -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٣].

وقال -سبحانه وتعالى شانه-: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤].

١- آل عمران : ١٨.

٢- طـه: ١١٤.

٣- الفاطر: ٢٨.

٤- الزمر: ٩.

وقال -جل جلاله-: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[١].

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم[٢]، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»[٣].

وروي عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مر بمجلسين في مسجده فقال: «كلاهما على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه. أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم ويعلِّمون الجاهل، فهم أفضل، وإنما بعثت معلما» قال: ثم جلس فيهم[٤].

ومن الآثار: قال علي -رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه-: "كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل عيبا أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه"[٥].

○ عن أبي الدرداء -رضي الله تعالى عنه- قال: "لأن أذكر الفقه ساعة أحب إلي من قيام

١- المجادلة: ١١.

٢- قال النجم الغزي -رحمه الله-: "قد ألهمني الله تعالى في وضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم، أن الملائكة رأت لطالب العلم والعالم عليها حقين، الأول: أنه ولد أستاذها ومعلمها -أعني آدم عليه السلام-، الثاني: أنه أراد الاقتداء بأبيه ومشابهته في التعلم والتعليم، فلذلك خصته بوضع الأجنحة له تواضعا زيادة على ما هي عليه من المودة والشفقة على سائر المؤمنين من بني آدم، كما تواضعت لأبيه بالسجود. وهذا من لطائف العلم". آه(حسن التنبه لما ورد في التشبه، باب التشبيه بالملائكة، تشبيه رقم: ٨٥) قلت: وهذا من لطائف ما منَّ الله تعالى به على الغزي -رحمه الله-.

٣- أخرجه الترمذي برقم: ٢٦٨٢، وأبو داود برقم: ٣٦٤١، وابن ماجة برقم: ٢٢٣.

٤- رواه الدارمي برقم: ٣٥٣.

٥- ربيع الأبرار وفصوص الأخبار للزمخشري: باب العلم والحكمة والأدب.

ليلة"[١].

○ ذكر في الخبر أن أهل البصرة اختلفوا، فقال بعضهم: العلم أفضل من المال، وقال بعضهم: المال أفضل من العلم. فبعثوا رسولا إلى ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-، فقال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-: العلم أفضل. فقال الرسول: إن سألوني عن الحجة ماذا أقول لهم؟ قال: "قل لهم: إن العلم ميراث الأنبياء، والمال ميراث الفراعنة، ولأن العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، ولأن العلم لا يعطيه الله إلا من يحبه، والمال يعطيه الله من أحبه ومن لا يحبه، بل يعطي من لا يحبه أكثر، ألا ترى إلى قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ الآية[٢]، ولأن العلم لا ينقص بالبذل والنفقة، والمال ينقص بالبذل والنفقة، ولأن صاحب المال إذا مات انقطع ذكره، وصاحب العلم إذا مات فذكره باق، ولأن صاحب المال ميت وصاحب العلم لا يموت، ولأن صاحب المال يُسأل عن كل درهم من أين اكتسبه؟ وأين أنفقه؟ وصاحب العلم له بكل حديث درجة"[٣].

○ أبو مسلم الخولاني[٤]: "العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء، إذا بدت للناس اهتدوا بها، وإذا خفيت عليهم تحيروا"[٥].

○ سهل بن عبد الله التُستري[٦]: "من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء،

١- أخرجه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" برقم: ٥٥.

٢- الزخرف:٣٣.

٣- تنبيه الغافلين للفقيه أبي الليث السمرقندي: باب فضل طلب العلم.

٤- هو أبو مسلم عبد الله بن ثُوَب الخولاني، فقيه زاهد تابعي جليل، أصله من اليمن، أسلم قبل وفات النبي -صلى الله عليه وسلم-. (ت: ٦٠أو ٦٢هـ) ر: حلية الأولياء وتذكرة الحفاظ.

٥- مقدمة المجموع شرح المهذب للنووي.

٦- هو أبو محمد الإمام المشهور المتكلم في علوم الإخلاص والرياضيات، جمع بين العلم والزهد، قيل: كان لا يأكل الطعام إلا في كل خمسة عشر يوما، صحب ذا النون المصري، له تفسير القرآن. (ت: ٢٢٣هـ) ر: المختار لابن الأثير وطبقات الصوفية.

فهم خلفاء الرسل في أممهم، ووارثوهم في علمهم، فمجالسهم مجالس خلافة النبوة"[١].

○ الحسن البصري -رحمه الله-[٢]: "موت العالم ثلمة في الإسلام، لا يسدها شيء ما اختلفت الليالي والأيام"[٣].

○ عنه أيضا: "لو لا العلماء لكانت الناس كالبهائم".

○ النووي في مقدمة "المجموع": "إنهم متفقون على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغالات بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن، ومن دلائله سوى ما سبق: أن نفع العلم يعم صاحبه والمسلمين، والنوافل المذكورة مختصة به، ولأن العلم مصحّح، فغيره من العبادات مفتقر إليه ولا ينعكس، ولأن العلماء ورثة الأنبياء ولا يوصف المتعبدون بذلك، ولأن العابد تابع للعالم مقتد به مقلد له في عبادته وغيرها واجب عليه طاعته ولا ينعكس، ولأن العلم تبقى فائدته وأثره بعد صاحبه والنوافل تنقطع بموت صاحبها[٤] ،ولأن العلم صفة الله -تعالى شأنه-، ولأن العلم فرض كفاية -أعني العلم الذي كلا منا فيه- فكان أفضل من النافلة". آه

ومن عيون ما أنشدوه في فضل العلم قول أبي الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي[٥]:

العـلم كنز وذخر لا نـفـاد لـه ... نعم القرين إذا ما صاحب صُحِبا

قد يجمع المرء مالا ثـم يُـحـرَمُه ... عـما قليل فيلقى الـذل والحربـا

١- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي: أثر رقم: ١٣٦.

٢- هو الحسن بن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، تابعي إمام أهل البصرة، كان رأسا في العلم والحديث والزهد، إماما مجتهدا صاحب مذهب، روى له الجماعة. (ت: ١١٠هـ)

٣- تنبيه الغافلين: باب فضل مجالس أهل العلم.

٤- قلت: المعنى فيه أن ما كان أعم خيرا ونفعا أفضل من الخير القاصر على المرء نفسه. قال الإمام السرخسي -رضي الله عنه- في كتاب الكسب: "ما كان أعم نفعا فهو أفضل؛ لقوله -عليه السلام-: «خير الناس من ينفع الناس» ولهذا كان الاشتغال بطلب العلم أفضل من التفرغ للعبادة؛ لأن منفعة ذلك أعم". آه

٥- هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني، تابعي واضع علم النحو، كان معدودا من الفقهاء والأعيان والشعراء. (ت: ٦٩هـ) ر: وفيات الأعيان وخزانة الأدب.

وجامع العلم مغبوط به أبدا ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه لا تعدلن به درا ولا ذهبا[١]

وقال آخر:

إن الملوك ليحكمون على الورى وعلى الملوك لتحكم العلماء[٢]

وقال آخر:

العلم ينهض بالخسيس إلى العلى والجهل يقعد بالفتى المنسوب[٣]

حقيقة العلم الذي هو منبع هذه الخيرات:

لتعلم أن ما ذكر من فضائل العلم إنما تناط بالعلم الذي جاء من الله العليم الخبير إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- من علوم الكتاب، وعلوم السنة، وما استنبط منهما.

وكذلك العلوم التي هي ذرائع موصلة إلى معرفة تلك العلوم من علم النحو، والاشتقاق، والمعاني وغير ذلك مقصودة لتلك العلوم، فتدخل فيها فضلا وأجرا وطلبا.

وأما ما عدا ذلك من الفنون فهي صناعات وحرف، وذرائع اكتساب المال، لا صلة لها بتلك الفضائل العالية وإن كانت مطلوبة في نفسها للحاجة والضرورة، لا سيما إذا حسنت نية الكاسب، فإن «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»[٤].

١- الأبيات أوردها الخطيب في "الفقيه والمتفقه" برقم: ١٨٢.

٢- لم أهتد لقائله.

٣- البيت أورده في "المجالسة وجواهر العلم" من إنشاد الصلت بن مسعود، جوهرة رقم: ٢٥٦٣.

٤- أخرجه الترمذي حديث رقم: ١٢٠٩، وابن ماجة: ٢١٣٩، واللفظ للترمذي.

المبحث الثاني

في وجوب تعظيم أهل العلم والتحذير من تحقيرهم وإيذائهم

قال الله -عز من قائل-: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[١] وقال -جل وعلا-: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[٢].

وفي "صحيح" الإمام محمد البخاري -رحمه الله- عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»[٣][٤].

ذكر شارح الحديث النووي في كتاب "التبيان في آداب حملة القرآن": "قال الإمامان الجليلان: أبو حنيفة والشافعي -رضي الله عنهما-: "إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي".

١- الحج: ٣٢.

٢- الحج: ٣٠.

٣- أخرجه البخاري برقم:٦١٣٧.

٤- الحكمة في إخفاء الولي:

الحكمة في إخفاء الله -عز وجل- وليَّه من بين الناس -وإن كان المؤمنون كلهم أولياء الرحمن والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى- على ما ذكره صاحب "الانتصار للأولياء الأخيار" الشيخ يوسف الموصلي نقلاً عن الشيخ أحمد الأعرج: "ليعظموا الكل كما أخفى الله تعالى الاسم الأعظم ليعظموا كل الأسماء، والصلاة الوسطى ليحافظوا على كل صلاة، وساعة الإجابة في الجمعة ليداوموا على الدعاء في كل الجمعة، وليلة القدر ليحيي من يريدها ليالي كثيرة، ورضاه في الطاعة ليرغبوا في الكل، وغضبه في المعاصي ليتجردوا عن الكل، ووقت الموت ليكون المكلف على احتياط في جميع الأوقات". آه

قلت: وشيء أخر حسن ظفرت به في كتب السادة الصوفية -سلك الله تعالى بنا طريقهم- وهو أن الأولياء لو كانوا ظاهرين موسومين بسيماء يعرفون به، وقصد إيذاءه أحد لكان قد بارز الحق تعالى بالمحاربة فأهلكه الله تعالى، فكان في إخفائهم شفقة على الخلق، فإياك إياك أن تحقر مسلما من أية طبقة كان فيحيق بك تحقيرك إياه فتردى.

قلت: وأما العلماء العاملون بعلمهم هم أولياء الله تعالى حقا -كما نطق بذلك الإمامان الجليلان رضي الله عنهما- ونقله عنهما كذلك النجم الغزي في كتابه "منبر التوحيد"، ولعل ذلك لأن العلماء خلفاء الرسول -صلى الله عليه وسلم- وورثته، وهو -صلى الله عليه وسلم- صاحب الولاية العظمى فتكون الولاية لخلفائه أيضا وإن كان العلماء فيها على درجات. والله تعالى أعلم.

ونقل صاحب "بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام" عن مالك بن دينار[١] قال: "من آذى طالب العلم لعنتْه الملائكة، ويَلقى الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان، ومن أعانه ولو بدرهم بشرته الملائكة عند قبض روحه بالجنة، وفتح الله له بابا من النور". آه

وذلك لأن العالم والمتعلم من شعائر الدين، وتعظيمها يوجب رضاء الله تعالى، فتحقيرها يوجب سخطه -جل وعلا-. وقال مالك -رحمه الله-: "عليكم بمعرفة حق أهل العلم والتماس برهم، وواجب عليكم أن لا تمروا بقرية فيها عالم إلا أتيتموها فتسألون عنه وتنالون منه".

وقال الإمام أبو القاسم ابن عساكر -رحمه الله-[٢]: "اعلم يا أخي -وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه- أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله تعالى في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلْب[٣] ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾"[٤][٥].

وفي "الانتصار للأولياء الأخيار" عن الشيخ أبي عبد الله القرشي -رحمه الله- قال: "من بغض وليا لله تعالى ضُرِب في قلبه بسهم مسموم، ولم يمت حتى تفسد عقيدته، ويخاف عليه من سوء الخاتمة"[٦]. آه

ولقد تكررت من الواقعات ما يصدق هذا في مختلف الأعصار، فنسأل الله تعالى أن يصوننا من الطعن والقدح في العلماء الأولياء.

١- أبو يحي البصري من أعيان رواة الحديث، جمع بين العلم والعمل والورع، توفي بالبصرة سنة: ١٣١هـ، ر: المختار من مناقب الأخيار، وتهذيب التهذيب.

٢- هو علي بن أبي محمد بن هبة الله، المعروف بابن عساكر الدمشقي الشافعي الملقب بـ"ثقة الدين"، محدث، فقيه، رحالة، مؤرخ، صاحب التصانيف الجمة، منها: تاريخ دمشق الكبير، وبه اشتهر. (ت: ٥٧١هـ) ر: شذرات الذهب، وطبقات الشافعية.

٣- بفتح الثاء المثلثة وإسكان اللام: العيب.

٤- النور: ٦٣.

٥- التبيان في آداب حملة القرآن للنووي: الباب الثالث في إكرام أهل القرآن.

٦- الانتصار: الباب الرابع.

المبحث الثالث

في الإخلاص لله تعالى في طلب العلم والحث على العمل به والتحذير من طلبه لغرض الدنيا

اعلم أن جميع ما ذكرنا من فضل العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين، الأبرار المتقين، الذين قصدوا وجه الله الكريم، والزلفى لديه في جنات النعيم. دون من طلبه بسوء نية وخبث طوية، أو لأغراض دنيوية أخرى من مال أو جاه، أو مكاثرة أو مفاخرة في الأتباع والأصحاب.

ولما كان العلم أفضل الأعمال بعد الإيمان[١] كان طلبه لغير الله تعالى من أكبر الذنوب والمعاصي بعد الكفر بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوْا الْكِتَابَ يَأْخُذُون عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُوْلُوْنَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾[٣] وقال تعالى:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٤] وقال -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٥].

وقد روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى،

١- ولأجل هذا أورد أكثر المصنفين كتاب العلم بعد كتاب الإيمان، وذلك لأن الغاية من خلق الإنس والجن إنما هي العبادة لله تعالى، وهي لاتستتب بدون العلم.

٢- البينة: ٥.

٣- الأعراف: ١٦٩.

٤- الأعراف: ١٧٥، ونزلت الآية في بلعم بن باعور من بني إسرائيل، آتاه الله تعالى اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستحب السكون إلى الدنيا ولذاتها واتباع الهوى والشيطان، فاستوجب من الله تعالى تغيير النعم بالانسلاخ عنها. قاله المفسرون.

٥- الصف: ٢-٣.

فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[١].

ـــ وقال -صلى الله عليه وسلم- في حديث طويل: «ورجل تعلم العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلّمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ...... »[٢].

ـــ عنه -صلى الله عليه وسلم-: « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه[٣] في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: يا فلان ما شأنك؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[٤].

ـــ عنه-صلى الله عليه وسلم-: «من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار»[٥]

ـــ ذكر في الإحياء عن عيسى -صلوات الله عليه- أنه قال: «مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت، فظهر حملها فافتضحت، فكذلك من لا يعمل بعلمه

١- أخرجه البخاري برقم: ١، ومسلم برقم: ٤٩٠٤. فالهجرة على حد واحد في الفعل وإنما كانت هذه لله تعالى وهذه لغير الله تعالى على ما انطوت عليه الجوارح الباطنة وهي النية، فقال الإمام مالك: "ألا ترى أن الساجد لله تعالى، والساجد للصنم في صورة واحدة، وإنما كانت هذه عبادة وهذه كفرا بالنية". انتهى (المدخل) ولهذا شرطت النية في العبادات والقربات.

٢- أخرجه مسلم برقم: ٤٩٢٣.

٣- قال الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب": "الأقتاب: الأمعاء، واحده قِتب، بكسر القاف وسكون التاء. تندلق: أي تخرج".

٤- أخرجه البخاري برقم: ٣٢٦٧. ومسلم برقم: ٧٤٠٨-٤٧٠٩.

٥- أخرجه الترمذي برقم: ٢٦٥٤، وابن ماجة برقم:٢٥٣.

يفضحه الله تعالى يوم القيامة»[١].

ـ عن عيسى -عليه السلام- أيضا: «ما ذا يغني عن الأعمى حمل السراج ويستغني به غيره، وما ذا يغني عن البيت المظلم أن يكون السراج على ظهره، وما ذا يغني عنكم أن تتكلموا بالحكمة ولم تعملوا بها»[٢].

ـ نقل أبو طالب المكي في "قوت القلوب": "أن رجلا كان يخدم موسى -على نبينا وعليه الصلاة والسلام- فجعل يقول: حدثني موسى صفي الله، حدثني موسى نجي الله، حدثني موسى كليم الله، حتى أثرى وكثر ماله، ففقده موسى فجعل يسأل عنه فلا يحس له أثراً حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير، وفي عنقه حبل أسود، فقال له موسى -عليه السلام-: أتعرف فلاناً؟ قال الرجل: نعم هو ذا الخنزير،[٣] فقال موسى -عليه السلام-: يا رب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى! لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكني أخبرك لم صنعت هذا به، لأنه كان يطلب الدنيا بالدين"[٤].

قال مالك -رضي الله عنه- في "المستخرجة من الأسمعة": "إنما الناس في العلم أربعة: فرجل علم علما فعمل به وعلّمه، فمثله في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٥]، ورجل علم علما فعمل به ولم يعلّمه، فمثله من كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[٦]، ورجل علم علما فعلّمه وأمر به ولم يعمل به، فمثله في كتاب الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٧]، ورجل لم يعلم

١- إحياء علوم الدين للغزالي: كتاب العلم، الباب السادس في أفات العلم.

٢- بستان الفقراء ونزهة القراء، للعماد الكتامي: الباب الثاني، يذكر فيه آفة العلم.

٣- العافية اللّهُمَّ العافية، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى.

٤- قوت القلوب: باب ذكر الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الأخرة.

٥- الفاطر:٢٨.

٦- البقرة: ١٥٨.

٧- البقرة: ٤٣.

علما ولم يعمل به،فمثله في كتاب الله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾"[١][٢].

ـ مالك في "المستخرجة" أيضا: "سأل عبد الله بن سلام كعبَ الأحبار[٣]: مَن أرباب العلم الذين هم أهله؟ قال: هم الذين يعملون بما يعلمون. قال: صدقت. قال: فما نفاه من صدورهم بعد أن علموا؟ قال: الطمع. قال: صدقت"[٤].

ـ يقال: " أشد الحسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل له مملوك صالح يدخل الجنة، ومولاه يدخل النار، ورجل جمع المال ومنع منه حقوق الله تعالى، فيموت فينفق منه ورثته في طاعة الله تعالى، فينجون به، والذي جمعه في النار، ورجل عالم سوء يحدث الناس، ينجو الناس بعلمه، وهو يصير إلى النار"[٥].

ـ ذكر الطرنياطي في "بلوغ أقصى المرام" قال: قال أبو العباس القلشاني[٦] في شرح "الرسالة" لابن أبي زيد القيرواني -رحمه الله-: "وحيثما ورد تعظيم العلم في كتاب الله تعالى، أو سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فالمراد منه العلم النافع الذي هو مطلوب إليه الخشية، وشاهد الخشية موافقة الأمر، وأما العالم تكون منه الرغبة في الدنيا والتملق لأهلها، وصرف الهمة لاكتسابها، والجمع، والادخار، والمباهاة، والاستكثار، وقصد التصدر والرئاسة، ومغالبة الأقران والمنافسة، وقسوة القلب، والوقوع في ما يسخط الرب، ونسيان الآخرة، فما أبعد مَن هذه صفته من أن يكون من العلماء ورثة الأنبياء، وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كانت

١- الأعراف:١٧٩.

٢- البيان والتحصيل لابن رشد، كتاب الجامع التاسع، والسماع لعيسى بن دينار عن ابن القاسم عن مالك -رضي الله عنهم-.

٣- هو أبو إسحاق كعب بن مانع بن حمير من آل ذي رعين، أدرك زمن النبي -صلي الله عليه وسلم- ولم يره، وأسلم في زمن عمر -رضي الله عنه- روى عن عمر وعائشة وغيرهما، مات بحمص سنة ٣٢هـ. ر: المختار، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الإسلام، ترجمة رقم: ١٧٦.

٤- البيان والتحصيل، كتاب الجامع السابع.

٥- تنبيه الغافلين: باب العمل بالعلم.

٦- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني المالكي القاضي الإمام الفقيه، له شرح على "الرسالة" و"ابن الحاجب". (ت: ٨٦٣هـ)ر: "شجرة النور الزكية".

بها عند موت المورث[1]، ومثل مَن هذه صفته كالشمعة تضيء على غيرها وتحرق نفسها، فقد جعل الله تعالى العلم الذي علمه من هذا وصفُه حجةً عليه، وستأتي عقوبةً لديه، ولا يغرنك أن يكون به انتفاع للبادي والحاضر، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[2] ومثال من يتعلم العلم لاكتساب الدنيا كمثل من رفع العذرة بملعقة من ياقوت، فما أشرف الوسيلة وما أخس المتوسل إليه!! ومثل من قطع الأوقات في طلب العلم، فمكث أربعين سنة أو خمسين يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قطع هذه المدة ليتطهر، ويجدد الطهارة، ولم يصل واحدة، إذا المقصود من العلم العمل، كما أن المقصود من الطهارة الصلاة". انتهى[3]

ـــ ابن الحاج في "المدخل": "ولا يخفى على ذي بصيرة أن الغالب من ذلك راجع إلى الدنيا صرفا، يقعد أحدنا يتعلم العلم ويبحث فيه، ثم يطلب ما هو معلوم في الوقت: من طلب المناصب به والرئاسات ومحبة الظهور والرفعة به على أبناء جنسه ...... قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4]، فجعل العلماء في ثاني درجة من ملائكته، وفي ثالث مرتبة منه سبحانه وتعالى -أعني في الشهادة- فانظر إلى هذا المنصب العظيم والسعادة العظيمة كيف وقع ونزل به هذا الناقد[5] المسكين المتشبه بالعلماء، الدخيل فيهم، تَسمى باسم لم يستحقه فنزل به إلى أسفل سافلين، لكن -العلم والحمد لله- لم ينزل، وإنما نزل نفسه وبخسها حظها ...... و كان سيدي أبو محمد -رحمه الله- إذا ذكر له واحد من علماء وقته ممن ينسب إلى طرف مما ذكر، ويثنى عليه إذ ذاك بفضيلة العلم، يقول: ناقل ناقل، خوفا منه -رحمه الله- على منصب العلم أن ينسب إلى غير أهله، وخوفا من أن يكون ذلك كذبا أيضا؛ لأن الناقل ليس بعالم في الحقيقة، وإنما هو صانع من الصناع كالخياط

١- لعل الصحيح: عند المورث.

٢- أخرجه البخاري برقم: ٣٠٦٢، ومسلم برقم: ٣٠١.

٣- بلوغ أقصى المرام: الباب الثالث.

٤- آل عمران: ١٨.

٥- لعل الصحيح: هذا الناقل. والله أعلم.

والحداد والقصار، هذا إذا كان نقله على وجهه في الصحة والأمانة، وإلا كان دجالا فيستعاذ منه"[١].آه[٢]

فليعتبر بما ذكرناه أرباب الأبصار، وليسلِّموا أحكام الواحد القهار، لعلهم بذلك يهتدون إلى منهج التحقيق، حين يضل غيرهم عن سواء الطريق، ومن الله تعالى التوفيق.

١- المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات: الفصل الأول.

٢- ذكر الغزي في "حسن التنبه" في النهي عن التشبه بالمنافقين عن بعض السلف: "طلب الدنيا بالدف والمزمار أهون من طلبها بعمل الآخرة". آه قلت: ورأيت في بعض كتب الشافعية:

فعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عابد الوثن

وكل من بغير علم يعمل أعماله مردودة لا تقبل

وذلك لأن العالم عصى عن علم، وعابد الوثن غير عالم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] لأنهم جحدوا بعد العلم.

المبحث الرابع

في آداب المعلم

إن للمعلم درجة رفيعة ومنزلة سامية شريفة، كما اتضح مما سبق، وتزداد درجته رفعة، ومنزلته سُمُوّا إذا هو تحلى بالآداب الرفيعة، وتجمل بالخصال الحميدة، بعد أن يكون قد تنزه عن كل ما يخل بمقامه الشريف، ويحط من قدره العالي، وها نحن نذكر لك من ذلك طرفا صالحا، إلا أن قبل الخوض في ذلك يحسن ذكر شيء من أقوال الأئمة الأعلام في أخذ الأدب في طريق التعليم والتعلم.

فإن الأدب من أهم ما يبادر به اللبيب شرخ شبابه، ويدئب نفسه في تحصيله واكتسابه، الذي شهد الشرع الشريف والعقل بفضله، واتفقت الآراء والألسنة على أن أحق الناس بهذه المرتبة الجليلة أهل العلم، وارثو الأنبياء -صلوات الله تعالى عليهم-.

ـــ قال ابن سيرين[١] -رحمه الله-: "كانوا يتعلمون الهدي، كما يتعلمون العلم".

ـــ الحسن البصري -رحمه الله-: "إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنين"[٢].

ـــ محمد بن الحسن عن أبي حنيفة -رضي الله تعالى عنهما- قال: "الحكايات عن العلماء أحب إلي من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم".

ـــ حبيب بن الشهيد[٣] لابنه: " يا بني اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم، فإن ذلك أحب إلي من كثير من الحديث".

ـــ مخلد بن الحسين[٤] لابن المبارك: "نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث".

١- هو أبو بكر بن محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. روى عنه كثير من الأئمة. (ت: ١١٠هـ) ر: طبقات ابن سعد، ووفيات الأعيان.

٢- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم: أول الكتاب.

٣- هو أبو مرزوق حبيب بن شهيد التجيبي المصري، كان فقيها بأنطابلس. (ت: ١٠٩هـ) ر: تهذيب الكمال.

٤- الأزدي، روى عنه ابن المبارك، وهو من أقرانه، قال العجلي: ثقة رجل صالح من عقلاء الرجال. (ت: ١٩١هـ) ر: تهذيب الكمال.

ــ قيل للشافعي -رضي الله تعالى عنه-: كيف شهوتك للأدب؟ فقال: "أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه، فتود أعضائي أن لها أسماعا فتنعم به". قيل: وكيف طلبك له؟ قال: "طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره"[١].

ــ قيل: "الأدب ينوب عن الحسب، ولا ينفع حسب بلا أدب"[٢].

هذا وإن للمعلم آدابا متعددة الوجوه، فلنذكرها:

أولا: آداب المعلم في نفسه

١) يجب على المعلم أن يخلص نيته ويقصد بتعليمه وجه الله الكريم، ولا يتوسل به إلى غرض دنيوي مما عددناه من قبل من الحظوظ المذمومة، ولا يشين علمه وتعليمه بشيء من ذلك.

٢) أن يجتنب دعوى العلم، قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِيْ عِلْمٍ عَلِيْمٌ﴾[٣].

قال في بلوغ أقصى المرام: "قال الشيخ زروق المالكي[٤] في بعض وصاياه ما نصه: "إياكم والدعوى، أو يقول: إني عالم، أو أنا خير منك، أو أقرأ منك؛ فإنه هلك لهذه الكلمة ثلاثة: أول من قالها إبليس اللعين فهلك، قال الله تعالى حاكيا عنه: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٥] والثاني: فرعون الخصيم، قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[٦] والثالث: قارون، قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾[٧] آهـ

١- القولان كلاهما في أوائل "تذكرة السامع".

٢- غرر الخصائص الواضحة لجمال الدين الوطواط: الباب الخامس، الفصل الأول.

٣- يوسف: ٧٦.

٤- هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الشهير بزروق الفاسي، جمع بين الشريعة والحقيقة واشتهر بطريقته الصوفية المنسوبة إلى اسمه، له: شرح مختصر خليل وغيره. (ت: ٨٩٩هـ) ر: نيل الابتهاج. قلت: قال في حاشية العدوي: قال الشيخ زروق: وإنما جاءني زروق من جهة الجد، كان أزرق العينين، واكتسب ذلك من أمه.

٥- الأعراف: ١١.

٦- النازعات: ٢٤.

٧- القصص: ٧٨.

وقال الشعبي -رحمه الله-: "العلم ثلاثة أشبار: فمن نال منه شبرا شمخ بأنفه، وظن أنه ناله، ومن نال الشبر الثاني صغرت إليه نفسه، وعلم أنه لم ينله[١]، وأما الشبر الثالث فهيهات لا يناله أحد أبدا"[٢].

٣) أن يكثر من قول "لا أدري"، فإن إمام دار الهجرة كان كثيرا ما يقول: لا أدري، وقد سئل مرة عن نيف وثلاثين مسألة، فأجاب عن أربع، وقال في الباقي: لا أدري، فما بال حثالة أمثالنا. وكان يقال: جنة العالم: "لا أدري"، فإذا أخطأها أصيبت مقاتله.

ونقل القرافي[٣] في "الذخيرة" عن بعض الفضلاء: " إذا قلت لا أدري عُلِّمت حتى تدري، وإن قلت: أدري، سئلت حتى لا تدري، فصار حينئذ لا أدري وسيلة إلى العلم، وأدري وسيلة للجهل"[٤].

٤) أن لا يستنكف الاستفادة في ما لا يعلم ممن هو دونه منصبا أو نسبا أو سنّا، بل يكون حريصا على الاستفادة حيث كانت، فإن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها، فقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «منهومان لا يشبعان ، منهوم في العلم لا يشبع منه ، ومنهوم في

١- قال الشيخ الوالد في درس "المبسوط": مهما ترقى المرء في العلم تنزل ظنه بنفسه، وتعاكس الأمران: العلم والظن، معناه: ظن المرء أنه لم ينل من هذا البحر المواج قطرة وعلمه يزداد بما ينضم إليه من مُحدَث العلم. قلت: عن الحقيقة كشف له الغطاء، فإن المرء مهما ازداد علما ومعرفة بالله تعالى ازداد خشية له، لا أنه بازدياد العلم يأمن مكره تعالى، ولذلك يكون الأنبياء أخشى الناس وأتقاهم لله تعالى، وهكذا الأمثل فالأمثل. والله تعالى أعلم.

٢- أدب الدنيا والدين: فصل ما يجب أن تكون عليه أخلاق العلماء.

٣- هو أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن شهاب الدين القرافي المصري فقيه أصولي، وأحد أعلام المالكية، تلمذ للعز بن عبد السلام الشافعي، له: الذخيرة والفروق وغيرهما. (ت: ٦٨٤هـ) ر: الديباج المذهب.

٤- نقل صاحب بلوغ أقصى المرام عن الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي، صاحب "فصوص الحكم" (ت: ٦٣٨هـ) أنه ذكر عن نفسه أنه كان راكبا يوما في السفينة في البحر المحيط، فهاجت الريح، فقال: أسكن يابحر فإن عليك بحرا من العلم، فطلعت له هائشة من البحر، وقالت له: قد سمعناك قولك، فما تقول في ما إذا مسخ زوج المرأة، هل تعتد عدة الأحياء أم الأموات؟ فما درى الشيخ ما يقول! فقالت له الهائشة: تجعلني شيخة لك وأعلمك الجواب. قال: نعم. فقالت: إن مسخ حيوانا اعتدت عدة الأحياء، وإن مسخ جمادا اعتدت عدة الأموات". آهـ(الفصل الرابع في آداب المعلمين)

الدنيا لا يشبع منها»[1]

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "ولا يستويان، أما صاحب العلم فيزداد رضا للرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان"[2].

وقال سعيد بن جبير: "لايزال الرجل عالما ما تعلم، فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغني واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون".

وقال ابن جماعة الكناني في "التذكرة": "وكان جماعة من السلف يستفيدون من طلبتهم ما ليس عندهم. قال أحمد بن حنبل: قال لنا الشافعي -رضي الله تعالى عنهما-: "أنتم أعلم بالحديث مني فإذا صح عندكم الحديث فقولوا لنا حتى آخذ به". آهـ

وأبلغ من هذا قراءة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أبي -رضي الله عنه-، وقال: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا﴾» [3][4].

٥) أن يصون العلم كما صانه العلماء السلف، ويقوم بما جعل الله تعالى له من العزة والشرف، فلا يجعله سُلّما يتوصل به إلى الأغراض التافهة كما مر من الوعيد الشديد في ذلك، ولا يذله بذهابه إلى غير أهله من أبناء الدنيا الدنية، من غير ضرورة أو حاجة داعية.

قال الزهري: "هوان بالعلم أن يحمله العالم إلى بيت المتعلم".

وقال الفضيل[5]: "لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم، ورعوا للعلم حقه، وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله تعالى، إذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة، وانقادت لهم جميع الناس، وكانوا لهم بمنزلة

١- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ١٠٢٧٩، والدرامي برقم: ٣٣٦.

٢- أخرجه الدارمي برقم: ٣٣٧.

٣- يعني سورة البينة.

٤- أخرجه البخاري برقم: ٤٩٦٠، ومسلم برقم: ٧٩٩.

٥- هو ابن عياض التميمي المروزي الزاهد، أبو علي الزهير، شيخ الحجاز وأحد العلماء الأعلام، أخذ عنه خلق كثير منهم الإمام الشافعي، أصله من خراسان، روى له الجماعة إلا ابن ماجة. (ت: ١٨٧هـ) ر: شذرات الذهب. قلت: ومع جلالته هو تلميذ لأبي حنيفة، وروى عنه الشافعي، فأخذ عن الإمام الأعظم وأخذ عنه الإمام العظيم وهو إمام عظيم -رضي الله عن الجميع-.

الأنبياء، ولكنهم حطوا أنفسهم لأبناء الدنيا فهانوا وذلوا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، أعظِم بها مصيبة!"[١].

وللقاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهان ودنّسوا محياه بالأطماع حتى تجهما[٢] [٣]

فإن دعت إلى ذلك ضرورة، أو اقتضته مصلحة دينية راجحة على مفسدة، وحسنت فيه نية صالحة، فلا بأس به إن شاء الله تعالى، وعلى هذا يحمل ما جاء عن بعض السلف من المشي إلى الملوك وولاة الأمر، لا على أنهم أرادوا بذلك الحظوظ المذمومة الدنيوية.

٦) أن يتخلق بالوفاء بأمانة العلم، فلا يعطيه غير أهله، ولا يمنعه عن أهله.

فعن أنس -رضي الله عنه-: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب»[٤].

وقد قيل: "تعليم العلم لأهل الشر كبائع السيف من قاطع الطريق".

ولأجل هذا قال ابن عباد[٥] في شرح "الحكم العطائية": "وعلى المعلم أن يتفقد أحوال من يتعلم منه، فلا يبذل علمه إلا لمن يتوسم فيه الخير والصلاح".

١- المستظرف في كل فن مستطرف: ٣٣/١.

٢- محياه: وجهه. تجهما: صار جهما، وهو كريه المنظر. وكأن المعنى: دنسوا وجه العلم بالأطماع فصار كريه المنظر.

٣- البيتان من قصيدة للجرجاني دوارة في كتب القوم لا نظير لها، مطلعها:

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

أوردها الثعالبي في "يتيمة الدهر": الباب التاسع: شعراء وكتاب جرجان وطبرستان، والماوردي في "أدب الدنيا والدين": فصل في أخلاق العلماء، والسبكي في "طبقاته": في ترجمة الجرجاني.

٤- أخرجه ابن ماجة برقم: ٢٢٤.

٥- هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله الحميري المعروف بابن عباد الرندي، زاهد متصوف، من أهل رندة بالأندلس استقر بفاس، له: "غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية" الذي اقتبسنا منه. (ت: ٧٩٢هـ) ر: نفح الطيب.

ثم قال: "وقوله تعالى ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[١] تنبيه على أن حفظ العلم ممن يفسده ويسيطر به أولى وأحرى"[٢].آهـ

وقال الشافعي -رضي الله عنه-:

أأنثر درا بين سارحة النعم وأنظم ياقوتا لراعية الغنم[٣]

٧) أن يجتنب الإكثار من الضحك والمزاح، لا سيما عند التذاكر في العلم، ففي الخبر: «كثرة الضحك تميت القلب»[٤].

---

(١) النساء: ٥.

(٢) غيث المواهب العلية لابن عباد، في شرح حكمة رقم: ٢٢٨، وهو قوله: "العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك".

(٣) ديوان الشافعي: قافية الميم.

(٤) أخرجه الترمذي برقم: ٢٣٠٥، وابن ماجة برقم: ٤٢١٧.

ثانيا: آداب المعلم نحو تلاميذه

اعلم أن المتعلم لا يؤثر فيه إلا المعلم الذي يرفق به، ويشفق عليه ويحبه ويفرح بتعلمه، ويكلف نفسه كل مشقة في سبيل رعاية مصالحه وتهذيب أخلاقه وإرشاده إلى ما ينفعه.

وذلك كله من شواهد حب المعلم المتعلم، وعنوان نجاحه، والمتعلم الصالح أعْود على العالم بخير الدنيا والآخرة، من أعز الناس وأقرب أهله إليه، فهو صدقة جارية منه، ووسيلة قوية إلى الله -سبحانه وتعالى- إذا أخلص. من أجل ذلك تتوجه على المعلم حقوق وواجبات نحو من يتعلم منه، وهي:

١- أن لا يمتنع من تعليمه لعدم خلوص نيته، فإن حسن النية مرجو له ببركة العلم[١]، قال بعض السلف: "طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله". قال النووي -رحمه الله-: "معناه: كان عاقبته أن صار لله تعالى".

وقال ابن جماعة: "لأن إخلاص النية لو شرط في تعليم المبتدئين مع عسره على كثير منهم لأدّى ذلك إلى تفويت العلم كثيرا من الناس لكن الشيخ يُحرِّض المبتدئ على حسن النية بتدريج، قولا وفعلا...."[٢].

٢- أن يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، كما جاء في الخبر، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "أكرم الناس علي جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إلي، لو استطعت أن لا يقع الذباب عليه لفعلت". وفي رواية: "إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني"[٣].

ويعتني بمصالحه، ويعامله بما يعامل به أعز أولاده من الحنان والشفقة عليه، والإحسان إليه، والصبر على جفاء ربما وقع منه ما لا يكاد يخلو الإنسان عنه، من سوء الأدب في بعض

١- ذكر ابن مفلح في "الآداب الشرعية" عن سفيان الثوري -رحمه الله- أنه قال: "طلبهم للعلم نية" (فصل في طلب العلم وما يبدأ فيه).

٢- تذكرة السامع والمتكلم: الباب الثاني، الفصل الثالث.

٣- أخرجه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" برقم: ٨٩٢-٨٩٣.

الأوقات ونحو ذلك، ففي وصية أبي حنيفة لأبي يوسف -رضي الله عنهما-: "وإن بقيت عشر سنين بلا كسب ولا قوت فلا تُعرِض عن العلم، فإنك إذا أعرضت عنه كانت معيشتك ضنكا، وأقبل على متفقهيك كأنك اتخذت كل واحد منهم ابنا، لتزيدهم رغبة في العلم"[١]. آه

ولا يدعو عليه فإن دعائه عليه يُجْحِف به عسى، فيقعد ملوما مخذولا، وهذا لأن دعاء الشيخ على التلميذ قلما يرد كدعائه له، وكدعاء الوالد على الولد وللولد[٢].

٣- أن يكثر من الدعاء له، كما يدعو لنفسه وأبويه[٣].

قال والدي الشيخ -لازال مرجع المسلمين-: إني لأدعو لأصحابي فأقول: "اللّٰهُمَّ اجعل الإخلاص والإحسان والصلاح والسداد والعلم والفقه في أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة".

وقال: إني لأتوسم فيهم مخايل الخير والنبوغ، وأرجو أنه سيكون لهم شأن عظيم في الفقه فيما يستقبل إن شاء الله تعالى.

٤- أن يرغبه في العلم وطلبه أحيانا بذكر ما أعد الله تعالى للعلماء، من منازل الكرامة، وأنهم ورثة الأنبياء، وعلى منابر من نور، أو نحو ذلك مما ورد في فضل العلم والعلماء.

٥- أن يرغبه بتدريج في الاقتصار على الميسور، وقدر الكفاية من الدنيا الدنية، والقناعة بذلك، والإعراض عن طلب الدنيا وعرضها الفاني، فإنه أروح لبدنه وأجمع لقلبه، وأشرف لمكانته وأعون في تحصيل العلم، وأجود لحفظه وازدياده، ولذلك قل من نال من العلم نصيبا وافرا إلا من كان في مبدأ تحصيله على ما ذكرنا من الفقر والقناعة ورفض الدنيا.

٦- أن يؤدبه بالآداب السنية، والخصال المرضية، ويتعاهد ما يعامل به بعضهم بعضا من حسن التخاطب في الكلام والتحابب، والتعاون على البر والتقوى ونحو ذلك.

١- وصية الإمام الأعظم لأبي يوسف في أخر "الأشباه والنظائر" لابن نجيم.

٢- بجامع أن كل واحد من الوالد والشيخ سبب لحياته، بيد أن الوالد سبب الحياة الفانية، والشيخ سبب الحياة الباقية فافترقا.

٣- سيأتيك قول الإمام أبي حنيفة -رضي الله عنه-: "إني لأستغفر لمن تعلمت منه أو علمته" في مبحث مشايخه، إن شاء الله تعالى.

وأن يتودد لحاضرهم، ويذكر غائبهم بخير، وينبغي أن يستعلم أسمائهم، ومواطنهم، وأحوالهم، وأن يخاطب كلا منهم، لاسيما الفاضل المتميز بكنية أو نسبة ونحوها من أحب الأسماء إليه، وما فيه تعظيم له وتوقير. فقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكني أصحابه إكراما لهم، كما كنى عليا أبا تراب، وأبيا أبا المنذر وغيرهما من الصحابة -رضي الله عنهم-.

٧- أن يعوده إذا مرض، وإن كان في غم خفض عليه، وتعرض لحاجته، وساعده بما تيسر له من مال وغيره إن استطاع ذلك.

٨- أن لا يظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض فإن ذلك سبب لاستيحاش الصدور وتنفر القلوب. وأن لا يجعل الغنى والجاه سبيلا لترجيح بعضهم على بعض، إلا إذا كان بعضهم أكثر تحصيلا، وأشد اجتهادا، وأحسن أدبا، فلا بأس حينئذ بتكريمه وتفضيله من بين سائر الطلاب وليبين ما لذلك من الأسباب، بل هو محمود؛ لأنه ينشط ويبعث على الاتصاف بتلك الصفات[1].

٨- أن يرشده إن صدر منه ما لا يليق به، بأن يذكر نهي الشرع الشريف عن ذلك في مناسبة أخرى بحضور من صدر منه غير معرِّض به ولا معيِّن له، بنصح ولطف، لا بتعنيف وتعسف، قاصدا بذلك حسن تربيته، وتحسين خلقه، فإن عرف ذلك بالإشارة فلا حاجة إلى التصريح، وإن لم يفهم إلا بالتصريح أتى به، وراعى التدريج في التلطف، فإن لم ينته فلا بأس آنئذ بالإعراض عنه.

١- ما لم يخش فتنة بإعجاب أو غيره.

ثالثا: آداب المعلم في درسه

١- على المعلم أن يقدر الأوقات لإلقاء الدراسات ويراعي في ذلك حال التلاميذ ومصلحتهم والسهولة عليهم، ثم لا ينبغي الإخلال بالوقت المحدد إلا لعذر.

٢- أن يهتم قبل إلقاء الدرس بإصلاح النية، وطلب التثبيت والتوفيق والتسديد من الله -جل وعلا-.

٣- أن يتطهر من الأحداث والأنجاس الظاهرة[١] والباطنة، وأن يرتدي لباسا يليق بمجلس العلم، وبشخصية العالم، وأن يستاك ويتطيب. وقد أثر عن مالك -رضي الله تعالى عنه- أنه كان لا يجلس للتدريس إلا وقد اغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا، ووضع ردائه على رأسه، ثم يجلس على صدر فراشه، وقال: "أحِبُّ أن أعظِّم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[٢].

وأن يعتني كل العناية بالأذكار الواردة، والأدعية المأثورة.

٤- أن يسلِّم على الحاضرين إذا وصل إليهم.

٥- أن يختار الجِلسة التي تليق بأهل العلم، فلا يقعد مستوفزا ولا مقعيا، ولا رافعا إحدى رجليه على الأخرى، ولا مادّهما إلا من عذر، وإن أمكن له فليجلس مستقبل القبلة، بارزا

١- اعلم أنه ينبغي لمن رام قراءة شيء من العلم الشرعي أو آلته أو رام كتابته أن يكون على طهارة كاملة؛ استشعارا لشرف العلم وحرمته، فقد كان السلف يتطهرون ويتطيبون ويتجملون لتدريس العلم ومجالس الحديث، فقد روى طائفة من الحفاظ كالخطيب البغدادي والشمس الذهبي وابن حجر العسقلاني بأسانيدهم إلى الفربري قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: "ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين". وذكر صاحب مجمع الأنهر(قبيل "فصل: وتجوز الطهارة بالماء المطلق" من كتاب الطهارة) وصاحب البحر (في باب الحيض)وابن عابدين الشامي في "منهل الواردين" (حكم الحدث الاصغر) عن الإمام الحلواني أنه قال: "إنما نلت هذا العلم بالتعظيم، فإني ما أخذت الكاغذ إلا بطهارة". وكان شمس الأئمة السرخسي مبطونا ليلة، وكان يكرر درس كتابه، فتوضأ في تلك الليلة سبع عشرة مرة.

قلت: فلا يستغرب من شأن من هذا شأنه أن يلقي من فيه البحر وهو في القعر، بائس الحال مقهور، عادم الأسفار مأسور، أعني "المبسوط" أملاه من الجب.

٢- ترتيب المدارك للقاضي عياض: باب صفة مجلس مالك.

لجميع الحاضرين.

٦- أن يتجنب أثناء الدرس من عمل أو حركة لا تليق بشأنه، حتى لا تذهب ريحه وهيبته من أعين أصحابه، فعليه أن يصون بدنه عن الزحف والتنقل عن مكانه، ويديه من العبث وتشبيكهما، وعينيه من تفريق النظر من غير حاجة، ويتقي المزاح وكثرة الضحك، فقد قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استُخِفَّ به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه"[١].

٧- ينبغي أن يبتدأ بقراءة شيء من القرآن الكريم قبل البدء في الدرس والبحث. قلت: هذا هو المعتاد في جامعتنا، ويعتنى بقراءة القرآن بعد صلاة الفجر تبركا وتيمنا، ولأن قرآن الفجر مشهود.

٨- أن يبسمل ويحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ويصلي على النبي -صلى الله عليه وسلم- بما بدا له من ألفاظ الحمد والصلاة[٢].

٩- أن لا يرفع صوته زائدا على قدر الحاجة، لأن الجهر بالقول يشبه نهيق الحمير، وهو أنكر الأصوات على لسان لقمان -رضي الله عنه- المنقول في الكتاب العزيز، حيث قال لابنه وهو يعظه: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٣].

ولا يخفضه خفضا لا يحصل معه كمال الفائدة، ويبتغي بين ذلك سبيلا.

١٠- أن يراعي تصحيح العبارة صرفا ونحوا وتجويدا، فيتلو حسب قواعد التصريف والنحو ويؤدي كل لفظ من مخرجه، فإن اللحن في عبارات الكتب الدينية نقص عظيم وإساءة، وربما يصير افتراء، مع أنه يجرح وقار العالم، ولا يسرد الكلام سردا، بل يرتِّله ويرتِّبه ويتمهل فيه.

١١- أن يعيد الكلام إذا لم يفهمه الحاضرون، أو يكون صعبا، ثلاثا حتى يفهم عنه، فقد كان

١- أثر عمر -رضي الله عنه- في تنبيه الغافلين: باب الزجر عن الضحك.

٢- ويصلي الشيخ الوالد -لازال موفقا من الله تعالى- على النبي-صلى الله عليه وسلم- في بدء الدرس، فيقول بعد أن يبسمل: "الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين".

٣- لقمان: ١٩.

النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا، حتى تفهم عنه[١]. ويجتنب التكرار المخل[٢].

١٢- أن يصل ما ينبغي وصله، ويقف في مواضع الوقف، وأن لا يأتي بألفاظ غريبة لا يفهمها الحاضرون، بل يكون كلامه على قدر أضعفهم فهما، ليتم الانتفاع به، وأن لا يأتي بالكلام في غير موضعه، وليجعله في مقامه فإن لكل مقال مقاما.

١٣- أن لا يطيل الدرس إطالة تُمِل، ولا يقصره تقصيرا يُخِل، وليكن بين ذلك قواما، راعيا حال السامعين.

١٤- أن يصون مجلسه من اللغط، فإن الغلط تحت اللغط، وعن رفع الأصوات، واختلاف جهات البحث، ومن الإكثار من حكاية الأقوال، والنقول الغريبة، إذا كان في المجلس من لا يتأهل لها، فرب كلام كاليواقيت كسد في بعض المواقيت.

وقديما قالوا: من الدين ما يُعرف ولا يعرَّف. وقد قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: "حفظت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعائين، أما أحدهما فبثثته فيكم، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم"[٣] يعني مجرى الطعام.

١٥- أن يأتي أحيانا من القصص والحكايات ما يلائم المقام ويتعلق بالمرام؛ تنشيطا للمتعلم، وإزالة للسآمة عنه.

١٦- أن يطرح على المتعلمين أحيانا بعض الأسئلة ليعرف بها مدى تعلمهم -لاسيما بعد انتهاء الدرس- ففي "صحيح" أمير المؤمنين في الحديث محمد البخاري -جوزي عن الأمة خير الجزاء- عن ابن عمر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط

١- أخرجه البخاري برقم: ٩٥.

٢- وتجد بعض المدرسين عند ما يفقد القدرة على التعبير يكثر من الوقفات، والتمطيط، وقد يعتري كلامه التأتأة، أو تقطعات مثل: "آ-آ" و "و ... و"، أو أن يكرر ويعيد كلمة معينة على سبيل مزعج، كأن يقول: "يعني..... يعني....." أو "أفهمتم؟....." فينبغي له الاجتناب عن ذلك كله ما أمكنه.

٣- أخرجه البخاري برقم: ١٢٠

ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدِّثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة»[١].

١٧- أن يمكث بعد انتهاء الدرس لفترة وجيزة، فإن فيه فوائد وآدابا له ولهم. منها: أن لا يزاحم التلاميذ في الطرق. ومنها: لو كان عند أحد سؤال أو استفسار فيقدمه، أو بقي أمر مهم يتعلق بالدراسة ألقاه عليهم.

١٨- أن لا يدرس وهو جوعان، أو عطشان، أو غضبان، أو وسنان، أو في حالة أخرى مُقْلِقَة فربما أجاب أو أفتى بغير الصواب، ولأنه لا يتمكن مع ذلك من استيفاء النظر.

١٩- أن يخرج تعليمه للأكابر مخرج المذاكرة.

٢٠- أن لا يُقَبِّح في نفس المتعلم العلوم التي ورائه، كمعلم اللغة يقبح التصوف والسلوك ونحو ذلك، بل المتكفل بعلم واحد ينبغي له أن يوسع للمتعلم طريق التعلم في غيره. وأن لا يطعن في الكتاب الذي يدرسه، ولا ينقصه، بل يحسنه ويحببه ومؤلفَه إلى المتعلم، فبذلك ينجحان ويفتح عليهما من أسراره، ودقائقه المخبأة.

٢١- أن يتفقد المتعلمين إذا غاب بعضهم من ملازمي الحلقة زائدا عن العادة، ويسأل عنه.

٢٢- أن لا يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره. قال الإمام يحي النووي -رحمه الله-: "وهذه مصيبة يبتلى بها جهلة المعلمين لغباوتهم وفساد نيتهم، وهو من الدلائل الصريحة على عدم إرادتهم بالتعليم وجه الله تعالى الكريم، ...... وهذا إذا كان المعلم الآخر أهلا، فإن كان فاسقا أو مبتدعا أو كثير الغلط ونحو ذلك فليحذر من الاغترار به"[٢]. انتهى كلامه

٢٣- الأدب الأخير الهامّ الحتْم: أن لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلا له، فإن هذا لعب بالدين، وازدراء بين الناس، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «المتشبّع بما لم يعط كلابس ثوبي زور» [٣] وعن الشبلي[٤]: من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه[٥].

١- أخرجه البخاري برقم: ٦١، ومسلم برقم: ٧٠٢٩.

٢- مقدمة "المجموع" للنووي.

٣- رواه البخاري برقم: ٥٢١٩، ومسلم برقم: ٥٥٨٣.

٤- هو أبوبكر بن جحدر الشبلي الزاهد الكبير العارف بالله.ت:٣٣٤هـ) ر: وفيات الأعيان، والطبقات الكبرى للشعراني.

٥- تذكرة السامع والمتكلم: الباب الثاني، الفصل الثاني.

المبحث الخامس

في آداب المتعلم

أولا: آداب المتعلم في نفسه

١- الإخلاص، وهو أن يريد بطلبه ثلاثة أمور لا غير، وهي:

أ- معرفة الله -تعالى شأنه- ومعرفة الطريق الموصل إليه -جل وعلا-.

ب- إحياء علوم الإسلام وحفظها.

ج- تعليم الناس ونصحهم.

٢- أن يبادر شبابه وأوقات عمره إلى التحصيل، ولا يغتر بالتسويف والتأميل، فإن كل ساعة يمضي من عمره لا بدل لها، ولا عوض عنها.

وقطع ما استطاع من العلائق الشاغلة، والعوائق المانعة من تمام الطلب، فإنها كقواطع الطريق، ولذا استحب السلف التغرب عن الأوطان والتبعد من الأهل، لأن الفكرة إذا توزعت قصرت عن درك الحقائق، وفهم الدقائق، و﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[١] وكذلك يقال: "العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك". وروي عن أبي يوسف -رضي الله تعالى عنه- أنه قال: مات ابن لي فلم أحضر جهازه ولا دفنه، وتركته على جيراني وأقربائي؛ مخافة أن يفوتني من أبي حنيفة شيء لا تذهب حسرته عني"[٢].

وقال بعضهم: "لا ينال هذا العلم إلا من عطل دكانه، وخرب بستانه، وهجر إخوانه، ومات أقرب أهله فلم يشهد جنازته".

وهذا وإن كانت فيه مبالغة فالمقصود به أنه لابد فيه من جمع القلب، واجتماع الفكر.

١- الأحزاب: ٤. والفكرة المتوزعة -كما قال طاش كُبْرِي زاده في مفتاح السعادة-: كجدول تفرق مائه فيختطف الهواء وينشف الأرض، فلا يبقى منه ما يبلغ المزرعة.

٢- حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي للعلامة زاهد الكوثري: اتصال أبي يوسف بمجلس أبي حنيفة.

وروي أن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-[١] كان يكتب إلى عماله، ويقول لهم: "أجروا على طلبة العلم الرزق، وفرّغوهم للطلب"[٢]

٣- أن يقسم أوقات ليله ونهاره، ويغتنم ما بقي من عمره، وأجود الأوقات للحفظ الأسحار، وللبحث الإبكار، وللكتابة وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة الليل، وأجود الأماكن كل موضع بعيد من الملهيات.

٤- أن يتبع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في جميع شؤون حياته: ملبسه ومأكله ومشربه..... .

٥- أن يجتهد في طلب العلم وحفظه، ويواظب عليه في جميع أوقاته، ليلا ونهارا، حضرا وسفرا. وأن لا يذهب شيء من أوقاته في غير العلم إلا بقدر الحاجة. قال قائل:

في الناس من يشتهي العلا بلا نصب   هيهات شمِّر إلى الكد السراويلا[٣]

فليعلم المتعلم أن طلب العلم وسفره لا يخلو عن النصب، قال موسى -صلى الله عليه وسلم-: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾[٤] وستأتيك أمثلة من بذل الأوائل جهودهم في سبيل بلوغ غاياتهم إن شاء الله تعالى[٥].

٦- أن يقارن الهمة العالية بالجد والمواظبة، إذ هي الباعث القوي على الحركة في هذا الشأن، هذا وعلو الهمة من صفات الإنسان الكامل.

٧- أن يقلِّل من الأكل؛ لأن كثرة الأكل جالبة لكثرة الشرب وكثرته جالبة للنوم والبلادة وقصور الذهن، وفتور الحواس وكسل الجسم، مع ما فيه من الكراهية الشرعية والتعرض لـخـطـر

١- هو أبو حفص الأموي، الخليفة المشهور، التابعي الجليل، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ألفت في جمع أخباره ومواعظه أسفار جليلة، (ت: ١٠١ هـ) ر: سير أعلام النبلاء:٥/١١٤، ترجمة رقم: ٤٨، وسيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي.

٢- بلوغ أقصى المرام، للطرنباطي: الباب الخامس.

٣- البيت أورده في "بلوغ أقصى المرام" في آداب المتعلمين، ولم أهتد لقائله.

٤- الكهف: ٦٢.

٥- في المطلب الثاني من المبحث الثاني من الفصل الأول.

الأسـقام الجسمية[١].

وفي حكمة لقمان -رضي الله تعالى عنه- " يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة".

وقال داود بن المخراق: سمعت ابن شميل[٢] يقول: "لا يجد لذة العلم حتى يجوع وينسى جوعه"[٣].

وقال الإمام الأجل العلاء الزاهد محمد بن عبد الرحمن البخاري[٤] شيخ سيدنا المرغيناني -رضي الله تعالى عنهما- في كتابه "محاسن الإسلام"، في محاسن الصوم: "ومن جملة المحاسن في الصوم اكتساب مكارم الأخلاق؛ لأن قلة الأكل من محاسن الأخلاق، لم يحمد أحد على كثرة الأكل، ويحمد على قلة الأكل، يحمده كل ذي دين في كل حين، لم يرو عن أحد من الأنبياء كثرة الأكل....فأكثر ما يعتريك من الآفات من جانب كثرة المباحات، فكان في الصوم سد باب الآفات".

وقال أيضا: "مهما خلا البطن عن اللقم امتلأ من الحكم، ..... وليس من الحكمة أن يملأ من اللقم ويُمنع من الحكم، فالمؤمن إذا خلا بطنه صفا سره، وأشرق نوره وبره". انتهى كلام العلاء الزاهد -رحمه الله-.

٨- أن يقلل نومه ما لم يلحقه ضرر في بدنه، ولا يزيد في يوم وليلة على ثمان ساعات، فإن احتمل حاله أقل منه فعل، وقالوا: من أسهر نفسه في الليل فقد فرح قلبه بالنهار.

وقال طاش كبري زاده -رحمه الله-: "كان محمد بن الحسن الشيباني -رحمه الله- لا ينام الليل

١- وليتحرز عن أكل طعام السوق والمطاعم، فإنه أقرب إلى النجاسة والخبائة والغفلة، وأبعد عن ذكر الله تعالى، ويورث من الأمراض ما لا يورثه غيره.

٢- هو الإمام الحافظ أبو الحسن نضر بن شميل المازني البصري المحدث اللغوي، عالم أهل مروة، روى عن هشام بن عروة وغيره. (ت: ٢٠٣هـ) ر: تذكرة الحفاظ ترجمة رقم: ٢٩٣. قلت: ذكره الصالحي في أصحاب الإمام -رحمه الله- وهو القائل: "كان الناس نياما في الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة". -كما سيأتي-.

٣- تذكرة الحفاظ: ترجمة نضر بن شميل: ٢٩٣.

٤- سيأتي ذكره في مبحث مشايخ صاحب الهداية، إن شاء الله تعالى.

وكان عنده الماء يزيل نومه بالماء، وكان يقول: "إن النوم من الحرارة فلابد من دفعه بالماء البارد"[١].آه

علا أنه قد تنتج عن كثرة النوم الأمراض الجسمانية[٢].

٩- أن يحافظ على الصحة البدنية والعقلية، فلا يحمل على نفسه فوق طاقتها كيلا تسأم وتمل، فربما نفرت نفرة لا يمكن تداركها، وليكن أمره من ذلك قصدا. ولله در القائل:

كلا طرفي قصد الأمور ذميم[٣]

ولأن النفس مطيته في سبيل العلم فإذا كلفها ما لا تستطيع فربما يخسرها[٤].

وبالجملة لا بأس أن يريح نفسه إذا خاف مللا، فقد كان الزهري سيد الرواة -رحمه الله-[٥] يحدث ثم يقول: "هاتوا من أشعاركم فإن الإدمان يمل وللنفس حظ، وأفيضوا فيما يخفف علينا". ونعمت القدوة الزهري[٦].

وينبغي أن يواظب ممارسة الرياضة البدنية، وأفضل أنواع الرياضة المشي، فإنه ينشط الدورة الدموية، ويذيب فضول الأخلاط من الدهون الزائدة، وينشط البدن، كما أنه يقلل احتمال

١- مفتاح السعادة: المقدمة الثانية في شرائط المتعلم ووظائفه، وذكره في "تعليم المتعلم" أيضا، وفيه: "وكان (يعني محمدا) إذا سهر الليالي وانحلت له المشكلات يقول: أين أبناء الملوك من هذه اللذات".

٢- كاليرقان وجمود الدم وضعف قوة الهضم وغير ذلك.

٣- شطر بيت للإمام أبي سليمان الخطابي صاحب "معالم السنن" وقبله:

تسامح ولا تستوف حقك كله   وأبق فلم يستقص قط كريم

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد   كلا طرفي قصد الأمور ذميم

أوردهما في "يتيمة الدهر": ٣٨٥/٤، علم رقم: ٦٦.

٤- ذكر الزرنوجي أن معلم داود بن الجراح رأى على دفتر له دما فسأله عنه، فقال: إني كنت على السراج في الليالي الحارة فأرعف، فقال: إنما تطلب العلم لنفسك، فإذا أتلفت نفسك فما ينفعك علمك.

٥- هو أبوبكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري القرشي، أحد كبار الحفاظ والفقهاء المحدثين بالمدينة، له في "الموطأ" ١٣٣ حديثا مرفوعا. (ت: ١٢٥هـ) ر: حلية الأولياء، وتذكرة الحفاظ.

٦- وأوصى ابن الجوزي المتعلم بأن يريح نفسه من الحفظ يوما أو يومين، ليكون كالبناء الذي يراح ليستقر.

الإصابة بأمراض القلب والجهاز التنفسي. وأن يستعمل الأطعمة المسببة لجودة الفهم[١] ويجتنب الأطعمة الجالبة للبلادة وضعف الحواس.

١٠- أن يلتزم الترتيب والتدرج في طلب العلم، وعدم التسرع إلى تحصيله جملة واحدة، ولكن يأخذه مع الأيام والليالي شيئا فشيئا،[٢] ولا يجاوز علما من العلوم حتى يتقنه.

فإنه إن تسرع في تحصيله جملة ذهب منه جملة، ولم يبق منه شيء. قال الغزالي: "لا يخوض في فنون العلم دفعة، بل يراعي الترتيب فيبدأ بالأهم فالأهم". وقال: "لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله، فإن العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج"[٣]. آهـ

ولا يبدأ بأواخر العلوم وأطرافها؛ لأن الأواخر لا تقوم إلا بأوائلها، كالبنيان لا يقوم إلا بالقواعد[٤].

١١- أن لا يقتصر على علم واحد بل يشتغل بجميع العلوم من النحو والتصريف واللغة والمعاني والبيان وغير ذلك، ويأخذ من كل نوع بمقدار، وينزل كل فن منزلته من الإقبال عليه، فبدون هذه العلوم لا يتوصل إلى المقاصد من تفسير الكتاب العزيز والأحاديث الكريمة والاستنباط منهما الأصولَ والفروعَ.

١- وهي -كما ذكره الإمام الزرنوجي-: السواك وشرب العسل، وأكل أحد وعشرين زبيبة حمراء بكرة ..... وكل ما يقلل البلغم والرطوبات يزيد في الحفظ، وكل ما يزيد في البلغم [ككثرة الألبان والسمك وأشباهها] يورث النسيان. قلت: ولا يخفى على أحد أن مما يورث النسيان اقتراف المعاصي، عصمني الله تعالى وإياكم ووفقنا للصالحات قبل الممات.

٢- أخرج الخطيب في "الفقيه والمتفقه" برقم: ٨٦٠: "أن أبا حنيفة أول ما اتصل بحلقة حماد طالبا للفقه، قال له حماد -رحمه الله-: "تعلم كل يوم ثلاث مسائل ولا تزد على ذلك شيئا حتى يتفق لك شيء من العلم، ففعل ولزم الحلقة حتى فقه، فكان الناس يشيرون إليه بالأصابع".

٣- الإحياء: كتاب العلم، الباب الخامس، الوظيفة السادسة والسابعة.

٤- ألا ترى أن الدار لا تؤتى إليها من السقف بل من الباب، والآتي إليها من جهة السقف لا يأمن السقوط، ويستحق التأديب والتأنيب.

١٢- أن يقيِّد ما يسمع خوف شروده، فإن المتعلم إذا أعجبه شيء لابد له أن يكتبه. وروي عن ابن عمر وابن عباس -رضي الله عنهم- أنهما قالا: " قيِّدوا العلم بالكتابة". ولا يعتمد على الذهن، فكم أضاعت علينا أذهاننا من الجواهر واليواقيت.

١٣ - أن يحفظ ما يكتب أيضا ولا يتركه هملا، فقد قالت العرب: حرف في قلبك خير من ألف في كتبك. وقالوا: لا خير في علم لا يعبر معك الوادي ولا يعمر بك النادي.

وقال الخليل بن أحمد[١]: "اجعل ما في كتبك رأس مالك، وما في قلبك للنفقة".[٢]

١٤- أن لا يأخذ العلم من الكتب والأسفار من غير تلمّذ على الأشياخ، فإنه من أضر المفاسد. قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني في مقدمة "النوادر والزيادات" ما نصه: "كان يقال: لا يؤخذ العلم من كُتُبي[٣]، ولا القرآن من مصحفيّ[٤] وإن كانت الكتب في آخر الزمان خزائن العلوم، فإن مفاتيح مغالقها الصدور، وقد كان العلم في الصدر الأول خزائنه الصدور ولم تكن كتب، وصار في آخر الزمان أكثره في الكتب وأقله في الصدور، وكثرت الكتب بالشرح والتأليد[٥] والتفسير، وكثر التقصير". آه

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-: "من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام".

وقال بعضهم: "من أعظم البلية تشييخ الصحيفة"[٦]. يعني جعل الصحيفة كالشيخ له.

قال القائل[٧]:

١- ابن عمرو الفراهيدي، من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض وأول معجم لغوي عربي وهو: "كتاب العين". وهو أستاذ سيبويه، من مؤلفاته: "تفسير حروف اللغة" وغيره. (ت: ١٧٠هـ) ر: شذرات الذهب.

٢- أدب الدنيا والدين: الباب الثاني في أدب العلم، أسباب غموض المعاني.

٣- الكُتُبي: الذي ينسخ الكتب بالأجرة، وفي الأزمنة المتأخرة الكتبي: بائع الكتب مطلقا.

٤- المصحفي: الذي يكتب نُسَخ القرآن الكريم بالأجرة، والصَحَفي: الذي يأخذ العلم من الصحف دون المشايخ.

٥- في هامش "النوادر والزيادات": تألد: تحير، وهو يعني هنا المسائل التي يفترض حدوثها ويتوقع نزولها.

٦- تذكرة السامع: الباب الثالث، الفصل الثاني.

٧- البيتان لمروان بن أبي حفصة، شاعر عالي الطبقة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. (ت: ١٨٠هـ) قالهما في هجاء قوم من رواة الشعر، وهما في ديوانه: قافية الراء.

زوامل للأسفار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما تدري المطي إذا غدا بأحماله أو راح ما في الغرائر[١]

١٥- أن يبتعد في بدء أمره من الاشتغال بالاختلاف بين العلماء، أو بين الناس مطلقا في العقليات والسمعيات، فإنه يحير الذهن ويدهش العقل.

١٦- أن لا يخالط إلا من يفيده أو يستفيد منه، فلذلك إن احتاج إلى الصاحب والرفيق فليكن صالحا نقيا تقيا دَيِّنا ورعا ذكيا كثير الخير قليل الشر حسن المداراة قليل المماراة، ويفر من الكسلان والمعطل والمكثار والمفسد والفتان[٢].

وذلك لأن الطبع يسرق، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[٣].

ومن كلامهم: "الصاحب كالرقعة في الثوب، إن لم تكن مثله شانته".

ومن خالط السفهاء حُسب منهم، ومن خالط العلماء حُسب منهم.

ومما يروى عن علي -رضي الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه-:

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه[٤]
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه
قياس النعل بالنعل إذا ما هو حاذاه
وذو العرّ إذا ما احتك ذا الصحة أعداه[٥]

١- الزوامل جمع زاملة: الدابة التي يحمل عليها الطعام والمتاع من الإبل وغيرها. والأباعر جمع أبعرة جمع بعير، فهو جمع الجمع. والغرائر جمع غرارة: الجوالق الكبير الذي يكون للحنطة والتبن وغيرها.

٢- من كلام ابن جماعة والزرنوجي متداخلا.

٣- رواه أحمد برقم: ٨٠١٥، وأبو داود برقم: ٤٨٣٣، والترمذي برقم: ٢٣٧٨.

٤- أردى: أهلك، و"آخاه" من المؤاخاة، أي: جعله أخاه يعني صديقا.

٥- العُرّ -بضم العين وفتحها وتشديد الراء-: الجرب. واحتك: أي حك جلده من الجرب الذي به. وأعداه: أوقعه في مثل ما به من الجرب فصار هو أيضا أجرب.

ولـلـشيء عـلى الشيء مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه[١]

وقال الجلال الرومي -رحمه الله تعالى-:

صحبت صالح ترا صالح کند صحبت طالح ترا طالح کند[٢]

١- الأبيات من الوافر المجزوء، أوردها في هامش "آداب الملوك بالعدل" :فصل انتخاب الندماء وشروطهم، وهي في ديوان علي: قافية الهاء، ولم يذكر فيه البيت: وذو العز إذا ما احتك ... البيت. وذكر أبو القاسم النيسابوري في "عقلاء المجانين" - فصل ضروب الجد والعقل-: أن رجلا كان يعجب عليا -رضي الله عنه- فرآه يوما يماشي رجلا متهما فقال -رضي الله عنه-: لا تصحب أخا الجهل ..... الأبيات.

٢- المثنوي: الدفتر الأول، اختلاف كردن أمراء درولي عهد.

ثانيا آداب المتعلم مع شيخه

ينبغي لطالب العلم أن يقدم النظر، ويستخير الله -جلت قدرته- في من يأخذ هذا الدين عنه، ويكتسب حسن الأخلاق والأدب منه، وليكن شيخه -مهما أمكن- ممن كملت أهليته، وطهرت مروءته، وعرفت ديانته وعفته، أحسن تعليما وأجود تفهيما، وأوسع اطلاعا على العلوم الشرعية. ممن يوثق به من مشايخ عصره، دون من أخذ عن بطون الكتب والأوراق، ولم يُعرف بصحبة المشايخ الحذاق، فهم الذين ضلوا وأضلوا جيلا كثيرا[١] وليحذر من التقييد بالمشهورين، وترك الأخذ عن الخاملين، فقد عد الغزالي وغيره ذلك من الكبر على العلم، وجعله عين الحماقة؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها.

٢- أن يطيع الشيخ في جميع أموره ولا يخرج عن رأيه وتدبيره، بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الحاذق، فيشاوره فيما يقصده، ويستأذنه في ما يريده من السفر ونحوه. ويتحرى رضاه، ويبالغ في حرمته، ويخدمه تقربا إلى الله -عز وجل-، ويعتز بالذل له، ويفتخر بالتواضع له، فإن الذل في الطلب يعقب العز لا محالة[٢].

وقد نبه الله -تعالى شأنه- على ذلك في قصة موسى والخضر -صلى الله تعالى عليهما- يقول: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[٣] مع علو قدر موسى الكليم في الرسالة والعلم، ولذا شرط عليه السكوت، فقال: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[٤] وفي هذا المعنى قيل:

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يُكرما[٥]

١- عن بعض السلف: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم". ذكره مسلم في مقدمة صحيحه.

٢- وناهيك بقول ابن عباس الجوال في كتب القوم: "ذللت طالبا فعززت مطلوبا".

٣- الكهف: ٦٧.

٤- الكهف: ٧٠.

٥- البيت أورده الراغب الأصفهاني في "محاضرات الأدباء": ٧٦/١، وقبله:

فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه واصبر لجهلك إن جفوت معلما

٣- أن يُجله كل الإجلال، ويعتقد فيه درجة الكمال ورجحانه على طبقته، فإنه أقرب إلى انتفاعه به. قال الإمام النووي: كان بعض المتقدمين إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء وقال: اللّٰهُمَّ استر عيب معلمي عني، ولا تذهب بركة علمه مني[١]. آهـ

قالت الأمة الضعيفة -لطف الله بها-: هذا المتصدق الداعي قبل الذهاب إلى الشيخ هو الإمام النووي بنفسه، كما ذكر ذلك الشعراني في "لواقح الأنوار القدسية"[٢] فقال: "كان [يعني الإمام النووي رضي الله عنه] إذا خرج للدرس..." وسرد الكلام بمثل كلام النووي، وإنما كنى تحرزا عن العجب والأنانية.

وقال الإمام الشافعي -رضي الله عنه-: "كنت أتصفح الورقة بين يدي مالك تصفحا رفيقا هيبة منه؛ لئلا يسمع وقعها".

وقال الربيع -صاحب الشافعي-: "والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي؛ هيبة له"[٣].

٤- أن يبكر إلى مجلس الدرس، فإن الشيخ عادة ما يتضجر من وصول المتعلمين إلى مجلس الدرس متأخرين، فعلى المتعلم أن يكون في قاعة الدرس قبل مجيء شيخه، فإن كل درس يفوت لا عوض له، ولا يطرق عليه الباب ليخرج إليه.

ومن مساوي اعتياد التأخر في الحضور إلى قاعة الدرس تكليف الشيخ الإعادة، والتشويش على الآخرين، وعند تعذر الإعادة خسر الاستفادة. قال ابن قتيبة: "قال بُزُرْ جُمِهْر[٤]: إنما أدركت ما أدركت من العلم ببكور كبكور الغراب، وصبر كصبر الحمار، وحرص كحرص الخنزير"[٥].

١- التبيان في آداب حملة القرآن: فصل في أهلية المعلم.

٢- القسم الأول من الكتاب، إكرام العلماء.

٣- مقدمة المجموع شرح المهذب.

٤- هو بزرجمهر بن البختكان، حكيم فارسي، أخباره مبثوثة في كتب المواعظ والآداب، كان وزيرا للملك العادل أنوشروان بن قباذ. ر: كتاب الفهرست لابن النديم.

٥- عيون الأخبار لابن قتيبة: كتاب العلم والبيان.

وقال جعفر بن درستويه[١]: "كنا نأخذ المجلس في مجلس علي بن المديني وقت العصر اليوم لمجلس الغد، فنقعد طول الليل مخافة أن لا نلحق من الغد موضعا نسمع فيه".[٢]

٥- أن يخص الشيخ بتحية السلام، ولا يسلم عليه من بعيد ولا من ورائه، بل يقرب منه ويتقدم عليه ثم يسلم.

٦- أن يجلس على هيئة المتشهد، كما جلس روح القدس -عليه السلام- أمام سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم- ونِعمت القدوة الروح الأمين للمتعلمين. أو يجلس محتبئا، ولا يجلس على مصلى الشيخ أو وسادته، ولا يستند بحضرته إلى حائط أو وسادة، ولا يرتكز عليها، ولا يعطي الشيخ ظهره أو جنبه، ولا يحسر عن ذراعيه أو رجليه أو غيرهما من الأعضاء، ولا يضع يده على لحيته أو فمه، أو يعبث بها في أنفه، أو يستخرج منه شيئا، ولا يفتح فاه، ولا يشبك يديه، و لا يعبث بأزرره. ولا يضطرب لضجة يسمعها ولا يلتفت إليها، ولا ينظر إلا إلى الأستاذ، ولا يكثر التنحنح من غير حاجة، ولا يبصق ولا ينتخع ما أمكنه، ولا يلفظ النخامة من فيه، بل يأخذها بمنديل أو خرقة، وإذا عطس خفض صوته جهده، ويرد التثاؤب بجهده ما أمكن، وإلا ستر فاه. ولا يضحك لغير عجب، ولا يعجب دون الشيخ، فإن غلبه تبسّم تبسما، ولا يرفع صوته من غير حاجة.

ولقد جمع علي -رضي الله عنه وكرم وجهه- في وصيته للمتعلم ما فيه كفاية، فقال: "من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة، وتخصه بالتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تشيرن عنده بيديك، ولا تغمز بعينيك غيره، ولا تقولن: قال فلان خلاف قولك، ولا تغتابن عنده أحدا، ولا تطلبن عثرته، وإن زلّ قبلت معذرته، وعليك أن توقره لله تعالى، وإن كان له حاجة سبقت القوم إلى خدمته، ولا تسارّ في مجلسه، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تشبع من طول

١- هوجعفر بن دُرُسْتُوَيْه الفسوي تلميذ الإمام علي بن المديني، لم أعثر على تاريخ وفاته. و"درستويه" ضبط بضبطين أصحهما ضم الدال والراء، والوجه الأخر فتحهما، أما التاء التي قبل الواو فالمحدثون يضمونها واللغويون يفتحونها. ومعناه: الكامل التام. ر: "ابن درستويه عبد الله بن جعفر" للجبوري.

٢- أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني: البكور إلى مجالس الحديث، و"الآداب الشرعية والمنح المرعية" لابن مفلح: فصل في مكانة حفاظ الحديث وإقبال الألوف على مجالسهم.

صحبته، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منه شيء"[١]. آه

٧- أن لا يسبقه إلى شرح مسألة، أو جواب سؤال، ولا يقطع عليه الكلام، ولا يساوقه فيه، ولا يظهر معرفته بذلك، فقد قال مالك -رحمه الله-: "إذا جالست العالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول"[٢].

٨- أن لا يستحيي عن سؤال ما أشكل عليه. فقد قيل: من رق وجهه عند السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرجال.

والحياء صفة حميدة في كل شيء بل شعبة من شعب الإيمان كما ورد في الخبر، إلا في العلم، فإنه مذموم. قالت فقيهة الأمة عائشة -رضي الله عنها-: "نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"[٣].

٩- أن لا يراجعه إلا تفهما، ولا يسأل عن النوادر والأغلوطات[٤]، وقد منع الله تعالى عن كثرة السؤال، فقال -عز من قائل-: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾[٥] وقال -جل وعلا-: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾[٦][٧].

وفي الحديث: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم»[١]

١- عيون الأخبار: كتاب العلم والبيان، والعقد الفريد لابن عبد ربه: كتاب الياقوتة في العلم والأدب، تبجيل العلماء.

٢- جامع بيان العلم.

٣- أخرجه مسلم برقم: ٧٥٠.

٤- الأغلوطات جمع أغلوطة بالضم: ما يغلط به من المسائل.(الصحاح) وقال الأوزاعي: هي شواذ المسائل. وفي العقد الفريد في كتاب العلم والأدب: "كان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة، قال للسائل: أمسكها حتى أسأل عنها أخاك إبليس".

٥- المائدة: ١٠١.

٦- البقرة: ١٠٨.

٧- قلت: فدت نفسي أصحابَ سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ما كان أسرعهم امتثالا لأمر الله تعالى وأمر رسوله -صلى الله عليه وسلم- وأشدهم طاعة لله -جل وعلا- ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- فقد كانوا يجلسون حوله -صلى الله عليه وسلم- كأن على رؤوسهم الطير وكانوا يتمنون أن يبتدئ الأعرابي العاقل فيكفيهم السؤال، ولو كانوا يسألون عن كل شيء كما سألت بنو إسرائيل موسى -صلى الله عليه وسلم- لكان كل صغير وكبير مسطورا، ولما كان في الدين هذا التوسيع والتخفيف فرضي الله عنهم وأرضاهم.

١- أخرجه البخاري برقم: ٧٢٨٨، ومسلم برقم: ٣٢٥٧.

١٠- أن يحسن خطابه معه، فلا يخاطبه بتاء الخطاب وكافه، وليتجنب ما يعتاده بعض الناس في كلامه، ولا يليق خطابه به، مثل: لِمَ، لا نسلم، من نقل هذا، مابك، فهمت، تدري ونحو ذلك.

وعن بعض السلف: من قال لشيخه: لِمَ، لم يفلح أبدا، ونقل النجم الغزّي عن "ألفية" جده، قال:

من لم يعظم حرمة المؤدِّب حـرمه الله بلوغ الأدب
وإن من قال لشيخه لِـمَـه لم ينتفع منه بما تعلَّمَهْ[٢]

ولا يناديه من بعيد، ويخاطبه بمثل قوله: يا سيدي، ويا أستاذي، وما تقولون في كذا، وما رأيكم في كذا، ولا يذكره في غيبته إلا مقرونا بما ينبئ عن تعظيمه.

١١- أن يحسن الاستماع، فإن ذكر الشيخ ما كان التلميذ يحفظه أصغى إليه ويفرح به كأنه لم يسمعه قط.

قال عطاء بن أبي رباح[٣]: "إن الشاب ليتحدث بحديث فأسمع له كأني لم أسمعه، ولقد سمعته قبل أن يولد".

١٢- أن يدعو له مدة حياته، ويرعى ذريته وأقاربه، وأوِدّائه بعد وفاته، ويستغفر له، ويتصدق عنه، ويتأدب بآدابه، ويقتدي به في شؤونه.

١٣- أن يصبر على جفوة تصدر منه، ولا يصده ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته فيه، ويتأول أفعاله وأقواله التي يظهر أن الصواب خلافها على أحسن تأويل،[٤] ويبتدأ هو بالاعتذار والتوبة مما وقع، وينسب الموجب إلى نفسه، ويجعل العتب على نفسه، فإن ذلك أحرى لمودة شيخه، وأنفع للمتعلم في دنياه وأخراه، هكذا ذكر الشيخ ابن جماعة -رحمه الله-.

٢- حسن التنبه لما ورد في التشبه للنجم الغزي: القسم الأول فصل (بلاعنوان)

٣- تأتي ترجمته في مبحث مشايخ الإمام -رضي الله عنه- إن شاء الله تعالى.

٤- ولا يحدّث عنه إلا بأحسن ما يسمع ويرى منه، فقد أخرج أحمد حديثا عن النبي -صلى الله عليه وسلم حديثا أعجبني وآنقني، قال: «مثل الذي يجلس فيسمع الحكمة ثم لا يحدث عن صاحبه إلى بشر ما سمع، كمثل رجل أتى راعيا فقال: يا راعي اجزُز لي شاة من غنمك، قال: اذهب فخذ بأذن خيرها، فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم» (حديث رقم: ٨٦٧٧).

ونقل صاحب "بلوغ أقصى المرام" عن طاهر الفاسي عن الشيخ زروق: "أن من استحقر استاذه ابتلاه الله -جلت قدرته- بثلاث عقوبات: الأولى: أن ينسى ما حفظه منه، الثانية: أن يكل لسانه عند النزع، الثالثة: أن يخرج من الدنيا بغير إيمان"[١]. آه عصم الله الجميع.

وقال الشعراني: "أُخِذ علينا العهد العام من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن نكرم العلماء ونجلهم ونوقّرهم، ولا نرى لنا قدرة على مكافأتهم ولو أعطيناهم جميع ما نملك، أو خدمناهم العمر كله، وهذا العهد قد أخل به غالب طلبة العلم والمريدين في طريق الصوفية الآن، حتى لا نكاد نرى أحدا منهم يقوم بواجب حق معلمه، وهذا داء عظيم في الدين يؤذن باستهانة العلم، وبأمرِ مَن أمرَنا بإجلال العلماء -صلى الله عليه و سلم- فصار أحدهم يسخر على شيخه حتى صار شيخه يداهنه، ويلاطفه ليسكت عنه، فلا حول ولا قوة إلا بالله تعالى[٢].

١- بلوغ أقصى المرام: الباب الخامس في آداب المتعلمين.

٢- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، للشعراني: القسم الأول إكرام العلماء.

قلت: لقد كان الإمام الشعراني في منتصف القرن العاشر الهجري، والله لو كان في عصرنا وشاهد حال المتعلمين في سوء أدبهم -إلا ما شاء الله منهم، وقليل ما هم- لكَلَّ لسانه من أن يتفوه بشيء ولبقي متحيرا مدهشا. فيا لها من مصيبة!!!! هدى الله تعالى الجميع.

وقال الشعراني -رحمه الله- في لطائف المنن: "ومما منّ الله تعالى به علي: أدبي مع طلبة العلم من المالكية أكثر من غيرهم، من حيث إن الإمام مالكا -رضي الله عنه- له مشيخة على إمامي -رضي الله عنه- فكما كان إمامنا يتأدب مع شيخه وأتباعه كأشهب وابن القاسم، كذلك ينبغي لمقلدي مذهبه أن يتأدبوا مع أتباعه. وقد نقل عن الشيخ محي الدين النووي -رضي الله عنه- أنه بحث مع بعض المالكية فأغلظ عليه المالكي، فقيل للنووي في ذلك، فقال: إن إمامه شيخ إمامي، فالأدب معه كالأدب مع إمامه. انتهى. (الباب السادس في جملة من الأخلاق)

وقال طاش كُبْرِي زاده في "مفتاح السعادة" بعد أن ذكر ما ذكر في هذا الشأن: "أنصف من نفسك يا أخي! هل بقي من توقير العلم والعلماء شيء أصلا؟ فإن اعترضت وقلت: لم يبق مثل هؤلاء الأعلام في هذه الأيام فلا يليق بهم التوقير. فنقول: أما قولك: لم يبق مثل هؤلاء الأعلام فمسلم، وأما قولك: لا يليق بهم التوقير، فما يحق عليه الكير [لعل الصحيح: فما يحق عليه النكير]؛ لأن التوقير لأجل العلم فلا تقصر أنت في حقهم إن كنت تحب العلم، وعدم كونهم أمثال هؤلاء ليس عليك، بل العهدة في ذلك عليهم. وبالجملة: حب العلم يوجب توقير من انتسب إليه، وإلا فلست من المحبين له". هذا كلامه. (المقدمة الثانية في شرائط المتعلم ووظائفه)

المبحث السادس

في آداب مشتركة بين المعلم والمتعلم

١- دوام مراقبة الله -عز وجل- في السر والعلانية، والخشية منه -جل وعلا- في كل شأنه. قال صاحب "الحكم": "العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك"[١].

والموروث منه العلم -صلى الله عليه وسلم- كان أتقى الناس، وأخشاهم له -سبحانه وتعالى- كما أخبر عن نفسه -صلى الله عليه وسلم-[٢].

والعلماء هم الأسوة والقدوة لعامة المسلمين، وإليهم المرد في الأحكام، وهم حجة الله تعالى على العوام فإذا لم يكن الورع فيهم ولم ينتفعوا بعلمهم فغيرهم أبعد عن الانتفاع به، ولهذا عظمت زلة العالم لما يترتب عليها من المفاسد لاقتداء الناس به، وقد قيل: زلة الجاهل يخفيها الجهل، وزلة العالم يضرب بها الطبل.

٢- ايتمار الأوامر بأكمل ايتمار، وأحسن امتثال.

٣- الانتهاء عن النواهي.

٤- المحافظة على شعائر الدين، وظواهر الإسلام، كإقامة الصلوات في المساجد، وإفشاء السلام للخواص والعوام، واتباع الجنائز ونحو ذلك.

٥- الاجتناب عن المجادلات والمناظرات المسخطة للرب -جل وعلا- المحرقة للعلم، المحبطة للأعمال، السالبة للمروءة، المنفرة للمسلمين، فقد رفع تعيين ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر لأجل احتقاق رجلين، كما أنبأ عن ذلك سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم-[٣].

٦- الاتصاف بمحاسن الأخلاق التي ورد الشرع الشريف بها، والخصال الحميدة، والشيم

١- الحكم العطائية، حكمة رقم: ٢٢٨.

٢- أخرج البخاري -رحمه الله- عن عائشة -رضي الله عنها- حديثا برقم: ٢٠، فيه: ثم يقول [تعني النبي -صلى الله عليه وسلم-] «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا».

٣- ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري في حديث طويل أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: «يا أيها الناس! إنها كانت أبينت لي ليلة القدر، وإني خرجت لأخبركم بها فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان فنُسِّيْتُها ... » الحديث. ومعنى "يحتقان": يطلب كل واحد منهما حقه، ويدعي أنه المحق. وفي رواية: «يختصمان».

المرضية التي أرشد إليها، من الحياء، والسخاء، والحلم، والصبر، وإطعام الطعام، وكظم الغيظ، وكف الأذى عن الناس، واحتماله منهم، وإيثار غيره على نفسه، وحسن الظن، والنصح لجميع المسلمين وسائر مكارم الأخلاق.

٧- الاجتناب عن مساوي الأخلاق وسفساف الأمور، من الحسد، والبغي، والغضب لغير الله تعالى، والكبر، والغش، والرياء، والعجب، والسمعة، والبخل، والطمع، والفخر، والتنافس في الدنيا، والتزين للناس، وحب المدح بما لم يفعل، والعمى عن عيوب النفس، والاشتغال عنها بعيوب الخلق، والغيبة، والنميمة، والبهتان، والكذب، واحتقار الناس ولو كانوا دونه. وكذلك يجتنب عن دنيء المكاسب: كالحجامة، والدباغة، والحياكة ونحو ذلك.

٨- التحامي عن مواضع التهمة، والأفعال التي تتضمن نقص المروءة، أو تستنكر ظاهرا، وإن كانت جائزة في نفسها، فإن في ذلك تعريض النفس للتهمة، والعِرض للوقيعة.

وقد جاء في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال للرجلين لما رأياه يتحدث مع صفية -رضي الله عنها-: «على رسلكما، إنما هي صفية بنت حيـيّ» ثم قال: «إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا»[١].

٩ - التزهد في الدنيا والتقلل منها بقدر الإمكان، فإن العالم -وكذلك المتعلم- أعلم الناس بخساستها، وفتنتها وسرعة زوالها، وكثرة تعبها، فهو أحق بعدم الاشتغال بهمومها، والصبر على ضيق العيش فيها. قال الإمام أبو حنيفة -رضي الله عنه-: "يستعان على الفقه بجمع الهم، ويستعان على حذف العلائق بأخذ اليسير عند الحاجة، ولا يزد"[٢]. وقال الشافعي -رضي الله عنه-: "لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه ببذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح"[٣].

١٠- الاحتراز عن العصبية المذهبية فهي من أعظم أسباب تنفير الناس عن الدين، وتفريقهم

١- أخرجه البخاري برقم: ٢٠٣٥، ومسلم برقم: ٢١٧٥.

٢- أخرجه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" برقم: ٨٢٧.

٣- أخرجه البيهقي في "مناقب الشافعي".

وتحزيبهم حزبا. والتي تؤدي إلى تفشي الفوضى الأخلاقية، وسوء الأدب مع أهل العلم.

وكثيرا ما أفضت هذه الخصومات الجدلية إلى فتن ومشاحنات بين أتباع المذاهب، صاننا الله من نوازغ التعصب، وقاتل التعصب فما أوقحه! فأصلحوا بينكم دينكم ودنياكم وتواصوا بالحق والصبر بحيث لا يفضي إلى شحناء، ولا يورث بغضاء كما تصلح المرآة، تخبرك بعيبك ثم تنساه لا تحدثك به، فضلا أن تحدث غيرك، ومابكم لو تحاببتم وتواخيتم بنعمة الله إخوانا، ولِئتم فكنتم كالنحلة تأكل طيبا، وتضع طيبا، وإذا وقعت على عود لم تكسره وأصبحتم خالية صدوركم عن الغش والحسد والخيانة وغيرها من الأمراض في حق إخوانكم المؤمنين؟ ولو لم يكن في ذلك إلا إراحة النفس لكفى، فلم تنغصون على أنفسكم دنياكم وأخراكم بأنفسكم؟ ألا إن عدوكم الشيطان فلم لا تتخذونه عدوا؟

١١- الاعتدال في الدين، وفي عامة شؤون الحياة، والاعتدال سبيل بين الإفراط والتفريط.

١٢- المحافظة على الوقت الذي هو رأس مال الإنسان، وأثمن من كل شيء، لا يُقوَّم بشيء نفاسة وغلاء، وأعظم من أن يفرط فيه العاقل، وأهل العلم أحق الناس بالتأدب بهذا الأدب؛ لأنهم أعلمهم بحقيقة ذلك كله.

وقد كان السلف ومن سار على منهجهم من الخلف أحرص الناس على كسب الوقت، ومَلئه بالخير، سواء العالم في ذلك والعابد.

فهذا إمامنا أبو يوسف -رضي الله عنه- يباحث في حالة النزع، كيلا تخلي اللحظة الأخيرة من حياته من كسب العلم وإفادة واستفادة، قال تلميذه القاضي إبراهيم بن الجراح الكوفي[١]: "دخلت على أبي يوسف -رحمه الله- في مرضه الذي مات فيه ففتح عينيه، وقال: الرمي راكبا أفضل أم ماشيا؟ فقلت: ماشيا. فقال: أخطأت. فقلت: راكبا. فقال: أخطأت، ثم قال: كل رمي كان بعده وقوف فالرمي فيه ماشيا أفضل، وما ليس بعده وقوف فالرمي راكبا أفضل. فقمت من عنده،

١- هو إبراهيم بن الجراح التميمي المازني الكوفي نزيل مصر، تفقه على أبي يوسف، وأخذ عنه الأمالي، وهو آخر من روى عنه. (ت: ٢١٧هـ) ر: الجواهر المضيئة.

فما انتهيت إلى باب الدار حتى سمعت الصراخ لموته، فتعجبت من حرصه على العلم في مثل تلك الحالة"[١].

وروي أن داود الطائي -رحمه الله-[٢] كان يستفُّ الفتيت[٣]، ويقول: بين سفِّ الفتيت وأكل الخبز قرءاة خمسين آية. وكان عثمان الباقلاني[٤] دائم الذكر لله تعالى، فقال: "إني وقت الإفطار أحس بروحي كأنها تخرج لأجل اشتغالي بالأكل عن الذكر"[٥].

وقال عمر الفاروق -رضي الله عنه-: "إني لأكره أن أرى أحدكم سَبَهْلَلاً [أي فارغا] لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة"[٦][٧].

فعليك أن تحرص على كسب الزمن، وملئه بالخيرات، بتنظيم أعمالك وأوقاتك، متعلما أو معلما أو مؤلفا أو مطالعا أو مستمعا أو قارئا أو عابدا بترك الفضول في كل شيء، والابتعاد عن المجالس الخاوية، ومصاحبة المجدِّين النبهاء الأذكياء، المغتنمين للأوقات، المنتهزين للدقائق واللحظات، وقراءة أخبار العلماء العاملين المحافظين على الساعات والآنات، فإن ذلك يعرِّفك بقيمة الزمن ويجعلك تحافظ عليه ولا تبيده.

والآثار عن السلف في هذا الباب كثيرة، وما ذكرنا من ذلك يكفي للاعتبار والانزجار،

١- المبسوط للإمام الأجل السرخسي -رحمه الله-: كتاب المناسك، باب صفة الحج.

٢- هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي من عباد الكوفة وزهادها، تلمذ لأبي حنيفة -رحمه الله-. (ت: ١٦٥ أو ١٦٦هـ) ر: تاريخ الإسلام، ترجمة رقم: ٣٦٩٥، وطبقات ابن سعد.

٣- يستف الفتيت: يتناوله يابسا غير ملتوت بمرقة أو نحوها، والفتيت: المفتوت، أي المدقوق، خبزا كان أو غيره من المأكولات.

٤- هو أبو عمر عثمان بن عيسى الباقلاني من أهل بغداد، وأحد الزهاد المتعبدين، ولازمي الخلوة، كان يقول: "أحب الناس إلي من ترك السلام علي، لأنه يشغلني بسلامه عن الذكر. (ت: ٤٠٢هـ) ر: المختار لابن الأثير.

٥- خبرا داود الطائي وعثمان الباقلاني كلاهما في صيد الخاطر: فصل الوقت كالسيف.

٦- أورد هذا الأثر في النهاية في غريب الحديث وفي الفائق للزمخشري واللسان لابن منظور، ولم أظفر له بمصدر سواها.

٧- وقال الوزير يحي بن هبيرة الحنبلي:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

وحسبنا من القلادة ما أحاط بالجيد[١].

١٣- الإقلال من الكلام، وكثرة الصمت. وقد أمرنا مطلقا بالإقلال من الكلام، فالعالم والمتعلم به أولى، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت»[٢].

وقال -صلى الله عليه وسلم- في حديث طويل لمعاذ -رضي الله عنه-: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسانه، وقال: «كف عليك هذا» قلت: يا رسول الله! أو إنا لمؤاخذون بما نتكلم؟ قال: «ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[٣].

وأفاد والدي الشيخ -حاطه الله بكلائته وسيرني على مسيره- في درس "مشكاة المصابيح" في شرح هذا الحديث فقال: «حصائد ألسنتهم» أي: محصودات ألسنتهم، من الكفر والقذف والشتم والغيبة والنميمة والبهتان، فكما أن المنجل يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس، والجيد والرديء، فكذلك ألسنة الناس، ثم تمثل ببيتي الشافعي وأنشد:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان

١- أخلصوا لله أخلصوا لله :

قلت: إخوتي وأخواتي! احفظوا علي واحدة، إنكم مهما تحملتم المشاق وأدأبتم السهر بالليالي وأفنيتم أعماركم في التعلم والتعليم وسائر العبادات ثم أتاكم الموت وأنتم في هذه الحالة لا يكون لكم من عملكم إلا ما أخلصتم فيه لله تعالى، وأحسنتم فيه النية، فإن من سعى فنواله ما نوى، ولا ينال فضل الله إلا من ابتغاه، أو من اختاره الله تعالى واجتباه، وبون كبير بين من شكر له سعيه وبين من خاب مسعاه. فأحسنوا نياتكم وأخلصوا أعمالكم لله تعالى، واحتسبوا كل صغيرة وكبيرة على الله، فالله تعالى عند ظن العبد، واخسؤوا عنكم هذه الكلبة النباحة، أعني الدنيا الدنية، ولا تكالبوا عليها، بل خذوا منها حذركم ليوم تلقون فيه ربكم-جل وعلا- حتى لا يكون سعيكم -نصبكم وأرقكم وتسويد ورقكم- حسرات عليكم، ولات حين ينفع و احسرتاه، و يا ويلتاه، وما علينا إلا البلاغ.

٢- أخرجه البخاري برقم: ٦٠١٨، ومسلم برقم: ٤٧-٧٥.

٣- أخرجه الترمذي برقم: ٢٦١٦، وابن ماجة برقم: ٣٩٧٣، وأحمد في مسنده برقم:٢٢٣٦٦

كم في المقابر من قتيل لسانه   كانت تهاب لقائه الأقران [١][٢]

وقال بعض الحكماء: الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فإذا تكلم بها عاد أسيرا في وثاقها.

وقيل: في السكوت تسعة أعشار العافية. وقيل: السكوت هيبة من غير سلطان. وقيل: من أكثر الكلام يسرق عمره، ويضيع أوقاته.

والأحاديث والآثار والقصص والأخبار والأشعار في هذا الشأن كثيرة غير محصاة، وفي ما ذكرنا كفاية لأولي الألباب.

١٤- الاعتناء بالمظهر العام، فهو يعطي العالم من المهابة والمكانة ما يعظمه في عيون الناس، كما يدل على تعظيم العلم. وهو قدوة للمتعلم، والمتعلم لا يدع الاقتداء به في كل شيء، لذا وجب عليه أن يكون دائما في صورة طيبة، دون مغالات أو إسراف، فالأنظار ترمقه، ونفوس تلاميذه تميل إلى تقليده ومحاكاته. ثم العناية بالمظهر الخارجي تكون بأشياء كما ذكر أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني في كتابه "أدب الإملاء والاستملاء" في "أدب المملي" منه، فقال: ويستحب أن يكون المملي في حال الإملاء على أكمل هيأة، وأفضل زينة، ويتعاهد نفسه قبل ذلك، بإصلاح أموره التي تجمله عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين:

أ- وليبتدئ بالسواك .....

ب- وليقصّ أظافره إذا طالت .....

ج- وليأخذ من شاربه .....

د- وليُسكّن شعث رأسه .....

هـ- وليلبس من الثياب البيض .....

و- وليكوّر العمامة .....

ز- وليسرّح لحيته .....

١- ديوان الشافعي: قافية النون. والأقران: الأبطال الشجعان.

٢- هذا الجسم المستطيل -أعني اللسان- أفسد شيء على المرء مع أنه مغلق بغلقين: الأسنان والشفتين، وأجرح من السيف مع أنه لحم محض لا عظم فيه.

ح- وليستعمل من الطيب إذا كان عنده .....

ط- ولينظر في المرآة .....

ي- وليقتصد في مشيه إذا قصد المجلس ..... آهـ

قالت الأمة الضعيفة -لطف الله تعالى بها-: قال الشيخ الوالد -لا زلنا نتفيأ ظلال إرشاده- في درس صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري -رضي الله عنه- في شرح حديث أم السنة: يستحب لأهل العلم البيض من الثياب؛ فإن جبريل -صلوات الله عليه- جاء متعلما -ظاهرا- ومعلما -باطنا- شديد بياض الثياب.

قالت الأمة الضعيفة: الملائكة أنصح عباد الله لعباد الله، كما أن الشياطين أغش خلق الله تعالى لخلق الله.

١٥- ينبغي لكل واحد من المعلم والمتعلم أن لا يخل بوظيفته لعروض مرض خفيف ونحوه، مما يمكن معه الاشتغال، ويستشفي بالعلم، ولا يخل به لعوارض تعرض من نحو لقاء غائب قدم، أو فرح كالعقيقة والتهنئة، أو عيادة مريض، وليفعل كل ذلك في غير أوقات الدراسات.

تذنيب

في الآداب مع الكتب والحث على تحصيلها

على المعلم والمتعلم جميعا أن يهتم بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه؛ لأنها آلة تحصيل العلم، وجزء هام لا يمكن الاستغناء عنها التي لقبت بخير الجلساء في الدنيا من حيث إنها تزيل عن الناظر فيها الهموم الواردة والأفكار الحادثة.

فلهذا لزام على العالم والمتعلم حفظها والتأدب معها، فمن يرضى بأن يضيع نفائس الأشياء من اللآلي واليواقيت؟ والكتب أغلى وأثمن من هذه النفائس، سواء كان الكتاب مملوكا له أو مستعارا أو وقفا في جامعة.

قال الإمام البدر بن جماعة في "تذكرة السامع والمتكلم" ما ملخصه:

- لا يجعل الكتاب خزانة للكراريس أوغيرها، ولا مخدة، ولا مروحة، ولا مسندا، ولا متكأ، ولا مقتلة للبق وغيره، ولاسيما في الورق فهو على الورق أشد.
- لا يطوي حاشية ورقة، ولا يعلّم[١] بعود أو شيء جاف بل بورقة أو نحوها.
- إذا نسخ من الكتاب أو طالعه فلا يضعه على الأرض مفروشا منشورا، بل يجعله بين كتابين أو شيئين، أو كرسي الكتب[٢] كيلا يسرع تقطيعه، وإذا وضعها في مكان مصفوفة فلتكن على كرسي أو تخت أو خشب[٣] والأولى أن يكون بينه وبين الأرض خلو، ولا يضعها على الأرض كيلا تتندى أو تبلى[٤]. وإذا وضعها على خشب أو نحوه جعل فوقها أو تحتها ما يمنع تأكل جلودها به.

١- هكذا في الأصل بتشديد اللام ولعل الصحيح: يعلم، من الإعلام، أي: لا يجعل العود ونحوه علامة في الموضع المطلوب من الكتاب.

٢- هو الرحل.

٣- أو على الرفوف العصرية للكتب.

٤- تتندى: تبتل. وتبلى: تخلق، ويضعف حبله وجلده.

○ ويراعي الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها، وجلالة مصنفيها، فيضع الأشرف أعلى الكل، ثم يراعي التدريج، فإن كان فيها المصحف وضعه أعلى الكل، ثم كتب الحديث الصرف، كـ"صحيح مسلم" -رحمه الله- ثم تفسير القرآن الكريم، ثم تفسير الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم الفقه، ثم النحو وهكذا ....

○ إن كان الكتاب من مكتبة الجامعة فلا بأس بالنسخ منه مع الاحتياط، ولا بإصلاحه ممن هو أهل لذلك، ويحسن أن يستأذن الناظر فيه[1]، وإذا نسخ منه بإذن صاحبه فلا يكتب منه والقرطاس في بطنه أو على كتابته، ولا يضع المحبرة عليه ولا يمر بالقلم الممدود فوق كتابته. [ولا يصور منه بالماكينات العصرية إلا بإذن صاحبه] انتهى مع تصرف[2].

وهذا جملة ما رمنا إيراده مما يحتاج إليه من أراد النجاح، من راعاها فاز بمرامه وأفلح ومن لا فلا يلومن إلا نفسه. والله ولي التوفيق وهو أعلم.

آداب هذا الباب مثل جواهر ... جواهر إلا أنهن آداب

١- ناظر الكتب: محافظها والمنظم لها.

٢- كان حال السلف الصالح مع كتبهم أنهم كانوا يأنسون بالكتب ويستوحشون من الناس، ولا يعدلون بلذة الجلوس مع الكتاب شيئا، ويرون الازدياد من العلم والمعرفة حقا مستحقا عليهم لله تعالى وللمسلمين وللدين ولمتعة العقل والقلب، ولذا كان فقد الكتب عندهم رزية من الرزايا، ولقد تغير ذهن كثير منهم بسبب نكبته في كتبه، فقد ذكر الحافظ ابن حجر في "تهذيب التهذيب" في ترجمة الليث بن سعد -رحمه الله- أنه لما احترقت كتب عبد الله بن لهيعة وصله الإمام الليث بن سعد المصري بألف دينار تخفيفا من مصابه". آهـ

وهذه فاجعة كبرى من فواجع العلماء بفقد الكتب نزلت بأبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي (ت: ٥٦٩هـ) فذكر القاضي ابن خلّكان في ترجمته في "وفيات الأعيان": "ثم إن أبا محمد ترك بغداد، وانتقل إلى المَوصِل قاصدا جناب الوزير جمال الدين الأصبهاني المعروف بالجَوَاد، فتلقاه بالإقبال وأحسن إليه، وأقام في كَنَفِه مدة، وكانت كتبه قد تخلّفَتْ ببغداد، فاستولى الغَرَقُ تلك السنة على البلد، فسَيَّرَ من يُحضِرها إليه إن كانت سالمة، فوجدها قد غَرِقَتْ! وكانت خلف داره مَدْبَغَة فغرقت أيضا، وفاض الماء منها إلى داره، فتَلِفت الكتب بهذا السبب زيادةً على إتلاف الغَرَق، وكان قد أفنى في تحصيلها عُمْرَه، فلما حملت إليه على تلك الصورة! أشاروا عليه أن يُطَيِّبها بالبخور، ويصلح منها ما يمكن، فبخَّرها باللّاذَن، ولازم ذلك إلى أن بخَّرها بأكثر من ثلاثين رطلا لاذنا، فطلع ذلك إلى رأسه وعينيه، فأحدث له العَمَى وكُفَّ بصره". آهـ واللاذَن -قال في "اللسان"- : من العلوك. وقيل: هو دواء بالفارسية. -

....

- وقال الحافظ السخاوي -رحمه الله- في "فتح المغيث بشرح ألفية الحديث": "كان أبو أيوب بن داود الشاذكوني -ت:٢٣٤هـ- رُئِيَ بعد موته في النوم فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ قال: غفر لي، فقيل: بما ذا؟ قال: كنت في طريق أصفهان فأخذني المطر وكان معي كتب ولم أكن تحت سقف ولا شيء، فانكببت على كتبي حتى أصبحت وهدأ المطر، فغفر الله تعالى لي بذلك في الأخرين". آهـ

قلت: والكتب مع هذه المنزلة العالية والحب الشديد في قلب العالم قد تكون لبعض الزوجات أنكى من الضرة وآلم من الصداع الدائم للرأس.

فذكر الخطيب في "تاريخ بغداد" في ترجمة الزبير بن بكار القرشي -ت:٢٥٦هـ-: "قال زبير بن بكار: قالت ابنة لأختي لأهلنا [يعني زوجته]: خالي خير رجل لأهله، لا يتخذ ضرة ولا يشتري جارية فقالت المرأة: والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر". آهـ

الفصل الأول

في معنى الفقه وحكمه التكليفي وما يتصل بذلك

ويحتوي على عديد من المباحث:

المبحث الأول

في معنى الفقه لغة وشرعا وموضوعه وغرضه ومأخذه

معنى الفقه لغة:

الفقه لغة: الفهم والعلم[١]، ويستعمل من بابي "سمع" و"كرم"، وقد نقله بعض أهل اللغة من باب "فتح" أيضا إلا أنه نادر. ثم إذا أطلق من باب "كرم" يكون معنى قولك: "فقه فلان" صار الفقه سجية له وطبيعة؛ لأن هذا الباب يستعمل في الطبائع.

وقال بعض أهل اللغة: الفقه حقيقة: الشق والفتح، والفقيه: العالم الذي يشق الأحكام ويفتش عن حقائقها ويفتح ما استغلق منها.

وما وقعت من الكلمات العربية فاءه "فاء"، وعينه "قافا"، جُلّه دال على هذا المعنى، نحو قولهم: "تَفَقَّأَ شحما"، و"فقّح الجرو"[٢]، و"فَقَّر للفَسيل"[٣]، و"فَقَصْتُ البَيْض"[٤]، و"تَفَقَّعَتِ الأرضُ عن

١- الفرق بين العلم والفقه: أن الفقه هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله، ولهذا لا يستعمل الفقه في صفات الله -عزو جل- لأنه-تعالى شأنه- لا يوصف بالتأمل. وتقول لمن تخاطبه: تفقَّه ما أقوله، أي: تأمَّلْه لتعرفه، والعلم لا يتقيد بالتأمل.
والفرق بين الفهم والعلم: أن الفهم هو العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصة، والعلم لا يتقيد به، ولهذا لا يجوز أن يوصف الله تعالى بالفهم، لأنه عالم بكل شيء على ما هو به في ما لم يزل. فالتحقيق: أن هذا الأصل -أي: الفقه- هو فهم على دقة وتأمل، وبهذا القيد يفترق عن مواد: العلم والمعرفة والفهم وغيرها. انظر: "التحقيق في كلمات القرآن الكريم" للمحقق المصطفوي، مادة: فقه.

٢- فَقَّحَ الجروُ: أي: فتح عينيه أول ما يفتح وهو صغير.

٣- فَقَّرَ للفَسيل: أي: حفر لها موضعا تغرس فيه. والفسيل: صغار النخل.

٤- فَقَصْتُ البيض: أي: كسرتها.

الطُّرْثوث"(١).

معنى الفقه شرعا:

والفقه شرعا: "العلم بالأحكام الشرعية مع عللها وحدودها ومقاصدها، من أدلتها التفصيلية."

فالفقيه: من له ملكة راسخة في علم الأحكام الشرعية بمعانيها وعللها وحدودها، ولا تُنال هذه الملكة إلا بطول صحبة أصحابها.

وروي عن أبي حنيفة -رضي الله عنه- قال: "الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها". فمن عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف ربه لا محالة يكون فقيها، ومعرفة الرب -تعالى شأنه- هو الفقه الأكبر.

ومن حفظ المسائل ولم يعرف علل الأحكام وحدودها ومقاصدها لا يكون فقيها أصلا، ومثله إذا تصدى للإفتاء فيخلط خلط العشواء، هادما الأحكام، مستأصلا الإسلام، فقد يجعل السخاء إسرافا وهو مطلوب، وقد يجعل الإسراف سخاء وهو حرام، فقد ضل وأضل، وهذا هو السم القاتل للأمة(٢).

موضوع الفقه:

وموضوعه: عمل المكلف. فيذكر في الفقه أحكام تتعلق بعمل المكلف حلا وحرمة، وصحة وفسادا، ووجوبا وندبا. والمكلف هو العاقل البالغ.

١- الطُّرْثُوْث: نبت رملي طويل. ومن هذا الباب أيضا قولهم: "فَقَر صُلبه" أي: كسر فقار ظهره.

٢- في "شرح عقود رسم المفتي" لابن عابدين الشامي -رحمه الله- نقلا عن فتاوى ابن حجر: أن ابن حجر سئل في شخص يقرأ ويطالع في الكتب الفقهية بنفسه، ولم يكن له شيخ ويفتي ويعتمد على مطالعته في الكتب، فهل يجوز له ذلك أم لا؟ فأجاب بقوله: لا يجوز له الإفتاء بوجه من الوجوه؛ لأنه عامي جاهل، بل الذي يأخذ من المشايخ المعتبرين لا يجوز له أن يفتي من كتاب ولا من كتابين، بل قال النووي: ولا من عشرة، فإن العشرة والعشرين قد يعتمدون كلهم على مقالة ضعيفة في المذهب، فلا يجوز تقليدهم فيها. ثم قال ابن عابدين: إنه إذا تسور هذا المنصب الشريف يلزمه التعزير البليغ، والزجر الشديد الزاجر ذلك لأمثاله عن هذا الأمر القبيح الذي يؤدي إلى مفاسد لا تحصى. آه

غرض الفقه:

والغرض منه: ابتغاء مرضاة الله -جل وعلا- والتقرب إليه تعالى، فبهذا يسعد الفقيه في الدارين الدنيا والآخرة، بل سعادة كل واحد من بني آدم منوطة بالفقه.

مآخذ الفقه:

ويؤخذ الفقه من أربعة مآخذ: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- من أقواله وأفعاله وتقاريره، وإجماع الأمة، والقياس على الأصول الثلاثة، وهو تعدية حكم الأصل إلى محل غير منصوص بعلة تجمعهما، وتستخرج تلك العلة بالنظر والتأمل، وهذا النظر والتأمل هو الاجتهاد.

المبحث الثاني

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

في حكم الفقه التكليفي

اعلم أن تعلم الفقه والحلال والحرام يأخذ الحكمين التاليين:

أ- فرض العين -وهو الواجب على كل مسلم- وذلك معرفة الأحكام التي تتعين على المسلم ويجب عليه شرعا فعلها، فيكون تعلمها فرض عين عليه؛ لأن العلم طريق العمل، وما لا يتم الواجب إلا به يكون واجبا، كتعلم كيفية الوضوء والصلاة والصوم وغيرها من الواجبات العينية على كل مسلم. ويدخل في ذلك ما يتعلق بالشخص خاصة في عباداته ومعاملاته، كالزكاة للغني، والحج لمن استطاع، وأحكام البيع لمن يريد ممارسته. ويدخل في هذا القسم أيضا ما يحل وما يحرم من المأكول والمشروب والملبوس ونحوها مما لا غنى للمسلم عنها، فكل ذلك فرض عين ويجب تعلمه ليعمل بموجبه.

ب- فرض الكفاية، وهو التخصص والتبحر في الفقه وسائر العلوم الإسلامية، فقال -عزو جل- : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

المطلب الثاني

في ضرورة الفقه وعظمته

ومن المعلوم عـند كل أحد أنه لا علم بعد العلم بالله -تعالى شأنه- وصفاته أشرف من علم

١- التوبة: ١٢٢.

الفقه، وهو المسمى بعلم الحلال والحرام، وعلم الشرائع والأحكام، فلا حال ولا زمان ولا مكان إلا والمسلم فيه باحتياج إلى الفقه، ولست أراني أبالغ لو قلت: إن المسلم أشد حاجة إلى الفقه من حاجته إلى الهواء والطعام والشراب[١].

له بعث الرسل وأنزل الكتب، وقال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٢] قيل في بعض وجوه التأويل: الحكمة: الفقه في الدين. وهو المنقول عن الإمام مالك بن أنس -رضي الله تعالى عنه- كما ذكره المفسر القرطبي[٣] وغيره.

وروي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[٤] قيل في تأويله: إن التنوين في "خير" للتعظيم، ومعناه: من أراد الله تعالى به خيرا عظيما جعله فقيها في الدين.

وقال أيضا -صلى الله عليه وسلم- : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»[٥] وقال -صلى الله عليه وسلم-: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»[٦].

وهذا لأن العابد على خطر من إضلال الشيطان إياه، والفقيه بفضل الله وكرمه يعرف مكايد الشيطان وفتنه فيحفظ نفسه وغيره من إضلاله.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «العلماء ورثة الأنبياء»[٧] فهم ورثوا علوم النبوة وفرائضها، وصاروا خلفائهم -صلوات الله عليهم ورضي الله عن ورثتهم-.

فالفقه الإسلامي نظام شامل للمجتمع البشري، تام الأحكام، لم يدع شاذة ولا فاذة، بل

١- لأن غاية ما يترتب على عدم التنفس والطعام والشراب الموت وتعطل البدن، وأما ما يلزم عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة، وهو هلاك الأبد.

٢- البقرة: ٢٦٩ .

٣- تفسير القرطبي: ٣/٢٢٣ .

٤- أخرجه البخاري برقم: ٧١ ، ومسلم برقم: ٢٣٨٩ .

٥- أخرجه الترمذي برقم: ٢٦٨٥ .

٦- أخرجه الترمذي برقم: ٢٦٨١ ، وابن ماجة برقم: ٢٢٢ .

٧- تقدم تخريجه.

استقصى أحكام الشؤون الاجتماعية والانفرادية جميعها، حتى دخل مع الرجل بيته، وحكم بينه وبين زوجته، وبينه وبين ولده .... وهلم جرا.

وفي صحيح مسلم -رحمه الله- عن سلمان -رضي الله عنه- قال: «قال لنا المشركون: إني أرى صاحبكم يعلمكم، حتى يعلمكم الخرأة! فقال: أجل، إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه، أو أن يستقبل القبلة، ونهانا عن الروث والعظام، وقال: لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار»[١].

فالأمة الإسلامية لا حياة لها بدون الفقه ولا رابطة ولا جامعة تجمعها سوى رابطة الفقه وعقائد الإسلام.

ولأجل هذه الأهمية للفقه والعظمة بذل الأئمة السلف الصالحون جهودهم في حمل هذه الأمانة العظمى، وعانوا في سبيل حفظه ونشره من الشدائد والمصاعب ما لا يخفى[٢].

فروي أن أبا حنيفة -رضي الله تعالى عنه- أعظم أساطين السنة الأربعة- صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، فكان -رضي الله تعالى عنه- يصلي بالليل ويستنبط الأحكام من النصوص.

فإن قال قائل: بوضوء العشاء كان يصلي الفجر؟ كيف يمكن هذا؟!

قلت: قد أمكن منا أن تختلج في أذهان أمثالنا هذه المغالطات؛ لما أننا نقيسهم على أنفسنا، هيهات! فليس هذا إلا مغالطة قياس الإنسان غيره على نفسه، والصالح على الطالح، كلا بل بيننا وبينهم بون كبير، وشأو بعيد، والحق كما قال الشاعر:

کار پاکان را قیاس از خود مگیر[٣]

١- أخرجه مسلم برقم: ٦٠٧ .

٢- على من له خبرة بالسير والتواريخ.

٣- صدر بيت للشيخ جلال الدين الرومي صاحب "المثنوي"، وعجزه: گرچه ماند در نوشتن شَیر وشِیر

ومراد البيت: لا تقس الأولياء وأفعالهم على نفسك، فإنه وإن كان فعلك وأفعالهم سيين صورة، ولكن بينهما بون بائن معنى، كما أن "شَير" (بالفتح وهو: الأسد) و"شِير" (بالكسر وهو: اللبن) مثلان في صورة الكتابة وبين معانيهما بعد باعد، فالأول يأكل الإنسان، والثاني يأكله الإنسان.

وبعد هذا البيت ببيتين: -

ولقد صدق الإمام أبو عمرو بن العلاء -التابعي الكبير أحد الأئمة القراء السبعة-[١] حيث قال: "ما نحن في من مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال.[٢]" وهذا لأن أبا حنيفة -رضي الله تعالى عنه- كان يجتهد، والليل أوفق للاجتهاد؛ لمكان السكون والخلوة.

وقيل عنه -رضي الله تعالى عنه-: إنه كان يقرأ القرآن كله في ليلة واحدة؛ لتكون جميع نصوص القرآن مستحضرة في الذهن، فيسهل استنباط الأحكام منها، وهذا لأن العبور على جميع النصوص واستحضارها من ضرورات الاستنباط والاجتهاد ولو في مسألة واحدة. أما النظر في حديث واحد والأخذ به من غير تأمل في سائر النصوص لا يكون أخذا بالدليل، ولا يكون من الفقه في شيء.

وهذا إمام دار التنزيل أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي -رضي الله تعالى عنه- لسعته عقرب في مجلس التحديث فلم يتحرك لما يجد من شدة الألم؛ تعظيما لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .

وذاكم الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي -رضي الله تعالى عنه- كان قليلا من الليل ما يهجع، بل كان يقول:

سهري لتنقيح الـعلوم ألذُّ لي　　　من وصل غانية وطيب عناق[٣]

أشقياء را دیدهٔ بینا نبود　　　نیک وبد در دیده شاں یکساں نمود

همسری با انبیاء برداشتند　　　اولیاء را همچو خود پنداشتند

گفته اینک ما بشر ایشاں بشر　　　ما وایشاں بستهٔ خوابیم وخور

ایں نه دانستند ایشاں از عمی　　　هست فرقے در میاں بے منتهی

وهي في "المثنوي": الدفتر الأول، حكايت مرد بقال وطوطى وروغن ريختن طوطى در دكان.

١- هو أبو عمرو بن العلاء المازني البصري، قرأ القرآن على جماعة من التابعين، منهم: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وأخذ عنه القراءة: أبو عبيد معمر بن المثنى وغيره، وكان رجلا مهيبا، جَلَّ أن يخاطب باسمه؛ ولذلك اختلفوا في اسمه على عشرين قولا. (ت: ١٥٤ هـ) ر: أحاسن الأخيار في محاسن السبعة الأخيار: ٣٦٧ .

٢- موضِّح أوهام الجمع والتفريق: مقدمة الكتاب.

٣- تنقيح العلوم: تهذيبها وتصفيتها. والعِناق: مصدر المفاعلة من العنق، ومعناه: إدناء العنق من العنق.

وصرير أقلامي على صفحاتها أحلى مـن الـدُّوكاه والعشاق[١]
وألـذّ من نقـر الفتاة لـدُفِّها نَقري لألقي الرمل عن أوراقي[٢]
وتـمايلي طَـرَبا لحَل عَويصة أشهى وأحلى من مُدامة ساق[٣]
وأبيت سهران الدُّجى وتبيته نـومـا وتـبـغي بعد ذاك لحاقي[٤]

وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الإمام -رضي الله تعالى عنه- رابع أساطين السنة الأربعة- يسجن ويضرب بالأسواط فيصبر.

وجاء في "مناقب الإمام أحمد" لابن الجوزي: قال صالح بن أحمد بن حنبل: رأى رجل مع أبي محبرة، فقال له: يا أبا عبد الله! أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين. [يعني: كيف تحمل المحبرة؟!] فقال: "مع المحبرة إلى المقبرة." فللّه دره وصبره وشوقه للعلم، ولله بذله حياته في تحصيل العلم وجمعه.

ومثل هذه الواقعات كثيرة في سير هؤلاء الأئمة الأربعة وغيرهم من أسلافنا الصالحين -رضي الله تعالى عن الجميع- يضيق نطاق هذا الكتاب عنها. فهم بلّغونا هذه الأمانة العظمى، ونهضوا لنشرها في جنبات الأرض، وبذلوا في سبيلها الأنفس والأموال، وتحملوا مكابد الأسفار ومتاعبها، فكانوا بحق ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٥]، وحفظ الله تعالى بهم دينه القيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ﴾[٦].

وقـد روي عـن رسـول الله -صـلى الله عـليه وسلم- أنـه قـال: «عـلماء أمـتي كأنبياء بني

١- الصرير: صوت القلم. والدُّوكاه: نوع من أنواع النغم المطرب عندهم. وفي أكثر نسخ ديوان الشافعي: الدوكاء بالهمز، وهو خطأ؛ لأن معناه لا يصح ههنا.

٢- نقر الدف: الضرب عليه.

٣- العويصة: المشكلة. والمدامة: الخمر. والساقي: الذي يسقي الناس الخمر في الخانات وغيرها، والجمع: سقاة.

٤- ديوان الشافعي: قافية القاف.

٥- آل عمران: ١١٠ .

٦- الحجر: ٩ .

إسرائيل»[١] فتحملوا علوم النبوة وأعبائها، ورعوها حق رعايتها، وقال: -صلى الله عليه وسلم- «العلماء ورثة الأنبياء»[٢]

فلو قُدّر فقه المذاهب الأربعة مفقودا فوالله ما أعلم أحدا يستطيع استنباط مسألة من المسائل، فهم للفقه، والفقه لهم، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

ثم بعد هؤلاء الأئمة قام بخدمة أقوالهم واجتهاداتهم، وبيان قواعدهم وطرق فقههم، وتمحيص أدلتهم مشايخ الفقه، وهم المجتهدون في المذاهب، فحفظوا الفقه وشرحوا وأوضحوا، ورجحوا، وأدّوا حق حمل العلوم الإسلامية حتى بلّغونا ثمرة مجنية، فجزاهم الله تعالى عن جميع الأمة خير جزاء.

هذا ولكننا نشاهد أيما تفاوت بين حالنا اليوم وحال العلماء وطلاب العلم في القديم، فقد كانوا يضربون أكباد الإبل، ويقطعون الفيافي والقفار في الليالي والهواجر مشيا على الأقدام، ويقعون في المتاعب والمهالك حتى يلقوا عالما أو يسمعوا محدثا أو يأخذوا عن فقيه أو يتلقوا من أديب. أما اليوم فقد هيّأت للدارس سبل الراحة، بل سبل الرفاهية في كل شأن من شؤون العلم والحياة، فهو يدرس الآن في أمكنة الدراسة المريحة ذات الأجواء المكيفة، والأنوار الوضّاءة، والهواء الناعم البارد صيفا، والدافئ المريح شتاء، وتقدم له الكتب المطبوعة المخدومة بالعناية والإخراج الجميل، وبعض المعاهد تقدم الكتب مجانا، وتيسرت للدارس الراحل عن بلده أسباب السفر ووسائله، ولو إلى أقصى الشرق أو الغرب، بسرعة مذهلة وراحة شاملة.

ومع هذه الأسباب وسبل الرفاهية نرى انحطاطا كبيرا وتراجعا مستمرا في مستوى العلوم الإسلامية العالية من التفسير والحديث والفقه، بل وفي العلوم الآلية أيضا، فأصبحنا نرى "دكاترة" بكثرة قد حازوا على الشهادات العليا من غير كفاءة علمية، لا يقدرون على تفسير آية تفسيرا صحيحا، ولا على شرح حديث واحد شرحا واضحا، ولا على بيان مسألة واحدة من

١- قال النجم الغزي: قال الدميري والزركشي: لا أصل له ... نقله جازما بأنه حديث مرفوع الفخر الرازي والشيخ موفق بن قدامة والإسنوي والبارزي واليافعي. ر: إتقان ما يحسن من الأخبار الواردة على الألسنة، حديث رقم: ١١٢٢ . وقال النجم الغزي أيضا في "حسن التنبه" -في الخاتمة من باب التشبه بالنبيين-: "هذا اللفظ معناه صحيح، وأمامن حيث النقل فإن العلماء الذين نقلوه حديثا ثقات، فالأولى حمل أمرهم على أنهم ظفروا به مسندا، ولم نظفر به نحن".

٢- تقدم تخريجه.

الفقه بيانا تاما. بل ولا يستطيعون أن يقرؤوا عبارة كتاب من كتب التفسير أو الحديث أو الفقه قراءة صحيحة وفق أصول الإعراب والتصريف واللغة والتجويد. وبالرغم من ذلك فهم مغرورون بشهاداتهم، وتصدروا لتعليم الأجيال.

ولقد أنصف وصدق بعض المعاصرين إذ حكى حاله عند بدء دخوله الجامعة، وعند انتهاء دراسته فيها:

دخلت الجامعة جاهلا متواضعا وخرجت منها جاهلا مغرورا

وفي لفظ: وخرجت منها جاهلا دكتورا.

ومن الأسباب المورثة لهذا الانحطاط أنهم ضيعوا أوقاتهم في أوهام المنطق والفلسفة، فقد أُدخلت اليوم أوهام المنطق ودقائقه الخيالية في بعض العلوم الإسلامية حتى فات المقصود منه.

ألا ترى إلى النحو -الذي قال فيه عمر الفاروق -رضي الله عنه- عليكم بالتفقه في الدين، والتفهم في العربية وحسن العبارة[1]- أدخلوا فيه المناقشات المنطقية وألبسوه ثوبا غير الذي كان عليه بحيث أخرجوا منه علم الإعراب، فلا يقدر أكثر المتخرجين على قراءة العبارات وفق قواعد الإعراب، ولا حتى على توضيح قواعد الإعراب.

أو ضيعوا أوقاتهم في زخرفة إلقاء الخطب على الناس وفلفلتها، أو في المناظرات والخصومات التي هي من الأسباب المهلكة لأهل العلم بل للأمة جمعاء، والتي تذهب بنور العلم وتورث الضغائن والتفرق والتحزب والتعصب بين أهل العلم، بل وبين جميع المسلمين، حتى أصبح بعضهم يكفر هذا ويبدع هذا ويفسق ذاك، وحتى أخذ المراء موضع المناظرة التي غرضها التناصح، وتفوت بها المقاصد العلمية والعملية، فالمناظر إنما يكون هدفه من بين مسائل الدين ما يجادل ويناظر فيه، وكذلك هذه المناظرات تورث قسوة القلب فلا يوفق للعمل، -هدى الله الجميع-.

ومن الأسباب الموبقة في العصور المتأخرة التلقيب بألقاب عالية خالية عن الحقائق، لها دوي وضخامة، وينفخ الشيطان في الملقب بها فيظن أنه شيء عظيم، وإنما هو طبل فارغ، وزق ملؤه

١- أثر عمر -رضي الله عنه- في فضائل القرآن لأبي عبيد: باب إعراب القرآن.

هواء[1]. وزمن أسلافنا -رضي الله تعالى عنهم- وهم آبائنا في الحقيقة- كان خاليا عن الألقاب، بل كان زمن الحقائق، ألا ترى في كتب الأئمة وكتب المشايخ: "قال أبو حنيفة ... قال أبو يوسف ... قال مالك ... قال الشافعي ... قال أحمد ... قال سفيان ... وهلم جرا.

فكانوا يجتهدون في تحصيل الحقائق العلمية والعملية، دون الألقاب والشهرة المُردية المهلكة. فعلينا أن نسلك مسلكهم ونسير مسيرهم، ونبذل الجهد في تحصيل تلك المقاصد العالية فإن من بذل جهده في الطلب والتحصيل، وتحمل المشاق والمتاعب، وغالب الصعاب والعقبات، لا يخيّب الله -تعالى وتبارك- مسعاه، ولا يهضم الناس حقه، ولا يتخلف عنه التفوق والنبوغ، وهذه سنة مطردة في الحياة أن "من كانت بدايته محرقة، كانت نهايته مشرقة". فطوبى لطالب علم ترك زينة الدنيا ولذاتها، وهوى النفس وراحاتها، وترك طول النوم والتواني، فلا يؤثر على العلم والفقه شيئا، أيقظ ليله، وأدأب نهاره، ونفسه لا تشبع من العلم، ولا تروى من المطالعة، ولا تمل من الاشتغال، ولا تكل من البحث والتعمق، ينام على العلم إذا نام، ويستيقظ على العلم إذا قام، فكان العلم سمير قلبه ولزيم لبه على الدوام، وأول شيء عنده في اليقظة، وآخر شيء عنده في المنام، وذلك كما قال الشاعر الحماسي:

١- قد قال ابن قرقول في هذا الشأن قولا أعجبني، فوددت أن أسرده هنا، قال: "ربما شاهدنا الشيخ المسموع بشأنه وثنائه، المتكلَّف شاقُّ الرحلة إلى لقائه، تنتظم به المحافل، ويتناوب الأخذ عنه ما بين نبيه وخامل، وفقيه وجاهل، وحضوره كعدمه، وبنائه كهدمه، كتبه مهملة من التقييد والضبط، من غير شكل ولا نقط، ثم لا وعي ولا حفظ، ولا نصيب من العناية بشيء مما يتعاطاه من الرواية، ولا حظ سوى: لقيت فلانا، وأجاز لي فلان، وأذن لي فلان، وسمعت على فلان، وكله أو أكثره زخارف وهذيان، لا تحصيل ولا توصيل. إن سئل عن تقييد لفظ أو تحقيق معنى جَبَهَ السائلَ [أي: استقبله بكلام فيه غلظة] وعاب المسائل، أو طولب بتأويل مشكل أو إقامة إعراب طوى الكتاب، وسد الباب، وهجرالأصحاب، وزعم أن البحث والطلب من سوء الأدب، قد حَمَى حِمى جهله بالتَّجْهِ [أي: برد الرجل عن حاجته أقبح الرد واستقباله بما يكره] وتقطيب الوجه، .... فلو لا أن الله سبحانه قيض لإقامة أودها [أي: عوجها] ومعاناة رمدها صبابات [الصبابة: البقية اليسيرة] من أهل الإتقان في كل زمان؛ لاستمر على الكافة تحريفها ..... لكن قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- حق، ووعد الله تعالى إياه صدق، قال -صلى الله عليه وسلم-: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» هذا كلامه. (مقدمة مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول -رحمه الله-)

آآخر شيء أنت في كل هجعة وأول شيء أنت عند هبوبي [١]

ومن كان العلم عنده بهذه المنزلة أعطاه الله تعالى الحكمة والخير الكثير، ورضي عنه وأرضاه، وغدا في الناس إماما، وجاء بالعجائب وحظي بالرغائب، وخلد له الذكر الحسن، والمآثر الباقيات في الآخرين. بخلاف صاحب النوم الطويل، وصاحب الملابس والأطعمة الملونة المكلفة، وصاحب التزين والتجمل، والكيفيات والهيئات، فما أبعد العلم عنه، وما أنفره عنه، بل هو مصداق قول الحطيئة:

دع المكارم لَا ترحل لبغيتها واقعد فَإِنَّك أَنْت الطاعم الكاسي [٢]

وفحوى قول الآخر:

خلق الله للحروب رجَالًا ورجالا لقصعة وثريد [٣][٤]

وأخيرا نسرد قصة نابغة من نوابغ السلف الصالحين المحدث الكبير الحسن بن سفيان -رحمه الله- [٥] ففيه أسوة حسنة لمن أراد أن يتأسى به.

روى ابن عساكر في تاريخه بسنده إلى أبي الحسن الصفّار قال: "كنا عند الشيخ الإمام الزاهد الحسن بن سفيان النسوي، وقد اجتمع لديه طائفة من أهل الفضل، ارتحلوا إليه من أطباق

١- البيت أورده أبو تمام في "الحماسة" ولم يعزه لقائله، وبعده قوله:

مزيدك عندي أن أقيكِ من الردى وود كماء المزن غيرُ مشوب

ومعنى "هجعة": نومة، و"هبوبي": استيقاظي، والهمزة في "آآخر" للنداء، أو للتعجب.

٢- البيت من قصيدة للحطيئة، قالها في هجو الزبرقان بن بدر، وقالوا في هذا البيت: أهجى بيت قالته العرب! وهو في ديوانه في قافية السين.

٣- لم أهتد لقائله.

٤- فالعلم رفيع المقام، شديد المراد، بطيء اللزام، لا يرى في المنام، ولا يورث من الآباء والأعمام، فإنه شجرة تغرس في النفس، وتسقى بالدرس، ويحتاج طالبه إلى زيادة تعب، وإدامة سهر، أفيظن من يقطع نهاره بما يستلذه، وليله بما يشتهيه، أن يخرج بذلك فقيها؟ هيهات! بل حتى يخلص النية، ويصلح الطوية، ويترك الأهواء الشيطانية، ويبذل الهمة القوية، ويقطع كل قفر وبرية، طلبا لأهله ورغبة في نيله ونيل فضله، فأجع بطنك، واهجر وطنك، واترك القال والقيل، ولا تمل إن كنت تريد التحصيل.

٥- المتوفى سنة ٣٠٣هـ.

الأرض والبلاد البعيدة، مختلفين إلى مجلسه لاقتباس العلم وكتبة الحديث، فخرج يوما إلى مجلسه الذي كان يملي فيه الحديث، وقال: اسمعوا ما أقول لكم قبل أن نشرع في الإملاء، قد علمنا أنكم طائفة من أبناء النعم وأهل الفضل، هجرتم أوطانكم وفارقتم دياركم وأصحابكم في طلب العلم واستفادة الحديث، فلا يخطرن ببالكم أنكم قضيتم بهذا التجشم للعلم حقا، وأديتم بما تحملتم من الكلف والمشاق من فروضه فرضا، فإني أحدثكم ببعض ما تحملته في طلب العلم من المشقة والجهد، وما كشف الله سبحانه وتعالى عني وعن أصحابي ببركة العلم وصفوة العقيدة من الضيق والضنك.

اعلموا أني كنت في عنفوان شبابي ارتحلت من وطني لطلب العلم، واستملاء الحديث، فاتفق حصولي بأقصى المغرب وحلولي بمصر في تسعة نفر من أصحابي طلبة للعلم وسامعي الحديث، وكنا نختلف إلى شيخ كان أرفع أهل عصره في العلم منزلة، وأدراهم للحديث وأعلاهم إسنادا، وأصحهم رواية، وكان يملي علينا كل يوم مقدارا يسيرا من الحديث حتى طالت المدة وخفت النفقة، ودفعتنا الضرورة إلى بيع ما صحبنا من ثوب وخرقة، الآن لم يبق لنا ما كنا نرجو حصول قوت يوم منه، وطوينا ثلاثة أيام بلياليها جوعا وسوء حال، ولم يذق أحد منا فيها شيئا، وأصبحنا بكرة اليوم الرابع بحيث لا حراك بأحد من جملتنا من الجوع وضعف الأطراف، وأحوجت الضرورة إلى كشف قناع الحشمة، وبذل الوجه للسؤال، فلم تسمح أنفسنا بذلك، ولم تطب قلوبنا به، وأنف كل واحد منا عن ذلك، والضرورة تحوج إلى السؤال على كل حال.

فوقع اختيار الجماعة على كتبة رقاع بأسامي كل واحد منا وإرسالها قرعة، فمن ارتفع اسمه عن الرقاع كان هو القائم بالسؤال، واستماحة القوت لنفسه ولجميع أصحابه، فارتفعت الرقعة التي اشتملت على اسمي فتحيرت ودهشت، ولم تسامحني نفسي بالمساءلة واحتمال المذلة، فعدلت إلى زاوية من المسجد أصلي ركعتين طويلتين قد اقترن الاعتقاد فيهما بالإخلاص، أدعو الله -سبحانه- بأسمائه العظام وكلماته الرفيعة لكشف الضر وسياقة الفرج، فلم أفرغ بعد عن إتمام الصلاة حتى دخل المسجد شاب حسن الوجه، نظيف الثوب، طيب الرائحة، يتبعه خادم في يده منديل، فقال: من منكم الحسن بن سفيان؟ فرفعت رأسي من السجدة، فقلت: أنا الحسن بن

سفيان، فما الحاجة؟ فقال إن الأمير بن طولون صاحبي يقرئكم السلام والتحية، ويعتذر إليكم في الفضلة عن تفقد أحوالكم، والتقصير الواقع في رعاية حقوقكم، وقد بعث بما يكفي نفقة الوقت وهو زائركم غدا بنفسه، ويعتذر بلفظه إليكم، ووضع بين يدي كل واحد منا صرة فيها مائة دينار، فتعجبنا من ذلك وقلنا للشاب: ما القصة في هذا؟ فقال: أنا أحد خدم الأمير ابن طولون المختصين به، والمتصلين بإقرائه وخواص أصحابه، دخلت عليه بكرة يومي هذا مسلما في جملة أصحابي، فقال لي وللقوم: أنا أحب أن أخلو يومي هذا فانصرفوا أنتم إلى منازلكم، فانصرفت أنا والقوم، فلما عدت إلى منزلي لم ينسق قعودي حتى أتاني رسول الأمير مسرعا مستعجلا يطلبني حثيثا، فأجبته مسرعا فوجدته منفردا في بيت واضعا يمينه على خاصرته لوجع ممضّ[1] اعتراه في داخل جسده، فقال لي: أتعرف الحسن بن سفيان وأصحابه؟ فقلت: لا، فقال: اقصد المحلة الفلانية والمسجد الفلاني، واحمل هذه الصرر وسلمها في الحين إليه وإلى أصحابه، فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع بحالة صعبة، ومهد عذري لديهم، وعرفهم أني صبيحة الغد زائرهم ومعتذر شفاها إليهم. فقال الشاب: سألته عن السبب الذي دعاه إلى هذا، فقال: دخلت هذا البيت منفردا علي أن أستريح ساعة، فلما هدأت عيني، رأيت في المنام فارسا في الهواء، متمكنا تمكن من يمشي على بساط الأرض، وبيده رمح، فقضيت العجب من ذلك وكنت أنظر إليه متعجبا حتى نزل إلى باب هذا البيت ووضع سافلة رمحه على خاصرتي، فقال: قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه، قم وأدركهم، قم وأدركهم، فإنهم منذ ثلاثة جياع في المسجد الفلاني. فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا رضوان صاحب الجنة. ومنذ أصاب سافلة رمحه خاصرتي أصابني وجع شديد لا حراك بي له، فعجل إيصال هذا المال ليزول هذا الوجع عني، فقال الحسن: فتعجبنا من ذلك وشكرنا الله -سبحانه وتعالى- وأصلحنا أمورنا، ولم تطب أنفسنا بالمقام حتى لا يزورنا الأمير، ولا يطلع الناس على أسرارنا، فيكون ذلك سبب ارتفاع اسم وانبساط جاه ويتصل ذلك بنوع من الرياء والسمعة، وخرجنا تلك الليلة من مصر، وأصبح كل

١- ممضّ: من الإمضاض، أي مولم.

واحد منا واحد عصره وفريد دهره في العلم والفضل، فلما أصبح الأمير ابن طولون أتى المسجد لزيارتنا وطلبنا وأحس بخروجنا أمر بابتياع تلك المحلة بأسرها ووقفها على ذلك المسجد وعلى من ينزل به من الغرباء وأهل الفضل وطلبة العلم؛ نفقة لهم حتى لا تختل أمورهم ولا يصيبهم من الخلل ما أصابنا، وذلك كله بقوة الدين وصفوة الاعتقاد والله -سبحانه- ولي التوفيق".آه[1]

فرحمات الله تعالى على الحسن بن سفيان، وعلى العلماء السابقين العاملين المؤلفين، الصابرين المحتسبين الذين صبروا، وصابروا، وخلفوا، وأورثوا تراثا عظيما، وآثروا العقبى على الدنيا.

١- تاريخ دمشق : ١٠٣/١٣ ، ترجمة رقم: ١٣٣٩.

المبحث الثالث

ويتضمن مطالب:

المطلب الأول

في شروط التفقه في الدين وما لابد منه

إذن فللفقه في الدين مكانة علية، بيد أن الفقه ليس رجما بالغيب، ولا ظنا من الظنون، ولا دعوى يدعيها كل أحد بلا عدة ولا حجة، بل إن هناك شروطا وأصولا صحيحة قويمة لا يتوصل إلى فقه سديد إلا من علمها والتزمها في النظر والاستدلال والترجيح والاختيار، وهي ما تلي:

١- العلم بالقرآن الكريم، وأسباب نزوله، وناسخه ومنسوخه، وسائر ما لا يقوم الفهم الصحيح للكتاب إلا به.

٢- العلم بالسنن النبوية -على صاحبها ألف ألف تحية وسلام- وأسباب ورودها، بحيث يقدر على التأويل الصحيح للحديث، وكذلك العلم بناسخها ومنسوخها، والعلم بآثار الصحابة والتابعين -رضي الله تعالى عنهم أجمعين- فلا يصح فقه أحد ضعيف الصلة بالسنة فقير بها.

٣- العلم بالإجماع، فلا يرشد فقه أحد حتى يعلم ما اجتمعت عليه الأمة مما اختلفت حتى لا يخالفها.

٤- معرفة لسان العرب لغة وإعرابا؛ لأن الشرع الشريف ورد بالعربية، وهي حاملة العلوم الإسلامية، ولا يمكن أن تحمله لغة أخرى سواها.

ولا يشترط أن يكون في معرفة اللغة كالأصمعي[1]، ....

١- هو الإمام العلامة الحافظ حجة الأدب لسان العرب أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب بن عبد الملك البصري اللغوي النحوي الأخباري أحد الأعلام، حدث عن مسعر بن كدام وشقيق وعدد كثير، وحدث عنه أبو عبيد ويحي بن معين وغيرهما، روى له أبو داود والترمذي.(ت: ٢١٥هـ) ر: سير أعلام النبلاء: ١٧٥/١٠، علم رقم: ٣٢.

وفي النحو كسيبويه[١] والخليل[٢]،بل الشرط الحصول على مقدار يمكّنه من معرفة معاني الألفاظ، ووجوه الدلالات المختلفة.

٥- معرفة أصول الفقه والإحاطة بمعظمها. وأصول الفقه إنما هي في الحقيقة طرق الاستنباط المجتهدين وسبله، إلا أنه لا بد للمتفقهين من بعدهم من معرفتها لفهم ما استنبطوا من المسائل، وبدونها لا يستقيم لهم فهم المسائل على الوجه الصحيح.

٦- الوقوف على أحوال الناس وعرفهم وتعاملهم، ولا بد لذلك من ظرافة وذهانة.

٧- عقل كامل، وفطرة سليمة، وقريحة جيدة مستنيرة، بحيث يقدر بها على استخراج الأوصاف -العلل- المؤثرة في نصوص الشرع الشريف وتمييزها من غيرها. وقد يعبر عن هذا الشرط بـ"فقه النفس".

٨- تقوى الله -جل جلاله وذكره- والإخلاص له تعالى، وهذا هو الشرط الأساسي الذي لا بد منه في كل عمل. قال الله -جل ثنائه -: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [٣]

تنبيه

ثم اعلم أنه ليس من ضرورة اجتماع هذه الشروط والصفات في أحد أن يكون فقيها لا محالة، فكم من أصحاب المعلومات الجمة، والعبّاد الكاملين ليسوا من الفقه في شيء، بل الله -جلت قدرته- يؤتي فضله من يشاء من عباده، فقال -تعالى شأنه-: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾[٤].

وينبغي للمتفقه أن يكثر من هذا الدعاء: "اللّٰهُمَّ فقهني في الدين وعلمني التأويل" وما يشاكله من الأدعية المأثورة، فقد كاد الدعاء أن يرد القدر.

١- هو عمر بن عثمان بن قنبر أبو بشر الحارثي مولاهم، اشتهر بلقبه: "سيبويه"، معناه: رائحة التفاح، إمام البصريين في النحو، تعلم على الخليل بن أحمد الفراهيدي، فبرع في النحو، كتب "الكتاب" في النحو الذي قيل: إنه قرآن النحو، توفي بفارس سنة ١٨٠هـ. ر: فوات الوفيات.

٢- تقدمت ترجمته.

٣- فاطر: ٢٨ .

٤- البقرة: ٢٦٨ .

المطلب الثاني

في فوائد التخصص في الفقه وثمراته

التخصص في الفقه له فوائد، منها:

أ) تتحقق به للمتخصص الملكة الفقهية الراسخة التي بها يقدر على استخراج أحكام الوقائع من الكليات الشرعية الفقهية.

ب) وبه يصبح المتخصص حافظا لكثير من الجزئيات الهامة، إذ ثمرات الجهد والعمل تتبع المقصود والنيات.

ج) ويزداد به شوقا وشغفا في الفقه وكتبه.

د) وبه يكشف له النور الذي جعل الله -عز وجل- على كتب الفقه وأهله.

هـ) وبه يحصل الاعتدال والسداد الذي هو مزاج الفقه وأهله.

و) وبه يصير الرجل محتاطا، ويصبح الاحتياط مزاجه.

ز) وبه يتعرف المتخصص مواقع المسائل من كتب الفقه.

ي) وبه تحصل ملكة الفروق في تقعيد الكليات على الجزئيات والوقائع.

المطلب الثالث

في آداب مطالعة الكتب الدينية[١]

هناكم آداب لمطالعة الكتب الدينية، ينبغي أن نسوقها، من اهتم بها في مطالعته وراعاها، نجح في ما أراد وأفلح في ما قصد -إن شاء الله تعالى- ومن لم يراعها ذهب أمره شذر مذر، لا يقدر منه على شيء، ولا يكون له من مطالعته إلا النصب وضياع وقته الثمين.

فمن تلك الآداب ما ينبغي مراعاتها قبل المطالعة، وهي:

١- اهتمام الطهارة من الأحداث والأنجاس.

٢- اهتمام الأذكار والصلاة على النبي المختار -صلى الله عليه وسلم- .

٣- أن تكون المطالعة بنية الحفظ والعمل، وإجابة السائل، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «إنما الأعمال بالنيات»[٢].

٤- أن تكون المطالعة بالتيقظ والتوجه، والشوق والمحبة، والنظر القصدي إلى كل زاوية من المسألة.

٥- أن تكون المطالعة شاملة، مستوعبة لجميع زوايا ما في العبارة من التصريح والإشارة، وأن لا تكون بنية استخراج بعض الأهداف من بعض العبارة وإهمال باقيها، كما هي عادة المتعصبين في المسائل.

٦- أن لا يطالع مضطجعا ولا مستلقيا، وكذا لا ينبغي الاستناد إلا لضرورة.

ومنها ما ينبغي اهتمامها أثناء المطالعة، وهي ما تلي:

١- إذا افتتح الكتاب ينبغي أن يطالع متن المادة بتمامه من غير التفات إلى الشرح والحاشية.

١- كان الأنسب أن تذكر طريقة المطالعة في أواخر التمهيد عند ذكر آداب الكتب، ولكن الشيخ الوالد أملاها ههنا فلم أحوّلها عن موضعها؛ اتباعا له.

٢- تقدم تخريجه.

٢- ثم يراجع الشرح أو الحاشية في مواضع الضرورة.

٣- ثم يستوعب مطالعة الشرح أو الحاشية لمزيد من الاستفادة، ويتأمل في المواضع المبهمة لزيادة البيان والتوضيح وكشف المشكل.

ومنها ما ينبغي الاهتمام بها بعد المطالعة، وهي:

١- أن يتأمل فيما طالعه بعد طي الكتاب، فيستحضر المقاصد في الذهن بدون الزوائد والحواشي، ويرتب تلك المقاصد، ويفصلها فصولا.

٢- أن يكتب بعض الأمور الهامة؛ لتسهل المراجعة إليها في وقت الضرورة.

٣- أن يحفظ المصطلحات الجامعة مع مفاهيمها التامة.

٤- أن يستخرج الكليات والأصول والعلل والمعاني، فيلاحظها على حدة. والله تعالى أعلم.

الفصل الثاني

ويتكون من ثلاثة مباحث وإيقاظ:

المبحث الأول

في شهادات أئمة الأمة

بإمامة إمام المسلمين أبي حنيفة ﷺ وعلمه وفقهه وتقواه

ليس من قدرنا أن نخوض في التعريف بمن هو أعلى كعبا، وأشرف مقاما، وأشهر من أن يعرّف به، ولا أنا نستطيع استيعاب جميع ما ورد في شأنه من الأقوال والأحوال الشاهدة بعلمه وفقهه، ووفور عقله، وزهده، وسخائه، وأمانته، وصدقه وغيرها من الصفات العالية والخصال السامية التي أحلته ما أحلته من المقام في الإسلام في أمة سيد الأنام -صلى الله عليه وسلم- علا أن في كتب الأئمة المتداولة ما يغنينا عن ذلك.

وإنما نذكر هنا طرفا من ذلك تبركا وشكرا، قال -صلى الله عليه وسلم-: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[١] وقال بعض السلف[٢]: "عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة".

فاعلم أنه: الإمام الأعظم، أول أساطين السنة الأربعة، حجة الحجج، النعمان بن ثابت بن زوطى[٣]، المكنّى بأبي حنيفة[٤]، من العجم عند الأكثرين من المحققين.

١- أخرجه أبو داود برقم: ٤٨١١، والترمذي برقم: ١٩٥٥ .

٢- هو سفيان بن عيينة، كما في مقدمة "صفة الصفوة" لابن الجوزي.

٣- زوطى: بضم الزاي، وسكون الواو، وفتح الطاء، فألف تأنيث مقصورة، كذا ضبطه الإمام النووي وغيره، فيكون على وزن موسى، هذا هو المشهور في ضبطه. وضبطه البعض بفتح الزاي والطاء المهملة، كصاحب "طبقات الحنفية"، و"صاحب القاموس"، فيكون على وزن سكرى.

٤- جزم جمع من أصحاب المناقب، ومنهم الموفق الخوارزمي بأنه لا يعلم للإمام ولد ذكر ولا أنثى غير حماد، وإنما كنوه بأبي حنيفة (والحنيفة بلغة العراق العامية: الدواة) لحمله الدواة من صغره، ودورانه على العلماء.

ولد سنة ثمانين، وتوفي سنة خمسين ومائة ببغداد، ودفن بمقبرة خيزران،[١] وكان سبب موته أن المنصور العباسي سجنه وضربه امتحانا له، ليتولى القضاء، وهو يأبى -رضي الله عنه-.

ثم إنه -رضي الله تعالى عنه- من التابعين بإجماع المحققين من أهل العلم رأى عدة من الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- كأنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى -رضي الله تعالى عنهما-[٢].

وذكر بعض أصحاب المناقب أنه روى حديثا عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب»[٣].

وذكر الحافظ الذهبي في "مناقب أبي حنيفة" عن أبي يوسف، قال: "رأى أبو حنيفة -رحمه الله- كأنه ينبش قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم يأخذ عظامه يجمعها ويؤلفها، فهاله ذلك، فأوصى صديقا له إذا قدم البصرة أن يسأل ابن سيرين، فسأله، فقال: "هذا رجل يجمع سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- ويحييها". وفي رواية: "هذا رجل ينشر علم النبوة" وفي رواية: "إن صدقتْ رؤيا هذا الرجل فإنه يرث علم نبي".

وقال في تبييض الصحيفة وغيره: أبو حنيفة أول من دون الفقه ورتبه أبوابا ثم تابعه مالك -

---

١- وهي تسمى اليوم بـ"المقبرة الأعظمية"، والدور والدروب المحيطة بمرقد الإمام تسمى "المحلة الأعظمية"، نسبة إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة، ويغلب على أهلها طلب العلم والعبادة. انظر: "تاريخ الأعظمية مدينة الإمام الأعظم أبي حنيفة"، للوليد الأعظمي.

٢- قال الشيخ زاهد الكوثري في "تأنيب الخطيب": "وممن أقر برؤية الإمام أبي حنيفة أنسا، ابن سعد، والدار قطني، وأبو نعيم الأصبهاني، وابن عبد البر، والخطيب، وابن الجوزي، والسمعاني، وعبد الغني المقدسي، وسبط ابن الجوزي، وفضل الله التوربشتي، والنووي، واليافعي، والزين العراقي، والولي العراقي، وابن الوزير، والبدر العيني، وابن حجر، والشهاب القسطلاني، وابن حجر المكي وغيرهم، فتكون محاولة إنكار كونه تابعيا مكابرة، أو جهلا بنصوص هؤلاء". آه

وقال المجد ابن الأثير في "المختار" في ترجمة الإمام: "وأبو حنيفة تابعي بلا خلاف، وكان في زمنه من الصحابة: أنس بن مالك بالبصرة، وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة". آه

٣- الحديث رواه أبو حنيفة في مسنده، رقم الحديث: ٣٣، وأخرجه صاحب الهداية في أوائل كتابه "التجنيس والمزيد" بسنده إلى أبي حنيفة -رحمه الله-.

رضي الله عنه- في ترتيب "الموطأ"، لم يسبق أبا حنيفة أحد، لأن الصحابة والتابعين إنما كانوا يعتمدون على قوة حفظهم، فلما رأى أبو حنيفة العلم منتشرا خاف عليه، فجعله أبوابا مبوبة وكتبا مرتبة، فبدأ بالطهارة ثم بالصلاة ثم بسائر العبادات ثم المعاملات ثم ختم الكتاب بالمواريث، وإنما بدأ بالطهارة والصلاة لأنهما أهم العبادات، وإنما ختم الكتاب بالمواريث لأنها آخر أحوال الناس.

وقال الشعراني في أوائل كتابه "كشف الغمة": "آخر المذاهب انقراضا من الأرض مذهب أبي حنيفة -رضي الله عنه-".

ثم إن المسلمين علمائهم وعوامهم اتفقوا على إمامة أبي حنيفة -رضي الله تعالى عنه- وتقدمه في الفقه والعلم، ونسرد هنا بعض شهادات أئمة الأمة وعلمائها له في ذلك:

○ قال أبو جعفر الباقر[1]: "ما أحسن هدي أبي حنيفة وسمته، وما أكثر فقهه!"

○ قال الأعمش[2] لأبي حنيفة -رضي الله تعالى عنهما-: "لو كان العلم باللقيا والطلب لكنت أفقه منك، ولكنه عطاء من الله تعالى".

○ عنه أيضا: "إن أبا حنيفة لحسن المعرفة بمواقع الفقه الدقيقة، وغوامض العلم الخفية".

○ عنه أيضا -وجاءه رجل فسأله عن مسألة، فقال-: "عليك بأهل تلك الحلقة، فإنهم إذا وقعت لهم مسألة لا يزالون يديرونها فيما بينهم حتى يصيبوها، يعني حلقة أبي حنيفة -رضي الله تعالى عنه-".

○ قال أيضا -لما سئل عن مسائل- لأبي حنيفة: "ما تقول فيها؟ قال: كذا وكذا. فقال: من أين لك هذا؟ قال: أنت حدثتنا عن أبي صالح عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بكذا، وحدثتنا عن فلان الصحابي بكذا، وسرد عدة أحاديث على هذا

١- هو الإمام الثبت الهاشمي العلوي محمد بن علي بن الحسين أحد الأعلام، اشتهر بـ"الباقر" من قولهم: بقر العلم، أي: شقه فعلم أصله وخفيه. (ت: ١١٤هـ) ر: تذكرة الحفاظ، ترجمة رقم: ١٠٩ .

٢- هو سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد، من علماء الكوفة وأعيانها وتابعيها، روى عن كبار التابعين كمجاهد، وابن جبير، والنخعي، وروى عن خلق سواه، وهو من شيوخ الإمام أبي حنيفة، قال: سفيان بن عيينة: سبق الأعمش أصحابه بأربع خصال: كان أقرأهم للقرآن، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم للفرائض، قال راويه ونسيت أنا واحدة. (ت: ١٤٨هـ) ر: المختار: ترجمة رقم: ٢١٥ .

النمط. فقال الأعمش: حسبك! ما حدثتك في مائة يوم تحدثني في ساعة واحدة؟ أنتم يا معشر الفقهاء الأطباء، ونحن الصيادلة. وأنت أيها الرجل أخذت بكلا الطرفين، يعني الحديث والفقه".

○ سئل مرة أخرى كذلك عن مسألة، فقال: "إنما يحسن جواب هذا النعمان بن ثابت، وأظنه بورك له في علمه".

○ عبد الله بن المبارك: "دخل أبو حنيفة على مالك -رضي الله تعالى عنهما- فرفعه، ثم قال بعد خروجه: أفتدرون من هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا أبو حنيفة النعمان، لو قال: هذه الأسطوانة من ذهب لخرجت كما قال، لقد وفق له الفقه، حتى ما عليه فيه كثير مؤونة". ومعنى قول مالك: أن الناس قد يرون رأيا في المسائل بحسب ظاهرها ولكن الحق فيها ما يراه أبو حنيفة، غير ما يرون.

○ الإمام الشافعي-رضي الله تعالى عنه -في رواية الربيع عنه-: "الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة، ما رأيت أحدا أفقه منه".

وفي رواية حرملة عنه: "من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، إنه مِمَّن وفق له الفقه".

○ عنه أيضا: "ما قامت النساء عن رجل أعقل من أبي حنيفة".

وأنشد الشافعي في مدحه:

لقد زان البلاد ومن عليها ... إمام المسلمين أبو حنيفة
بأحكام وآثار وفقه ... كآيات الزبور على الصحيفة
فما بالمشرقين له نظير ... ولا بالمغربين ولا بكوفة
فرحمة ربنا أبدا عليه ... مدى الأيام ما قرئت صحيفة[1]

○ الإمام أحمد بن حنبل -رضي الله تعالى عنه-: "إن أبا حنيفة من العلم والورع وإيثار الآخرة بمكان لا يدركه أحد، رحمة الله عليه ورضوانه".

١- ديوان الشافعي، قافية الفاء. وذكر محمد بن العلاء الحصكفي في مقدمة "الدر المختار" عشرة أبيات ونسبها إلى عبد الله بن المبارك -رحمه الله تعالى- ومن جملتها هذه الأبيات التي نقلها والدي الشيخ ههنا، وزاد ابن عابدين بيتين في حاشيته من "تنوير الصحيفة"، فراجع مقدمة "الدر المختار" مع حاشية ابن عابدين إن شئت الاطلاع على الأبيات كلها. وكذا نسبها إلى ابن المبارك السيوطي في "تبييض الصحيفة". والله تعالى أعلم.

○ عنه أيضا: "إذا كان في المسألة قول الثلاثة لم يسع مخالفتهم، فقيل له: من هم؟ قال: أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد-رضوان الله عليهم-".

○ الإمام أبو يوسف القاضي-صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما-: "ما رأيت أحدا أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة، كانوا يقولون: أبو حنيفة زينه الله بالفقه والعلم والسخاء وأخلاق القرآن".

○ عنه أيضا: "ما خالفت أبا حنيفة في شيء قط فتدبرته إلا رأيت مذهبه الذي ذهب إليه أنجى في الآخرة، وكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني".

○ الإمام محمد بن الحسن -صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما-: "كان أبو حنيفة واحد زمانه، ولو انشقت عنه الأرض لانشقت عن جبل من الجبال في العلم والكرم والمؤاساة والورع والإيثار لله مع الفقه والعلم".

○ الإمام زفر بن هذيل[1] -صاحب أبي حنيفة، رضي الله عنهما-: "جالستُ أبا حنيفة أكثر من عشرين سنة، فلم أر أحداً أنصح للناس منه و لا أشفق عليهم منه".

○ المسعر بن كدام[2]: "من جعل أبا حنيفة بينه وبين الله رجوت أن لا يخاف، ولا يكون فرط في الاحتياط لنفسه".

○ عنه أيضا: "كنت أمشي مع أبي حنيفة، فوطئ على رجل صبي لم يره، فقال الصبي لأبي حنيفة: يا شيخ! ألا تخاف القصاص يوم القيامة؟ فغُشي على أبي حنيفة، فأقمت عليه حتى أفاق،

١- العنبري الفقيه المجتهد الرباني العلامة أبو الهذيل، حدث عن الأعمش، وأبي حنيفة، وطبقتهما، حدث عنه: أبو نعيم الفضل بن دكين .... قال أبو نعيم: كنت أمر على زفر فيقول لي: تعال حتى أغربل لك ما سمعتَ، وكنت أعرض الأحاديث عليه فيقول: هذا ناسخ، هذا منسوخ، هذا يؤخذ به، هذا يرفض. وقال الذهبي: هو من بحور العلم وأذكياء الوقت، تفقه بأبي حنيفة وهو من أكبر تلامذته، وكان ممن جمع بين العلم والعمل، وكان يدري الحديث ويتقنه. (ت: ١٥٨هـ) ر: سير أعلام النبلاء: ٣٨/٨، علم رقم: ٦.

٢- الهلالي الكوفي أبو سلمة، قال في "الجواهر": روى عن أبي حنيفة وعطاء وقتادة، وروى عنه السفيانان. قال الثوري: كنا إذا اختلفنا في شيء سألنا مسعرا عنه. وقال أحمد: كان ثقة خيارا. وقال الذهبي: قال شعبة: كنا نسمي مسعرا "المصحف" لإتقانه. (ت: ١٥٥هـ) ر: تذكرة الحفاظ، ترجمة رقم: ١٨٣ .

فقلت له: يا أبا حنيفة ما أشد ما أخذ قلبك قول هذا الصبي! فقال: أخاف أنه لُقِّن".

○ عنه أيضا في أبي حنيفة-رضي الله تعالى عنه-:

حسبي من الخيرات ما أعددته يوم القيامة في رضى الرحمن

دين النبي محمد خير الورى ثم اعتقادي مذهب النعمان

○ سفيان الثوري[١]: "كنا بين يدي أبي حنيفة كالعصافير بين يدي البازي، وكان أبو حنيفة سيد العلماء".

○ عبد الله بن المبارك: "قلت لسفيان الثوري: ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة! ما سمعته يغتاب عدوا له قط، قال: هو والله أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها".

○ سفيان بن عيينة[٢]: "لم يكن في زمن أبي حنيفة أفضل منه ولا أورع ولا أفقه منه."

○ عنه أيضا: "ما مقلت عيني مثل أبي حنيفة".

○ عبد الله بن المبارك[٣]: "دخلت الكوفة فسألت عن أفقه أهلها؟ فقيل لي: أبو حنيفة، وسألت عن أزهد أهلها؟ فقيل لي: أبو حنيفة، وسألت عن أورع أهلها؟ فقيل لي: أبو حنيفة".

(قال سفيان بن عيينة في ابن المبارك: "عالم المشرق والمغرب وما بينهما".)

١- هو سيد الحفاظ أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري، جمع بين الفقه والحديث والزهد والورع والعبادة، حدث عن أبيه وزبيد بن الحارث ومحارب بن دثار وطبقتهم. قال شعبة وابن معين وجماعة: "سفيان أمير المؤمنين في الحديث". (ت: ١٦١هـ) ر: تذكرة الحفاظ ترجمة رقم: ١٩٨. قلت: سفيان الثوري مع علو قدره وجلالة شأنه حدث عن أبي حنيفة وأخذ عنه العلم.

٢- الهلالي، أحد الأعلام، محدث الحرم، ذكره القرشي في "الجواهر" وعده من الحنفية، كان يقول: "أول من أقعدني للحديث أو صيرني محدثا أبو حنيفة". حدث عن عمرو بن دينار والزهري وعبد الرحمن بن القاسم وأمما سواهم، وعنه: الأعمش والشافعي وأحمد وخلق لا يحصون. (ت: ١٩٨هـ) ر: الجواهر، وتذكرة الحفاظ ترجمة رقم:٢٤٩.

٣- هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم المروزي، صاحب التصانيف النافعة، والرحلات الشاسعة، سمع سليمان التيمي، وحميد الطويل، والأوزاعي وغيرهم. وهو من مشاهير تلامذة الإمام أبي حنيفة، له روايات في المذهب. قال الحسن بن عيسى بن ماسرجس: اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك فقالوا: عدوا خصال ابن المبارك، فقالوا: جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والشجاعة والشعر والفصاحة وقيام الليل والعبادة والحج والغزو والفروسية وترك الكلام في ما لا يعنيه والإنصاف وقلة الخلاف على أصحابه. (ت: ١٨١هـ) ر: تذكرة الحفاظ ترجمة رقم: ٢٦٠، والفوائد البهية.

○ عنه أيضا: "ليس أحد أحق أن يقتدى به من أبي حنيفة، كان إماما تقيا عالما فقيها، به كشف العلم، لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى".

○ عنه أيضا: "لا تقولوا: رأي أبي حنيفة، ولكن قولوا: تفسير الحديث".

○ عنه أيضا: "كان أبو حنيفة آية".

○ يحي بن معين[١] -رحمه الله-: "الفقه عندي فقه أبي حنيفة، وعلى هذا أدركت الناس".

○ عنه أيضا: "ما رأيت أحدا أقدمه على وكيع، وكان يفتي برأي أبي حنيفة، وكان يحفظ حديثه كله، وكان قد سمع من أبي حنيفة حديثا كثيرا".

○ كان يحي بن معين إذا ذكر له من يتكلم في أبي حنيفة يقول:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   فالناس أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها   حسدا وبغيا إنه لدميم

○ النضر بن شميل-رحمه الله-[٢]: "كان الناس نياما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه وبينه ولخصه".

○ خلف بن أيوب[٣]: "صار العلم من الله -عز و جل- إلى محمد -صلى الله عليه و سلم-، ثم صار إلى أصحابه، ثم صار إلى التابعين، ثم صار إلى أبي حنيفة وأصحابه، فمن شاء فليرض ومن شاء فليسخط".

١- المري الغَطَفاني مولاهم، أبو زكريا البغدادي، إمام الجرح والتعديل، روى عن عبد الله بن المبارك، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي وخلق. وعنه: البخاري، ومسلم، وأحمد بن حنبل وغيرهم. قال فيه أحمد بن حنبل: "كل حديث لا يعرفه ابن معين فليس بحديث". (ت: ٢٣٣) ر: تهذيب التهذيب.

٢- تقدمت ترجمته.

٣- العامري البلخي، أحد الفقهاء الأعلام ببلخ، روى عن عوف الأعرابي ومعمر وقيس بن الربيع وغيرهم، وعنه: أحمد وأبو كريب وغيرهما. قال الخليلي: "صدوق مشهور كان يوصف بالستر والصلاح والزهد، وكان فقيها على رأي الكوفيين". (ت: ٢١٥هـ) ر: تهذيب التهذيب.

○ يزيد بن هارون[1]: "أدركت ألف رجل وكتبت عن أكثرهم، ما رأيت فيهم أفقه ولا أورع ولا أعلم من خمسة، أولهم أبو حنيفة".

○ مكي بن ابراهيم[2]: "كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه".

○ شداد بن حكيم[3]: "ما رأيت أعلم من أبي حنيفة".

○ المغيرة بن مقسم الضبي[4]: "لو كان إبراهيم النخعي حيا كان محتاجا إلى مجالسة أبي حنيفة".

○ ابن المبارك: "ذكر أبو حنيفة عند داود الطائي فقال: ذاك نجم يهتدي به الساري، وعلم تقبله قلوب المؤمنين، والله هو أعلم بالحلال والحرام، والنجاة من عذاب الجبار، مع ورع مستكن وخدمة دائمة".

○ بكير بن معروف[5]: "ما رأيت أحسن سيرة في أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- من أبي حنيفة".

١- الإمام الكبير أبو خالد السلمي مولاهم الواسطي، سمع أبا حنيفة ومالكا والثوري والحمادين وخلقا كثيرا، روى عنه أحمد وابن المديني وابن معين ووثقوه وأثنوا عليه، وهو وهيثم معروفان بطول صلاة الليل والنهار، روى له الجماعة. (ت: ٢٠٦هـ) ر: الجواهر المضيئة.

٢- البلخي التميمي أبو السكن شيخ خراسان، حدث عن جعفر الصادق وبهز بن حكيم وأبي حنيفة وغيرهم، وعنه: البخاري واحمد وابن معين وخلق. قال عبد الصمد بن الفضل البلخي: "سمعته يقول: حججت ستين حجة، وتزوجت ستين امرأة، وجاورت عشر سنين، وكتبت عن سبعة عشر من التابعين". تذكرة الحفاظ ترجمة رقم: ٣٥٩، وفي "جامع المسانيد": هو من أصحاب الإمام أبي حنيفة يروي عنه الكثير. آه

قلت: هو من كبار شيوخ البخاري، يروي أكثر ثلاثياته عنه، وحديثه عند الجماعة كلها. (ت: ٢١٥هـ)

٣- البلخي، من أصحاب زفر، مات في آخر سنة عشر ومائتين. ر: الجواهر المضيئة.

٤- الفقيه المحافظ أبو هشام الضبي مولاهم الكوفي، كان عجبا في الذكاء، حدث عن أبي وائل والشعبي وإبراهيم النخعي وعدة، وعنه: شعبة والثوري وزائدة وخلق. وقال جرير بن عبد الحميد: "كنت أرى مغيرة يبحث في مسألة فيخالفوه فيقول: "كيف أصنع وهو قول أبي حنيفة رحمه الله؟" (ت: ١٨٦هـ) ر: الجواهر، وتذكرة الحفاظ ترجمة رقم: ١٣٦.

٥- هو بكير بن معروف الأسدي، أبو معاذ النيسابوري، صاحب التفسير، كان على قضاء نيسابور، ثم سكن دمشق، روى عن يحي بن سعيد الأنصاري وأبي حنيفة وغيرهما، وعنه: الوليد بن مسلم. (ت: ١٦٣هـ) ر: تهذيب التهذيب.

وقال: "قلت لأبي حنيفة: الناس يتكلمون فيك، ولا تتكلم في أحد، فقال: هو فضل الله يؤتيه من يشاء".

○ أبو حيان التوحيدي[١]: "الملوك عيال عمر إذا ساسوا، والفقهاء عيال أبي حنيفة إذا قاسوا، والمحدثون عيال أحمد إذا أسندوا".

○ يحي بن سعيد القطان[٢]: "إن أبا حنيفة والله لأعلم هذه الأمة بما جاء عن الله -جل جلاله- ورسوله -صلى الله عليه وسلم-".

○ يحي بن آدم[٣]: "اجتهد أبو حنيفة في الفقه اجتهادا لم يسبقه إليه أحد، فهداه الله تعالى سبيله، وسهل له طريقه، وانتفع العام والخاص بعلمه".

○ سهل بن عبد الله التستري[٤]: "لو كان في أمتي موسى وعيسى مثل أبي حنيفة، لما تهودوا ولما تنصروا". [أي: لما اختاروا اليهودية المحرفة والنصرانية المحرفة]

○ وكيع بن الجراح[٥]: "كان أبو حنيفة عظيم الأمانة، وكان يؤثر رضاء ربه على كل شيء، ولو أخذته السيوف في الله تعالى لاحتملها".

١- هو علي بن محمد بن العباس الشيرازي، صوفي الصمت والهيئة. قال ياقوت: "كان يتأله والناس على ثقة من دينه". وقال النووي في تهذيب الأسماء: "أبو حيان التوحيدي من أصحابنا المصنفين". آهـ. توفي في حدود الثمانين والثلاث مائة. ر: الوافي بالوفيات.

٢- من أعيان البصرة وعلمائها ومحدثيها وعبادها، سمع هشام بن عروة ومالكا وخلقا، روى عنه: ابن المهدي وابن المديني وابن حنبل وابن معين وابن المثنى وخلق كثير. قال أحمد فيه: "حدثني يحي القطان وما رأت عيناي مثله". (ت: ١٩٨هـ) ر: المختار.

٣- الأموي أبو زكريا الكوفي، سمع إسرائيل والثوري وأبا بكر بن عياش وخلقا، وعنه: أحمد وإسحاق وابن المديني وابن معين وغيرهم. قال العجلي: "كان ثقة جامعا للعلم عاقلا ثبتا في الحديث." (ت: ٢٠٣هـ) ر: تهذيب التهذيب.

٤- سبقت ترجمته.

٥- أبو سفيان الكوفي الحافظ، روى عن هشام الدستوائي، وهشام بن عروة وغيرهما. وقال فيه أحمد بن حنبل: "ما رأيت أوعى للعلم من وكيع، ولا أحفظ منه". روى له الجماعة. (ت: ١٩٦هـ) ر: تهذيب الكمال.

○ حماد بن زيد[١]: "قال لي أيوب السختياني-رحمه الله تعالى[٢]-: إذا لقيت عالم العراق أبا حنيفة فأقرئه مني السلام، وقال حماد: إني لأحبه من أجل حب أيوب".

○ هَدِيَّة بن عبد الوهاب[٣]: "قدم علينا شقيق البلخي -رحمه الله تعالى-[٤] وكنا نحضر مجلسه، وكان يكثر ذكر أبي حنيفة ويطريه، فقلنا له: إلى كم تطري أبا حنيفة؟ كلمنا بما ننتفع به، قال شقيق: هيهات!! ولا ترون ذكر أبي حنيفة وذكر مناقبه من أفضل الأعمال؟ لو رأيتموه وجالستموه لم تقولوا هكذا".

○ سعدان بن سعيد[٥]: "كان أبو حنيفة طبيب هذه الأمة؛ لأن الجهل هو الداء الذي لا داء بعده، والعلم هو الدواء الذي لا غاية بعده، ففسر هذا العلم أبو حنيفة تفسيرا شافيا انتفى به الجهل".

○ محمد بن بشر[٦]: "كنت أختلف إلى أبي حنيفة وإلى سفيان الثوري، فآتي أبا حنيفة فيقول لي: من أين جئت؟ فأقول من عند سفيان، فيقول: لقد جئت من عند رجل لو أن علقمة والأسود

١- الإمام الحافظ المجود شيخ العراق أبو إسماعيل الأزدي مولاهم البصري، حدث عن عمرو بن دينار وثابت البناني وخلق، روى عنه: ابن المهدي وابن المديني وغيرهما. قال فيه ابن المهدي: "ما رأيت أحدا أعلم من حماد بن زيد لا سفيان ولا مالكا." آهـ. ر: تذكرة الحفاظ ترجمة رقم: ٢١٣. قال القرشي في الجواهر: أخذ الفقه عن أبي حنيفة، وهو الراوي عنه أن الوتر فريضة. روى له الجماعة. (ت: ١٧٩هـ)

٢- أبو بكر بن أبي تميمة، من مشهوري التابعين وكبارهم وعلمائهم وعبادهم. قال مالك بن أنس: "ما بالعراق أحد أقدمه على أيوب ومحمد بن سيرين في زمانهما". وقال: "كنا ندخل على أيوب السختياني فإذا ذكرنا له حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بكى حتى نرحمه". مات في الطاعون بالبصرة سنة ١٣١هـ. ر: المختار.

٣- المروزي أبو صالح، روى عن وكيع والنضر بن شميل وابن عيينة وغيرهم، وعنه: ابن ماجه، وأبو زرعة وآخرون. (ت: ٢٤١هـ) ر: تهذيب التهذيب.

٤- أبو علي، من أكبر مشايخ خراسان، صحب إبراهيم بن أدهم وعنه أخذ الطريقة، وهو أستاذ حاتم الأصم، وكان من أبناء الدنيا وأصحاب الأموال. وقال علي بن محمد بن شقيق: كان لجدي ثلاث مائة قرية ويوم قتل لم يكن له كفن يكفن فيه، قدَّمه كله بين يديه، وثيابه وسيفه إلى الساعة معلق يتبركون به، وكان شقيق يقول: "العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها في الهرب من الناس، وواحدة في السكوت." (ت: ١٩٤هـ) ر: المختار.

٥- لم أظفر بترجمته.

٦- ابن الفرافصة الحافظ العبدي الكوفي، روى عن الأعمش والثوري ومسعر وغيرهم، وعنه: ابن المديني وإسحاق بن راهويه وأبو بكر بن أبي شيبة. (ت: ٢٠٣هـ) ر: تهذيب التهذيب.

حضرا لاحتاجا إلى مثله. فآتي سفيان فيقول لي: من أين؟ فأقول من عند أبي حنيفة، فيقول: لقد جئت من عند أفقه أهل الأرض".

○ إسرائيل بن يونس السبيعي[١]: "نعم الرجل النعمان! ما كان أحفظه لكل حديث فيه فقه، وأشد فحصه عنه، وأعلمه بما فيه من الفقه"!

○ ابن جريج[٢]: "ما أفتى أبو حنيفة في مسألة إلا من أصل محكم، لو شئنا لحكينا ذلك".

○ إبراهيم بن رستم[٣]: "سمعت خارجة[٤] يقول: لقيت ألف عالم أو أكثر، لم يكن واحد منهم يشبه أبا حنيفة في البصر والعلم والعقل، ونعم خادم العلم كان لأمة محمد-صلى الله عليه وسلم".

○ علي بن عاصم: "لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم"[٥].

○ فضيل بن عياض[٦]: "كان أبو حنيفة رجلا فقيها معروفا بالفقه، مشهورا بالورع، واسع المال معروفا بالإفضال على كل من يضيف به، صبورا على تعليم العلم بالليل والنهار، كثير الصمت قليل الكلام حتى ترد مسألة في حلال أو حرام، وكان يحسن أن يدل على الحق، هاربا من مال السلطان، وكان إذا وردت عليه مسألة فيها حديث صحيح اتبعه وإن كان عن الصحابة

١- الإمام الحافظ أبو يوسف الكوفي، سمع جده أبا إسحاق وسماك بن حرب وجماعة، وعنه: ابن المهدي وغيره، كان من أوعية العلم. (ت: ١٦٢هـ) ر: تذكرة الحفاظ حافظ رقم: ٢٠١، وذكره صاحب "عقود الجمان" في من لقي أبا حنيفة وأخذ عنه.

٢- هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم المكي، (لقي أبا حنيفة وأخذ عنه كما في "عقود الجمان") روى عن عطاء بن أبي رباح والزهري وعمرو بن شعيب، وعنه: السفيانان وأمم سواهما. قال أحمد: "كان من أوعية العلم." (ت: ١٥٠هـ) ر: تذكرة الحفاظ حافظ رقم: ١٦٤.

٣- أبو بكر المروزي، أحد الأعلام، تفقه على محمد بن الحسن، وروى عن أبي عصمة وأسد بن عمرو البجلي صاحبي أبي حنيفة، سمع من مالك والثوري، وروى عنه: أحمد وزهير بن حرب. (ت: ٢١١هـ) ر: الجواهر المضيئة.

٤- هو خارجة بن مصعب أبو الحجاج الضبيعي الخراساني، روى عن زيد بن أسلم .... ومالك وأبي حنيفة، وعنه: الثوري ..... (ت: ١٦٨هـ) ر: تهذيب التهذيب. وذكره في "عقود الجمان" في من لقي أبا حنيفة وأخذ عنه.

٥- وكفى بفقهه دليلا على كمال عقله، فضلا عن ما نقل من أقوال الأئمة، ومن عشرات الحكايات الدالة على ذلك.

٦- تقدمت ترجمته.

والتابعين، وإلا قاس فأحسن القياس".

○ روى الشيخان -رضي الله تعالى عنهما- عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس -أو قال: من أبناء فارس- حتى يتناوله»[١].

وفي الحديث على ما قال أهل العلم إشارة ظاهرة إلى أبي حنيفة وأصحابه -رضي الله تعالى عن جميعهم-[٢].

○ كان أوصى أبو حنيفة بأن يتولى غسله الحسن بن عمارة[٣]، فلما غسله قال: "رحمك الله يا أبا حنيفة! وغفر لك جزاء ما قدّمت، فإنك لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد بالليل يمينك منذ أربعين سنة، ولقد أتعبت الفقهاء من بعدك".

قالت الأمة الضعيفة -لطف الله بها- هذا، وإن استقصاء جميع ما ورد من الشهادات لهذا الإمام عن عدول الأمة، ومناقبه مما لا يستطاع، ولنتعلل بقول من قال:

أيا جبلي نعمان إن حصاكما لتحصى وما تحصى فضائل نعمان

جلائل كتب الفقه طالع تجد بها دقائق نعمان شقائق نعمان

١- أخرجه البخاري برقم: ٤٨٩٧، ومسلم برقم: ٦٤٩٢ . قلت: ورد الحديث بطرق متعددة قد ذكر فيها كل من لفظ العلم والإيمان والدين، والحديث صادق على أبي حنيفة -رضي الله عنه- بجميع ألفاظه.

٢- قال ابن حجر الهيتمي في "الخيرات الحسان": "قال بعض تلامذة الجلال السيوطي: وما يجزم به شيخنا أن الإمام أبا حنيفة هو المراد من الحديث ظاهر لا شك فيه؛ لأنه لم يبلغ أحد من أبناء فارس في العلم مبلغه، ولا مبلغ أصحابه. وفيه معجزة ظاهرة للنبي -صلى الله عليه وسلم- حيث أخبر بما يقع. وليس المراد بفارس البلد المعروف، بل جنس من العجم وهم الفرس". انتهى كلام تلميذ الإمام السيوطي - رحمهما الله -.

٣- أبو محمد الكوفي مولى بجيلة، حدث عن الزهري وعدي بن ثابت وعمرو بن دينار ....، وروى عنه: أبو يوسف القاضي ويونس بن بكير .... (ت: ١٥٣هـ) ر: تاريخ بغداد.

من شيوخ الإمام رضي الله عنه

كان لأبي حنيفة -رضي الله تعالى عنه- أربعة آلاف من الشيوخ، وكان شديد التعظيم لهم، فقد روى الموفق المكي بسنده إلى محمد بن الحسن قال: سمعت أبا حنيفة يقول: "ما صليت صلاة منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه علما، أو علمته علما".

وروي عنه أنه قال: "ما مددت رجلي نحو دار أستاذي حماد إجلالا له، وكان بين داري وداره سبع سكك".

وقال أبو يوسف -رضي الله تعالى عنه-: "إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبوي، ولقد سمعت أبا حنيفة يقول إني لأدعو لحماد مع أبوي".

وقد صنف في شيوخ الإمام جماعة من العلماء ورتبوهم على حروف الهجاء وجعلوه في مجلد، ونذكر منهم هنا البعض المشهورين، وإليك هم:

١- جعفر الصادق[١].

٢- حماد بن أبي سليمان[٢].

٣- سليمان بن مهران الأعمش.

١- هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي المرتضى الهاشمي، أحد الأعلام الأفراد والأولياء العباد، روى عن أبيه وخلق سواه. (ت: ١٤٨هـ) ر: المختار وتهذيب التهذيب.

٢- هو أبو إسماعيل الأشعري الكوفي الفقيه، روى عن أنس وزيد بن وهب وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وعكرمة وأبي وائل وإبراهيم النخعي وغيرهم، وعنه: شعبة وحماد بن سلمة ومسعر بن كدام وهشام الدستوائي وأبو حنيفة .... وجماعة. قال مغيرة: "قلت لإبراهيم النخعي: إن حمادا قعد يفتي، فقال: وما يمنعه أن يفتي وقد سألني هو وحده عما لم تسألوني كلكم عن عشره". ر: تهذيب التهذيب. وقال الكردري في مناقب الإمام في ذكر مشايخه: حماد بن مسلم أبي سليمان الأشعري .... مات سنة ١٢٠هـ. وقد قال أبو حنيفة: ما رأيت أفقه من حماد. آهـ

قلت: تفقه عليه أبو حنيفة، وتخرج عليه، ولازمه ثماني عشرة سنة، أعني إلى وفاته. وفي "شذرات الذهب" في وفيات سنة ١٢٠: "وفيها فقيه الكوفة أبو إسماعيل .... وكان جوادا سريا محتشما، يفطّر كل ليلة رمضان خمس مائة إنسان". آهـ

٤- سماك بن حرب[١].

٥- عامر الشعبي[٢].

٦- عطاء بن أبي رباح[٣].

٧- عطاء بن السائب[٤].

٨- عكرمة مولى ابن عباس[٥].

٩- علقمة[٦].

١٠- عمرو بن دينار[٧].

١- ابن أوس البكري الكوفي، روى عن جابر بن سمرة والنعمان بن بشير .... وجماعة، وعنه: ابنه سعيد والأعمش وشعبة والثوري وغيرهم. وقال حماد بن سلمة عنه: "أدركت ثمانين من الصحابة." (ت: ١٢٣) ر: تهذيب التهذيب.

٢- ابن شراحيل بن عبد الشعبي الحميري أبو عمرو الكوفي، روى عن علي وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وزيد بن ثابت وغيرهم من الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- وذكر الحافظ في "التهذيب" شيوخه من الصحابة سبعا وخمسين نفسا، ومن التابعين ثمانية عشر رجلا. قال ابن عيينة: "كانت الناس تقول: بعد الصحابة ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه والثوري في زمانه". ر: تهذيب التهذيب ترجمة رقم: ٣١٩٧، وفي "تذكرة الحفاظ": هو أكبر شيخ لأبي حنيفة. (ت: ١٠٣هـ)

٣- القرشي مولاهم، قال عطاء: أدركت مائتين من الصحابة، روى عنه مجاهد والزهري وأبو حنيفة وخلق كثير، كان ثقة فقيها عالما كثير الحديث، نشأ بمكة وانتهت إليه فتوى أهل مكة في زمانه. وقال أبو حنيفة: "ما رأيت في من لقيت أفضل من عطاء، ولا لقيت في من لقيت أكذب من جابر الجعفي". (ت: ١١٤هـ) ر: تهذيب التهذيب.

٤- هو عطاء بن السائب بن مالك أبو محمد الكوفي، روى عن أبيه وعبد الله بن أبي أوفى وسعيد بن جبير وآخرين، وعنه الأعمش والسفيانان والحمادان وغيرهم. (ت: ١٣٦هـ) ر: تهذيب الكمال، ترجمة رقم: ٤٥٦١ .

٥- البربري أبو عبد الله المدني، روى عن مولاه ابن عباس رضي الله تعالى عنه وعلي ابن أبي طالب والحسن بن علي وأبي هريرة وابن عمر، وعنه: الشعبي وإبراهيم النخعي. (ت: ١٠٥هـ) ر: تهذيب التهذيب.

٦- ابن مرثد الحضرمي أبو الحارث الكوفي، روى عن زر بن حبيش وطارق بن شهاب ..... وعنه: شعبة والثوري ومسعر وأبو حنيفة .... قال أحمد: "ثبت في الحديث ....". توفي في آخر ولاية خالد القسري على العراق. ر: تهذيب التهذيب.

٧- أبو محمد المكي الجمحي مولاهم، أحد الأعلام، روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وجابر بن عبد الله وغيرهم. وعنه: السفيانان والحمادان وآخرون. قال فيه سفيان بن عيينة: "كان ثقة ثقة ثقة." (ت: ١٢٦هـ) ر: تهذيب التهذيب.

١١- عون بن عبدالله[١].

١٢- محارب بن دثار[٢].

١٣- محمد بن السائب[٣].

١٤- محمد بن علي أبو جعفر الباقر.

١٥- محمد بن شهاب الزهري[٤].

١٦- نافع مولى ابن عمر[٥].

رضوان الله عليهم أجمعين.

١- ابن عتبة بن مسعود الهذلي الزاهد الكوفي، روى عن الشعبي وغيره، وعنه: الزهري وقتادة ومسعر وآخرون. (ت: ١١٥هـ) ر: تهذيب التهذيب.

٢- هو محارب بن دثار السدوسي، روى عن ابن عمر وجابر والأسود بن يزيد النخعي، وعنه: عطاء بن السائب والأعمش. (ت: ١١٦هـ) ر: تهذيب التهذيب.

٣- أبو النصر الكلبي الكوفي، روى عن أخويه: سفيان وسلمة، وعامر الشعبي وغيرهم، وعنه: السفيانان وغيرهما. (ت: ١٤٦هـ) ر: تهذيب التهذيب.

٤- تقدمت ترجمته.

٥- الفقيه أبو عبد الله المدني، أصابه ابن عمر في بعض مغازيه، روى عن مولاه وأبي هريرة وأبي لبابة وأبي سعيد الخدري وغيرهم -رضي الله تعالى عنهم-، وعنه: الزهري وأيوب السختياني ومالك ..... وقال البخاري: "أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر". (ت: ١١٩هـ) ر: تهذيب التهذيب.

من أصحاب الإمام رضي الله تعالى عنه

أكرم الله تعالى الإمام -رضي الله عنه- بأصحاب عظام كانوا في العلوم جبالا، يقرر معهم المسائل، ويقعد القواعد، ويتجنب بهم الخطأ لو أوشك أن يقع فيه. ذكر الخوارزمي في "جامع مسانيد الإمام" بسنده إلى وكيع بن الجراح، وكذا الخطيب في "تاريخه" إلى ابن كرامة، قال: كنا جلوسا عند وكيع بن الجراح، فقال رجل أخطأ أبو حنيفة، فقال وكيع: كيف يقدر أبو حنيفة يخطئ ومعه مثل أبي يوسف ومحمد بن الحسن وزفر في قياسهم واجتهادهم، ومثل يحي بن أبي زائدة وحفص بن غياث وحبان ومندل ابني علي[1] في حفظهم للحديث ومعرفتهم، ومثل القاسم بن معن بن عبد الرحمن في معرفته بالنحو واللغة، وداود الطائي وفضيل بن عياض في زهدهما وورعهما، وعبد الله بن المبارك في معرفته بالتفسير والأحاديث والتواريخ. فمن كان أصحابه وجلساؤه هؤلاء كيف يخطئ وهو بينهم؛ لأنه إن أخطأ ردوه إلى الصواب، والذي يقول مثل هذا كالأنعام بل هم أضل سبيلا. ثم قال: فمن زعم أن الحق مع من خالف أبا حنيفة -حيث وضع المذاهب وحده- أقول له ما قال الفرزدق[2] لجرير[3]:

١- كلاهما من أصحاب الإمام أبي حنيفة، حدثا عن الأعمش وغيره، قال ابن معين: "حبان أنبل من أخيه مندل". وقال معاذ بن معاذ: "دخلت الكوفة فلم أر أحدا أورع من مندل بن علي". روى لهما: ابن ماجة، وروى أبو داود لمندل. مات حبان سنة ١٧١هـأو ١٧٢هـ، ومات مندل سنة ١٦٧هـ وقيل: ١٦٨هـ. ر: الجواهر المضيئة.

٢- هو أبو فراس همام بن صعصعة التميمي الشاعر المعروف، لقب بالفرزدق -وهو القطعة من العجين تبسط فيخبز الرغيف- لأنه كان غليظا جهما، وكان يقال: لولا شعره لذهب ثلث لغة العرب. شعره ونقائضه مع جرير معروفة، وكان جده صعصعة يقال له: "محيي الموؤودات"؛ وذلك أنه لم يكن يسمع بموؤودة إلا فداها فجاء الإسلام وقد فدى ثلاث مائة موؤودة، ولفرزدق ديوان. (ت: ١١٠هـ) ر: مقدمة ديوان الفرزدق، والشعر والشعراء.

قلت: ذكرت من شأن صعصعة جد الفرزدق هذا لأبي عند مقبرة الموؤودات بمكة المكرمة لما زرنا البيت الشريف معتمرين عام ١٤٣٤هـ.

٣- هو جرير بن عطية الخطفي الشاعر المشهور من تميم من الطبقة الأولى، عاش يساجل الشعراء، وكان هجائه مرا، وله ديوان. (ت: ١١٠) ر: مقدمة ديوان جرير، والشعر والشعراء لابن قتيبة.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

انتهى.

فمنهم:

١- الإمام حسن بن زياد اللؤلؤي[١].

٢- الحسن بن فرات[٢].

٣- حفص بن غياث[٣].

٤- الإمام زفر بن هذيل العنبري.

٥- عبد الله بن المبارك.

٦- أبو نعيم الفضل بن دكين[٤].

١- مولى الأنصار الكوفي، روى عن الإمام، وعنه: ابن سماعة ومحمد بن شجاع البلخي، وشعبة بن أيوب. روي أنه استفتي يوما فأخطأ، ولم يظفر بالمستفتي، فاكترى مناديا ينادي: ألا إن الحسن استفتي يوم كذا عن مسألة فأخطأ، فمن كان أفتاه الحسن فليرجع إليه، ومكث ثلاثة أيام لا يفتي حتى عاد إليه السائل فأعلمه بخطئه ورده إلى الحق. وذكر أنه كان يكسو مماليكه مما يكسو نفسه، وكان لا يفتر عن النظر في العلم، وكانت له جارية إذا اشتغل بالطعام أو الوضوء أو بغير ذلك تقرأ عليه المسائل حتى يفرغ من حاجته. (ت: ٢٠٤هـ) ر: "الجواهر". واللؤلؤي: بضم اللامين بينهما واو ساكنة وفي آخرها واو ثانية، نسبة إلى بيع اللؤلؤ، قاله علماء الأنساب.

٢- هو الحسن بن الفرات بن أبي عبد الرحمن التيمي القزاز الكوفي، روى عن أبي معشر وابن أبي مليكة وغيرهما. قال ابن معين: "ثقة". ر: تهذيب التهذيب ترجمة رقم: ١٣٤٨ .

٣- هو حفص بن غياث بن طلق المعروف بالنخعي القاضي الكوفي الإمام صاحب الإمام، أحد من قال فيه الإمام في جماعة: "أنتم مسار قلبي وجلاء حزني". روى عن الأعمش وغيره، وروى عنه: أحمد وابن المديني وسعيد القطان. قال فيه القطان: "أوثق أصحاب الأعمش حفص بن غياث." روى له الجماعة. (ت: ١٩٤هـ) ر: الجواهر.

٤- هو الحافظ الثبت الكوفي الملائي، واسم دكين عمرو بن حماد، سمع الأعمش وزكريا بن أبي زائدة وخلائق، وعنه: أحمد وإسحاق وابن معين وعدة. قال يعقوب الفسوي: "أجمع أصحابنا أن أبا نعيم كان غاية في الإتقان". (ت: ٢١٩) ر: تذكرة الحفاظ ترجمة رقم: ٣٦٩ .

٧- القاسم بن معن المسعودي[١].

٨- الليث بن سعد[٢].

٩- الإمام محمد بن الحسن الشيباني.

١٠- مكي بن إبراهيم.

١١- وكيع بن الجراح.

١٢- يحيي بن زكريا بن أبي زائدة[٣].

١٣- يحيي بن سعيد القطان.

١٤- الإمام أبو يوسف القاضي.

وقد اتبعه على مذهبه كثير من الأولياء والزهاد، كـ :

١- إبراهيم بن أدهم[٤].

١- هو أبو عبد الله القاسم بن معن بن عبد الرحمن الهذلي المسعودي الكوفي قاضيها، روى عن أبان بن تغلب وجعفر بن محمد الصادق وعدد، وعنه: الفضل بن دكين وابن المهدي وخلق. قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: "ثقة روى عنه ابن المهدي وكان على قضاء الكوفة، وكان لا يأخذ على القضاء أجراً وكان رجلا يعقل، صاحب شعر ونحو، وذكر خيرا". (ت: ١٧٥هـ) ر: تهذيب الكمال، ترجمة رقم: ٥٤٥٤ .

٢- هو الليث بن سعد الإمام الحافظ شيخ الديار المصرية وعالمها ورئيسها أبو الحارث مولى لقيس، حدث عن عطاء بن أبي رباح والزهري.... وعنه: ابن وهب وخلائق. قال ابن وهب: "لولا الليث ومالك لضللنا". وقال محمد بن رمح: "كان دخل الليث في السنة ثمانين ألف دينار، فما أوجب الله عليه زكاة قط". (ت: ١٧٥هـ) ر: تذكرة الحفاظ ترجمة رقم:٢١٠ ، وصفة الصفوة ترجمة رقم: ٨٣٥ .

٣- هو أبو سعيد الكوفي الهمداني، كان في العشرة المتقدمين من أربعين رجلا من أصحاب أبي حنيفة -رضي الله عن الجميع- الذين دونوا الكتب، وكان الذي يكتبها لهم ثلاثين سنة، روى عنه: أحمد وابن معين وغيرهما. مات بالمدينة قاضيا لها سنة ١٩٢هـ. روى له الجماعة. ر: الجواهر.

٤- هو إبراهيم بن أدهم أبو إسحاق البلخي، كان من أبناء الملوك والمياسير، خرج متصيدا فهتف به هاتف أيقظه من غفلته، فترك طريقته في التزين بالدنيا ورجع إلى طريق أهل الزهد والورع. (ت: ١٦١هـ) ر: طبقات الصوفية للسلمي، صوفي رقم: ٣، وطبقات الأولياء، ولي رقم: ١.

وفي كتاب الإجارات من "محاسن الإسلام" للعلاء الزاهد: "أن ابن أدهم كان في داره ببلخ، إذ دخل في داره رجل آخذ -

٢- وأبي حامد أحمد اللفاف[١]
٣- وخلف بن أيوب.
٤- وداود الطائي.
٥- وشقيق البلخي.
٦- وأبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي[٢].
٧- وفضيل بن عياض.
٨- وأبي بكر الوراق[٣].
٩- ومعروف الكرخي[٤]. -رضي الله عن الجميع-

- بزمام بعير فقيل له: أين تدخل؟ قال: أدخل الرباط لأسكن. فقيل له: هذه دار الأمير. فقال: من أين له هذه الدار؟ فقيل: من أبيه. قال: وممن ورث أبوه؟ قيل: من أبيه. فقال الرجل: وهل الرباط إلا مسكن يسكن فيه ساكن ويذهب، ثم ينزل فيه آخر. فسمع إبراهيم هذا الكلام، وانتبه من سكرة الدنيا وتاب وبلغ هذا المبلغ أن يذكر مع كل صالح. آهـ

١- هو أحمد بن خِضْرَوَيْهْ البلخي أبو حامد، من كبار مشايخ خراسان. صحب أبا تراب وحاتما الأصم، وكان يقول: "القلوب جوالة، إما أن تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحش". (ت: ٢٤٠هـ) ر: طبقات الصوفية، صوفي رقم: ١٣ ، والطبقات الكبرى للشعراني ترجمة رقم: ١٥٤ .

٢- من الأعلام كان جده مجوسيا وأسلم، وهم ثلاثة إخوة: آدم وطيفور وعلي، كلهم زهاد وعباد، وأبو يزيد أجلهم حالا. (ت: ٢٦١هـ) ر: طبقات الأولياء، ولي رقم: ١١٧ .

٣- هو محمد بن عمر الحكيم، أصله من ترمذ وأقام ببلخ، لقي أبا حامد أحمد اللفاف، له الكتب المشهورة في أنواع الرياضات والمعاملات والآداب. ر: طبقات الصوفية، صوفي رقم: ٣٣ ، والمختار، ترجمة رقم: ٤٤٥ .

٤- هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، من جملة المشايخ المشهورين بالزهد والورع والفتوة مجاب الدعوة، صحب داود الطائي. من كلامه: "إذا أراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل، وأغلق عليه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شرا أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل". (ت ٢٠٠هـ) ر: الطبقات الكبرى للشعراني، ترجمة رقم: ١٤٢.

المبحث الثاني

في شهادات أئمة الأمة

للإمام أبي يوسف القاضي صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما

من خصائص المذهب الحنفي وأجلى ميزاته أنه مذهب شورى، والمناظرات المديدة، تلقته جماعة عن جماعة إلى الصحابة -رضوان الله عليهم- بخلاف سائر المذاهب، فإنها مجموعة آراء لأئمتها. فروي عن أسد بن فرات أنه قال:

قال لي أسد بن عمرو[1]: "كانوا يختلفون عند أبي حنيفة -رضي الله تعالى عنه- في جواب مسألة، فيأتي هذا بجواب، وهذا بجواب، ثم يرفعونها إليه ويسألونه عنها، فيأتي الجواب من كَثَب -أي من قرب- وكانوا يقيمون في مسألة ثلاثة أيام، ثم يكتبونها في الديوان".آه

وكذلك روي عن أسد بن فرات أنه قال: "كان أصحاب أبي حنيفة الذين دونوا الكتب أربعين رجلا، فكان في العشرة المتقدمين: أبو يوسف، وزفر بن هذيل، وداود الطائي، وأسد بن عمرو، ويوسف بن خالد السمتي[2] -أحد مشايخ الشافعي-رضي الله عنه- ويحي بن أبي زائدة، وهو الذي كان يكتبها لهم ثلاثين سنة". آه

فينبغي بعد ذكر الإمام الأعظم أن نذكر صاحبه الأقدم الأكبر الإمام المجتهد المطلق قاضي القضاة في الشرق والغرب أبا يوسف -رضي الله تعالى عنهما- ونورد طرفا من شهادات الأئمة له وثنائهم عليه:

١- هو أسد بن عمرو بن عامر البجلي الكوفي أحد الأعلام، سمع أبا حنيفة وتفقه عليه، وروى عنه: الإمام أحمد بن حنبل، وناهيك به. قال الصيمري بسنده إلى أبي نعيم وقال: "أول من كتب لأبي حنيفة أسد بن عمرو". (ت: ١٩٨هـ) ر: الجواهر.

٢- هو يوسف بن خالد بن عمر أبو خالد السمتي، أحد أصحاب الإمام أبي حنيفة. قال الصيمري: "كان قديم الصحبة لأبي حنيفة، كثير الأخذ عنه". روى له ابن ماجة -رحمه الله- (ت: ١٩٩هـ) ر: الجواهر.

هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، من ولد سعد ابن حبتة، الصحابي المشهور الذي جاءت به أمه حبتة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فدعا له وبرك عليه، ومسح على رأسه.

ولد سنة ثلاث عشرة ومائة، وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة من الهجرة، كان أكبر تلاميذ الإمام، وأفضل معين له، كما كان أبو حنيفة يواسيه حال الطلب؛ لفقر والديه، ولولاه لم يتعلم.

وسمع أيضا: ابن أبي ليلى، وسفيان الثوري، ومالكا، ومسعرا، وهشام بن عروة[١]، وعطاء بن السائب، وطبقتهم.

وعنه: الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن الحسن الفقيهان المجتهدان، وابن معين، وعلي بن الجعد[٢]، وعلي بن مسلم الطوسي[٣]، وخلق سواهم.

وهو أول من دعي بقاضي القضاة في الإسلام، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، وبث علم أبي حنيفة -رضي الله عنه- في أقطار الأرض.

○ قال الإمام محمد بن الحسن: "مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة -رضي الله تعالى عن الثلاثة- مرضا خيف عليه، فعاده أبو حنيفة ونحن معه، فلما خرج من عنده وضع يديه على عتبة بابه وقال: "إن يمت هذا الفتى فإنه أعلم من عليها"، وأومأ إلى الأرض".

○ أبو يوسف: "سألني الأعمش -وهو شيخه- عن مسائل، فأجبته فيها، فقال لي: من أين قلت هذا؟ فقلت لحديثك الذي حدثناه أنت، ثم ذكرت له الحديث، فقال لي: يا يعقوب إني لأحفظ هذا الحديث قبل أن يجتمع أبواك فما عرفت تأويله حتى الآن". آه

○ أحمد بن حنبل: "إذا كان في المسألة قول ثلاثة لم تسع مخالفتهم، فقيل له: من هم؟ قال:

١- هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، الإمام الحافظ الحجة أبو المنذر القرشي الزبيري الفقيه، حدث عن عمه ابن الزبير وأبيه وطائفة، وعنه: مالك والسفيانان والحمادان وخلق. (ت: ١٤٦هـ) ر: تذكرة الحفاظ ترجمة رقم:١٣٨ .

٢- هو علي بن الجعد بن عبيد الجوهري أبو الحسن من أصحاب أبي يوسف. رأى الإمام وهو صغير، وروى عنه من يوم مات أبو حنيفة -رضي الله عنه- روى عنه البخاري وأبو داود. (ت: ١٣٠هـ) ر: الجواهر.

٣- هو علي بن مسلم بن سعيد الطوسي نزيل بغداد، روى عن إسماعيل بن علية وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وعدد، وعنه: البخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم. (ت: ٢٥٣هـ) ر: تهذيب الكمال، ترجمة رقم: ٤٧٦٣ .

أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد-رضي الله عنهم-".

- عنه أيضا: "أبو يوسف أبصر الناس بالآثار".
- أحمد وابن معين وعلي بن المديني: "أبو يوسف ثقة".
- ابن معين: "أبو يوسف صاحب حديث وصاحب سنة".
- الإمام النسائي[١]: "أبو يوسف القاضي ثقة.
- المزني صاحب الإمام الشافعي: "أبو يوسف أتبع القوم للحديث".
- عاصم بن يوسف[٢]: "قلت لأبي يوسف: اجتمع الناس على أنه لا يتقدمك في العلم أحد، فقال: ما علمي عند علم الإمام إلا كنهر صغير في جانب الفرات".
- معلى بن منصور[٣]: "قال أبو يوسف: ما اتفق قولي وقوله إلا وجدت لها في قلبي قوة، وما فارقته في مسألة إلا وفي قلبي أمثال الجبال من الضعف والريبة".
- السمعاني في "الأنساب": "ولم يختلف يحي بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني - رضي الله عنهم- في ثقته في النقل، وأنه لا يتقدمه أحد في زمانه، وكان النهاية في العلم والحكم، والرئاسة والقدر".

١- هو أحمد بن شعيب بن علي أبو عبد الرحمن النسائي الحافظ، صاحب "كتاب السنن"، سمع من خلائق لا يحصون، وروى عنه أمم لا يحصون، فيهم رواة كتابه "السنن". قال فيه الطحاوي: "أبو عبد الرحمن إمام من أئمة المسلمين". و"النسائي" بفتح النون، نسبة إلى بلد بخراسان يقال لها: نَسَا. (ت: ٣٠٣هـ) ر: الأنساب، ترجمة رقم: ١٦٥١ ، وتهذيب التهذيب.

٢- هو عاصم بن يوسف اليربوعي أبو عمرو الخياط الكوفي، روى عن إسرائيل بن يونس وفضيل بن عياض وخلق. وعنه: أبو شيبة إبراهيم بن أبي بكر بن أبي شيبة، وإبراهيم بن القعقاع وغيرهما. روى له البخاري والترمذي والنسائي. (ت: ٢٢٠هـ) ر: تهذيب الكمال، ترجمة رقم: ٣٠٣٩ .

٣- هو أبو يحي الرازي، سكن بغداد، روى عن أبي يوسف ومحمد الكتب والأمالي والنوادر، كان من الورع والدين وحفظ الفقه والحديث بالمنزلة الرفيعة، عرض عليه المأمون القضاء فلم يتقلد له، روى عن مالك والليث وغيرهما، روى له: أبو داود والترمذي وابن ماجة (ت: ٢١١هـ) ر: الجواهر.

○ يحيى بن يحيى التميمي[1]: "سمعت أبا يوسف يقول عند وفاته: كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه إلا ما وافق الكتاب والسنة".

○ ابن عبد البر المالكي: "قاضي القضاة، فقيه العراقيين، حافظ الحديث".

○ عنه أيضا: "لا أعلم قاضيا كان إليه تولية القضاء في الآفاق من المشرق إلى المغرب إلا أبا يوسف -رضي الله عنه-". وذكر قاضيا آخر أيضا.

وفي إيراد هذا القليل من سيره والشهادات له تكون كفاية.

١- هو يحيى بن يحيى بن بكير التميمي الحنظلي أبو زكريا النيسابوري، روى عن مالك والحمادين وخلق، وعنه: البخاري ومسلم وآخرون. (ت: ٢٢٦هـ) ر: تهذيب التهذيب.

المبحث الثالث

في شهادات أئمة الأمة

للإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وأبي يوسف رضي الله عنهم

ثلّثنا بذكره لأنه -رضي الله عنه- ثالث ثلاثة الذين قال فيهم محدث الأمة أحمد بن حنبل-رضي الله عنه-: "إذا اجتمع في المسألة قول ثلاثة فلا تسمع مخالفتهم".

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني الكوفي.

ولد -رضي الله تعالى عنه- بواسط سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وتوفي بالري سنة تسع وثمانين ومائة، يوم مات علي بن حمزة الكسائي[١] وفيهما يقول الرشيد[٢]: "دفنت الفقه والنحو بالري".

وهو راوية الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف -رضي الله تعالى عنهم- القائم بمذهبهما، ومدونه، كتب عن الإمام مالك -رضي الله تعالى عنه- كثيرا من حديثه، وروى عنه "الموطأ".

وتلمذ أيضا على ابن جريج المكي، ومسعر بن كدام، والأوزاعي، وآخرين.

روى عنه الإمام الشافعي، وأبو عبيد القاسم بن سلام[٣]، ....

١- هو علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي أبو الحسن، إمام الكوفيين في النحو واللغة وأحد القراء السبعة المشهورين، وسمي الكسائي لأنه أحرم في كساء، وقيل لغير ذلك. سمع سليمان بن أرقم وأبا بكر بن عياش، مجالسته مع أبي يوسف القاضي معروفة. ر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، نحوي رقم: ١٧٠٢ .

٢- هو هارون محمد بن المهدي أبو محمد الملقب بالرشيد لدين الله، من أشهر خلفاء الدولة العباسية، وواسطة عقدهم، حكم في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، بويع له بعد وفات أخيه موسى الهادي. (ت: ١٩٣هـ) ر: الاكتفاء في أخبار الخلفاء، لأبي مروان التوزري.

٣- هو أبو عبيد القاسم بن سلّام -بتشديد اللام- إمام عصره في كل فن من العلم، أخذ عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي وابن الأعرابي والكسائي وغيرهم، وروى الناس من كتبه نيفا وعشرين كتابا، له من التصانيف: "غريب القرآن" و"غريب الحديث" و"معاني القرآن" وغير ذلك. (ت: ٢٢٣هـ) ر:بغية الوعاة، لغوي رقم: ١٩٢٠ .

وهشام بن عبيد الرازي[١]، وأبو سليمان الجوزجاني[٢]، ومعلى بن منصور الرازي، وعلي بن مسلم الطوسي، واسد بن الفرات[٣]، وإبراهيم بن رستم[٤]، وأبو حفص الكبير[٥]، وعيسى بن أبان[٦]، ومحمد بن سماعة[٧]، وخلق سواهم.

وكان سبب اتصاله بحلقة أبي حنيفة وتفقهه عليه أن محمدا لما بلغ أربع عشرة سنة، حضر مجلس أبي حنيفة ليسأله عن مسألة نزلت به، فسأله قائلا: ما تقول في غلام احتلم بالليل بعد ما

١- هو هشام بن عبيد الله الرازي، مات محمد بن الحسن في منزله بالري ودفن في مقبرتهم، تفقه على أبي يوسف ومحمد. قال هشام: "لقيت ألفا وسبع مائة شيخ، وأنفقت في العلم سبع مائة ألف درهم". له: "النوادر". ر: الجواهر.

٢- هو موسى بن سليمان أبو سليمان الجوزجاني، أخذ الفقه عن محمد وكتب مسائل الأصول، والأمالي، وكان مشاركا لمعلى بن منصور، عرض عليه المأمون القضاء فلم يقبل، وله: "السير الصغير" و"النوادر" وغير ذلك. توفي بعد المائتين. ر: الفوائد البهية. و"الجوزجاني" بضم الجيم الأولى وسكون الواو وفتح الزاي المعجمة، نسبة إلى جوزجان، بلدة مما يلي بلخ. ر: الأنساب.

٣- هو أسد بن الفرات بن سنان أبو عبد الله مولى بني سليم النيسابوري، سمع من مالك بن أنس "الموطأ" وغيره، ولقي أبا يوسف، ولازم محمدا، وروى عن هشيم وغيره. (ت: ٢١٣هـ) ر: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ترجمة رقم: ٢٣٠ . قلت: له "الأسدية" في مذهب مالك، نسجها على منوال كتب محمد بن الحسن -رحمه الله- .

٤- هو إبراهيم بن رستم أبو بكر المروزي، أحد الأعلام، تفقه على محمد بن الحسن، وروى عن أبي عصمة وأسد بن عمرو البجلي، وهما ممن تفقها على أبي حنيفة، تفقه عليه الجم الغفير، وسمع مالكا والثوري وشعبة وغيرهم، عرض عليه المأمون القضاء فامتنع وانصرف إلى منزله فتصدق بعشرة آلاف درهم. (ت: ٢١١هـ) ر: الجواهر.

٥- هو أحمد بن حفص أبو حفص الكبير البخاري، الإمام المشهور، عالم ما وراء النهر، أخذ الفقه عن محمد بن الحسن، وله أصحاب لا يحصون، وتوصيفه بالكبير بالنسبة إلى ابنه، فإنه يكنى بأبي حفص الصغير، له اختيارات خالف فيها جمهور الأصحاب. ر: الجواهر، والفوائد البهية. (ت: ٢١٧هـ)

٦- هو عيسى بن أبان بن صدقة أبو موسى، الإمام الكبير، تفقه على الإمام محمد بن الحسن -رحمه الله- (وسيأتي خبر ملازمته له) ولي قضاء البصرة، ووصف بالذكاء والسخاء وسعة العلم. له: "كتاب الحجة الصغير" و"الكبير". (ت: ٢٢١هـ) ر: تاج التراجم.

٧- هو محمد بن سماعة بن عبد الله التميمي الإمام أحد الثقات الأثبات، حدث عن الليث بن سعد وأبي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن، وكتب النوادر عن أبي يوسف ومحمد، وروى الكتب والأمالي، كان يصلي في كل يوم مائتي ركعة، ولما مات قال يحيى بن معين: "مات ريحانة العلم من أهل الرأي". له: كتاب "أدب القاضي" و"كتاب المحاضر والسجلات" و"النوادر". (ت: ٢٣٣هـ) ر: الجواهر.

صلى العشاء، هل يعيد العشاء؟ قال: نعم، فقام وأخذ نعله، وأعاد العشاء في زاوية المسجد، وهو أول ما تعلم من أبي حنيفة، فلما رآه يعيد الصلاة أعجبه ذلك، وقال: إن هذا الصبي يفلح إن شاء الله، وكان كما قال. وفي رواية "مبسوط" شمس الأئمة السرخسي -رضي الله عنه-: "أنه [يعني محمدا] كان من أولاد بعض الأغنياء، فمر يوما ببني حرام ووقف عند باب المسجد يسمع كلام أبي حنيفة -رضي الله عنه- كما يفعله الصبيان، وكان هو يعلم أصحابه هذه المسألة، وكان محمد قد ابتلي بها في تلك الليلة، فدخل المسجد وأعاد العشاء، فدعاه أبو حنيفة - رضي الله عنه - وقال ما هذه الصلاة التي صليتها؟ فأخبره بما ابتلي به. فقال: يا غلام الزم مجلسنا فإنك تفلح، فتفرس فيه خيرا حين رآه عمل بما تعلم من ساعته."[1] آه

ودخل على الإمام أول ما دخل للعلم، قال: استظهر القرآن. فغاب سبعة أيام ثم جاء وقال: حفظته.

وهذا عد من كراماته، ودل على قوة حفظه وشدة سرعته إلى امتثال أمر شيخه، على ما كان به من حداثة سنه.

○ قال مالك بن أنس -رضي الله عنه- يوما وعنده أصحاب الحديث: "ما يأتينا من ناحية المشرق أحد فيه معنى -وكان في الجماعة محمد بن الحسن فوقعت عينه عليه فقال- إلا هذا الفتى" وكان قد أتاه ابن المبارك ووكيع وغيرهما.

وكان الإمام الشافعي -رضي الله عنه- يثني عليه ويعترف بالفضل والفقه له -ولا يعترف بالفضل لذويه إلا ذووه- فقال: "ما رأيت أعلم بكتاب الله -عزو جل- من محمد بن الحسن".

○ عنه أيضا: "ما رأيت أعقل من محمد بن الحسن".

○ عنه أيضا: "ما رأيت مبدِّنا[2] قط أذكى من محمد بن الحسن".

○ عنه أيضا: سمعت من محمد وقر بعير، قال: وكان يملأ العين.

١- المبسوط: باب نوادر الصلاة.

٢- عظيم البدن أي السمين.

○ عنه أيضا: "ما رأيت أعلم بالحلال والحرام، والعلل والناسخ والمنسوخ من محمد بن الحسن".

○ عنه أيضا: "ما رأت عيناي مثل محمد بن الحسن، لم تلد النساء مثله".

○ عنه أيضا: "ما رأيت أفصح منه، كنت أظن إذا رأيته يقرأ كأن القرآن نزل بلغته".

○ عنه أيضا: "ما رأيت سمينا أخف روحا من محمد بن الحسن، وما رأيت أفصح منه".

○ عنه أيضا: "لو أنصف الناس الفقهاء لعلموا أنهم لم يروا مثل محمد بن الحسن، وما جالست فقيها قط أفقه من محمد، ولا فتق لساني بالفقه مثله، لقد يحسن من الفقه وأسبابه شيئا يعجز عنه الأكابر".

○ عنه أيضا: "أن رجلا سأله عن مسألة فأجابه، فقال له الرجل: يا أبا عبد الله! خالفك الفقهاء، فقال له الشافعي: وهل رأيت فقيها قط؟ اللّٰهُمَّ إلا أن تكون رأيت محمد بن الحسن، فإنه كان يملأ العين والقلب".

○ عنه أيضا: "كان إذا أخذ في المسألة كأنه قرآن ينزل، لا يقدم حرفا ولا يؤخره".

○ عنه أيضا -رواية البويطي-: "أعانني الله برجلين: في الحديث بابن عيينة، وفي الفقه بمحمد بن الحسن".

○ عنه أيضا -رواية الربيع-: "حملت عن محمد وقر بعير كتبا". وقال الربيع: وكان الشافعي يعظمه في العلم، وكذلك أحمد -رضي الله عنهم-.

○ عنه أيضا: "والله ماصرت فقيها إلا بكتب محمد بن الحسن".

○ عنه أيضا: "جالسته عشر سنين، وحملت من كلامه حملي جمل، لو كان يكلمنا بقدره ما فهمنا كلامه، لكنه كان يكلمنا بقدر عقولنا".

○ عنه أيضا: "أنه كتب إلى محمد -رضي الله عنه- وقد طلب منه كتبا فأخرها:

قل للذي لم ترعيـ ـن من رآه مثله
حـتى كأن من رآ ه قد رأى من قبله

العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله
لعله يبذله لأهله لعله[1]

فأنفذ إليه الكتب من وقته هدية لا عارية.

○ عنه أيضا: "قال لي محمد بن الحسن: أقمت على باب مالك ثلاث سنين، وسمعت من لفظه سبعمائة حديث، وكان لا يحدث من لفظه إلا قليلا".

○ أحمد بن حنبل-رضي الله عنه-: "أنه -يعني محمدا- أبصر الناس بالعربية".

وقد سبق قوله: إذا كان في المسألة قول ثلاثة... .إلخ

○ إبراهيم الحربي[2]: "قلت لأحمد: من أين لك هذه المسائل الدقيقة؟ قال: من كتب محمد بن الحسن".

○ يحي بن صالح[3]: "قال لي يحي بن أكثم[4]: "رأيت مالكا ومحمد بن الحسن، فأيهما أفقه؟ فقلت: محمد بن الحسن أفقه من مالك".

○ يحي بن معين: "كتبت الجامع الصغير عن محمد بن الحسن".

○ أبو عبيد الإمام: ما رأيت أعلم بكتاب الله تعالى منه.

○ محمد بن سماعة: "كان عيسى بن أبان يصلي معنا -أي في المسجد الذي كان يصلي فيه الإمام محمد- فيقول -عيسى بن أبان-: هؤلاء قوم يخالفون الحديث، وكان عيسى حسن الحفظ للحديث، فصلى معنا يوما الصبح -وكان يوم مجلس محمد- فلم أفارقه حتى جلس في المجلس، فلما فرغ محمد أدنيته منه، وقلت له: هذا ابن أخيك أبان بن صدقة الكاتب، ومعه ذكاء ومعرفة بالحديث، وأنا أدعوه إليك فيأبى ويقول: إنا نخالف الحديث، فأقبل عليه وقال له: يا بني ما الذي

١- الأبيات في ديوان الشافعي: قافية اللام، مع زيادة بيتين.

٢- ستأتي ترجمته في مبحث أصحاب أحمد -رحمه الله-.

٣- هو يحي بن صالح الوُحاظي أبو زكريا، سمع مالكا ومحمد بن الحسن، روى عنه: أبو زرعة وأبو حاتم والبخاري، روى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. (ت: ٢٢٢هـ) ر: الجواهر.

٤- هو يحي بن أكثم القاضي أحد الأعلام، روى له البخاري في غير "الجامع" والترمذي في "سننه". (ت: ٢٤٣هـ) ر: الجواهر.

رأيتنا نخالفه من الحديث؟ لا تشهد علينا حتى تشهد منا. فسأله يومئذ عن خمسة وعشرين بابا من الحديث، فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها، ويخبره بما فيها من المنسوخ، ويأتي بالشواهد والدلائل، فالتفت -عيسى بن أبان- إلي بعدما خرجنا، فقال كان بيني وبين النور ستر فارتفع عني، ما ظننت أن في ملك الله مثل هذا الرجل يظهره للناس. ولزم محمد بن الحسن لزوما شديدا حتى تفقه به".

○ الذهبي في "الميزان": "كان محمد بن الحسن من بحور العلم والفقه، قويا في مالك"[١].

○ الخطيب البغدادي: "وكان محمد بن الحسن إذا حدثهم عن مالك امتلأ منزله، وكثر الناس حتى يضيق عليه الموضع".

○ قيل: إن أباه قدمه إلى الإمام -رضي الله عنه- فقال الإمام لوالده: احلق رأسه، وألبسه الخلقان، ففعل أبوه امتثالا، فزاد عند الحلق حسنا وجمالا. وفيه يقول أبو نواس الشاعر[٢]:

حلقوا رأسه ليكسوه قبحا   غيرة منهم عليه وشحا

كأن في وجهه صباح وليل   نزعوا ليله وأبقوه صبحا

○ شمس الأئمة السرخسي -رضي الله عنه- في "المبسوط": "وحكي عن يحيي البناء -وكان من أصحاب محمد- أنه سأله عن هذه المسألة [وهي مسألة صلاة المسبوق أن ما أدركه مع الإمام أول صلاته أم آخرها؟] فأجاب بما قلنا، فقال على وجه السخرية: هذه صلاة معكوسة، فقال محمد -رضي الله عنه- لا أفلحت، قال: وكان كما قال، أفلح أصحابه ولم يفلح هو بدعائه"[٣].

○ قيل: إنه -رضي الله عنه- صنف تسعمائة وتسعين كتابا، كلها في العلوم الدينية، ونشر علم أبي حنيفة -رضي الله عنه-.

وفي هذا الذي سقناه كفاية للموقن، وهداية للمذعن بفضل هذا الإمام -رضي الله عنه وأرضاه- .

١- أي في الرواية عن مالك.

٢- هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول الحكمي بالولاء، شاعر العراق في عصره، ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة، نظم في جميع أنواع الشعر، وأشهر شعره في الخمريات. له ديوان. (ت: ١٩٨هـ) ر: الشعر والشعراء.

٣- المبسوط، باب الحدث في الصلاة:١/٣٤٧ .

....

******

اعلم أن الاستمداد في الشهادات للأئمة الثلاثة من المصادر التالية، ولم أذكر مع كل نقل مصدره منها في الهامش؛ احترازا عن تثقيل عبء الهامش بلا فائدة معتدة بها، وهي:

- مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه.
- سير أعلام النبلاء.
- ميزان الاعتدال، ثلاثتها للحافظ الذهبي.
- الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، للحافظ ابن عبد البر المالكي.
- الأنساب، للإمام السمعاني.
- المختار من مناقب الأخيار، للمجد ابن الأثير.
- المبسوط، لشمس الأئمة السرخسي.
- مناقب الإمام الأعظم، للملا علي بن السلطان القاري.
- تبييض الصحيفة، للجلال السيوطي.
- عقود الجمان في مناقب النعمان، للشمس الصالحي.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي.
- أبو حنيفة النعمان، وهبي سليمان غاوجي.
- حسن التقاضي في سيرة أبي يوسف القاضي.
- بلوغ الأماني في سيرة محمد بن الحسن الشيباني، كلاهما للشيخ محمد زاهد الكوثري.

من الكتب المصنفة في مناقب الإمام وأصحابه رضي الله عنهم

لقد صنف جم غفير من الأئمة الأعلام -ممن على مذهب الإمام أو على مذهب الأئمة الآخرين- في مناقبه وفواضله والذب عنه، والانتصار له، وفي مناقب أصحابه، كتبا كثيرة لا تحصى، نسرد منها بعضها:

١- "أخبار أبي حنيفة وأصحابه"، للقاضي حسين بن علي الصيمري، (ت: ٤٣٦هـ)

٢- "الانتصار لإمام أئمة الأمصار"، لأبي المظفر يوسف بن عبد الله، المعروف بـ "سبط ابن الجوزي" (ت: ٦٤٥هـ) تحنف بعد ما كان على مذهب الإمام أحمد بن حنبل -رضي الله تعالى عنه-.

٣- "الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء"، لابن عبد البر المالكي، (ت: ٤٦٣هـ) جمع فيه الأئمة الثلاثة المتبوعين، خلا أحمد بن حنبل – رضي الله تعالى عنه- .

٤- "البستان في مناقب النعمان"، لعبد القادر ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي صاحب "الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية"، (ت: ٧٧٥هـ)

٥- "تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة"، للإمام جلال الدين السيوطي الشافعي، (ت: ٩١١هـ)

٦- "تنوير الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة"، ليوسف بن عبد الهادي الحنبلي ابن المبرد، (ت: ٩٠٩هـ)

٧- "الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان" للإمام ابن حجر الهيتمي الشافعي، (ت: ٩٧٤هـ)

٨- "السهم المصيب في الرد على الخطيب"، للملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل محمد، صاحب "أصول الجامع الكبير"، (ت: ٦٣٤هـ) وهو أول من رد على الخطيب.

٩- "شقائق النعمان في مناقب النعمان"، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري الحنفي، (ت: ٥٣٨هـ)

١٠- "عقود الجمان في مناقب النعمان"، للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف الدمشقي الصالحي، (ت: ٩٤٢هـ)

١١- "عقود المرجان"، للإمام الطحاوي، (ت: ٣٢١هـ)

١٢- "فضائل أبي حنيفة وأصحابه"، لأبي القاسم عبد الله بن محمد السعدي المعروف بـ "ابن أبي العوام". (ت: ٣٣٥هـ)

١٣- "فضائل أبي حنيفة"، لمحمد بن أحمد الشعيبي. (ت: ٣٥٧هـ)

١٤- "قلائد عقود الدر والعقيان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان"، للإمام الطحاوي، اختصر فيه "عقود المرجان".

١٥- "مناقب أبي حنيفة"، للإمام الكردري محمد بن محمد البزازي، (ت: ٨٢٨هـ)

١٦- "مناقب أبي حنيفة"، للموفق بن أحمد المكي الخوارزمي، (ت: ٥٦٨هـ)

١٧- مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه"، للحافظ الذهبي، (ت: ٤٤٨هـ)

١٨- مناقب الإمام الأعظم"، للملا علي القاري، (ت: ١٠١٤هـ)

١٩- "حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي"

٢٠- "بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني"، كلاهما للشيخ محمد زاهد الكوثري، (ت: ١٣٧١هـ)

تلكم عشرون كاملة، وما أضربنا عن ذكره يربو على ما ذكرناه، وكل ذلك فضلا عن سيرتهم الفائقة الفائحة المنتشرة في كتب الرجال، وتاريخ السنين والأجيال.

إيقاظ

في توضيح معنى الرأي وأهله

وردت في الرأي آثار تمدحه، وآثار تذمه، والمذموم هو الرأي عن هوى، والممدوح هو استنباط حكم النازلة من النص على طريقة فقهاء الصحابة والتابعين وتابعيهم -رضي الله عن الجميع- برد النظير إلى نظيره في الكتاب والسنة. وجرى على القول بالرأي بهذا المعنى فقهاء الصحابة والتابعين وتابعيهم.

وهذا من الإجماعيات التي لا سبيل إلى إنكارها، وقد قال الإمام أبو بكر الجصاص -رحمه الله-[١] في "الفصول" بعد أن سرد ما كان عليه فقهاء الصحابة والتابعين من القول بالرأي: "..... إلى أن نشأ قوم ذو جهل بالفقه وأصوله، لا معرفة لهم بطريقة السلف، ولا توقي للإقدام على الجهالة واتباع الأهواء البشعة، التي خالفوا فيها الصحابة ومن بعدهم من أخلافهم. فكان أول من نفى القياس والاجتهاد في أحكام الحوادث إبراهيم النظام[٢] ......" آهـ[٣]

١- هو أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، الإمام الكبير الشأن، أخذ عن أبي سهل الزجاج وعن أبي الحسن الكرخي عن أبي سعيد البردعي عن موسى بن نصير الرازي عن محمد. واستقر التدريس له ببغداد، وانتهت الرحلة إليه، وكان على طريق الكرخي في الزهد والورع، وبه انتفع وعليه تخرج، تفقه عليه جماعة، منهم: أبو عبد الله محمد بن يحيى الجرجاني شيخ القدوري، وأبو الحسن محمد بن أحمد الزعفراني، وروى الحديث عن عبد الباقي بن قانع وأكثر عنه في "أحكام القرآن"، وله من المصنفات: "أحكام القرآن" و"شرح مختصر شيخه" و"شرح مختصر الطحاوي" و"شرح الجامع الكبير" وكتاب في أصول الفقه، وغير ذلك. و"الجصاص" بفتح الجيم وتشديد الصاد المهملة في آخره صاد أخرى نسبة إلى العمل بالجص. (ت: ٣٧٠هـ) ر: الجواهر، والفوائد البهية.

٢- هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار، ابن أخت أبي الهذيل العلاف، أحد كبار المعتزلة، وقيل له: "النَّظَّام" لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة، وهو أحد الملاحدة الخبثاء الذين تستروا بالاعتزال خوفا من سيف الشرع.

ترجم له الإمام أبو منصور البغدادي في كتابه "الفرق بين الفِرَق" عند ذكره الفرقة النظامية، فقال: "عاشر في شبابه قوما من الثنوية وقوما من السمنية القائلين بتكافؤ الأدلة، وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة، ثم دون مذاهب الثنوية، وشُبَهَ الملحدة في دين الإسلام، وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات، ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفا -

فالرأي بالمعنى الذي ذكرنا وصف مادح، يوصف به كل فقيه ينبئ عن دقة الفهم، وكمال الغوص، ولذا تجد ابن قتيبة يذكر في "المعارف" الفقهاء بعنوان أصحاب الرأي، يعد فيهم الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس -رضي الله عنهم- .

وكذلك تجد الحافظ محمد بن الحارث الخشني يذكر أصحاب مالك في "قضاة قرطبة" باسم أصحاب الرأي، وكذلك الفقيه المالكي أبو الوليد الباجي يقول في المنتقى" في شرح الداء العضال من "الموطأ" في صدد الرد على ما يرويه النقلة عن مالك -رضي الله عنه- في تفسير الداء العضال: "وقال ابن عبد البر: ولم يَرو مثل ذلك عن مالك أحد من أهل الرأي من أصحابه." آه

يعني أهل الفقه من أصحاب مالك.

إلى غير ذلك مما لا حاجة إلى استقصائه هنا.

وأما تخصيص الحنفية بهذا الاسم فلا يصح إلا بمعنى البراعة البالغة في الاستنباط، فالفقه حيثما كان يصحبه الرأي، سواء كان في المدينة أو في العراق.

وطوائف العلماء كلهم إنما يختلفون في شروط الاجتهاد بما لاح لهم من الدليل، وهم متفقون في الأخذ بالكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولا يقتصرون على واحد منها.

وأما أهل الحديث فهم حفاظ الأحاديث، الرواة النقلة، فإذا اجترأ على الإفتاء أحد الرواة الذين لم يتفقهوا يقع في المهزلة، كما نص الرامهرمزي في "الفاصل" وابن الجوزي في "التلبيس" و"أخبار الحمقى" على نماذج من ذلك.

- من السيف، فأنكر إعجاز القرآن في نظمه، وأنكر ما روي من معجزات نبينا -صلى الله عليه وسلم- ..... ليتوصل بإنكار معجزات نبينا -عليه الصلاة والسلام- إلى إنكار نبوته. ثم إنه استثقل أحكام شريعة الإسلام، ولم يجسر على إظهار رفعها، فأبطل الطرق الدالة عليها، فأنكر لأجل ذلك حجة الإجماع، وحجة القياس ... ثم إنه علم إجماع الصحابة على الاجتهاد في الفروع الشرعية فذكرهم بما يقرأه غدا في صحيفة مخازيه .... وأكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام، ...... وأما كتب أهل السنة والجماعة في تكفيره فالله يحصيها، ولشيخنا أبي الحسن الأشعري -رحمه الله- في تكفير النظام ثلاثة كتب. ... " انتهى. توفي: في حدود ٢٣١هـ، أخزاه الله وبوأه المكان اللائق به.

٣- "الفصول في الأصول"، للجصاص: باب ذكر الدلالة على إثبات الاجتهاد والقياس في أحكام الحوادث.

قال سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي في شرح "مختصر الروضة" في أصول الحنبلية: "واعلم أن أصحاب الرأي بحسب الإضافة هم كل من تصرف في الأحكام بالرأي، فيتناول جميع علماء الإسلام؛ لأن كل واحد من المجتهدين لا يستغني في اجتهاده عن رأي ونظر، ولو بتحقيق المناط وتنقيحه الذي لا نزاع في صحته.

وأما بحسب العلمية فهو في عرف السلف من الرواة بعد محنة خلق القرآن، عَلَم على أهل العراق، وهم أهل الكوفة، أبو حنيفة ومن تابعه منهم، .... وبالغ بعضهم في التشنيع عليه .... وإني والله لا أرى إلا عصمته مما قالوه، وتنزيهه عما نسبوه إليه.

وجملة القول فيه: أنه قطعا لم يخالف السنة عنادا، وإنما خالف فيما خالف منها اجتهادا بحجج واضحة، ودلائل صالحة لائحة، وحججه بين أيدي الناس موجودة، وقل أن ينتصف منها مخالفوه، وله بتقدير الخطأ أجر، وبتقدير الإصابة أجران، والطاعنون عليه إما حساد، أو جاهلون بمواقع الاجتهاد. وآخر ما صح عن الإمام أحمد -رضي الله عنه- إحسان القول فيه، والثناء عليه. ذكره أبو الورد من أصحابنا في كتاب "أصول الدين". انتهى كلام الطوفي[1].

وقال الشهاب بن حجر المكي الشافعي في "الخيرات الحسان": "يتعين عليك أن لا تفهم من أقوال العلماء عن أبي حنيفة وأصحابه: إنهم أصحاب الرأي، أن مرادهم بذلك تنقيصهم ولا نسبتهم إلى أنهم يقدمون رأيهم على سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا على قول أصحابه- رضوان الله عليهم أجمعين- لأنهم برآء من ذلك." آه

ثم بسط ما كان عليه أبو حنيفة وأصحابه في الفقه من الأخذ بكتاب الله تعالى، ثم بسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم - ثم بأقوال الصحابة، ردا على من توهم خلاف ذلك.

ونقل الباجي عن بعضهم أقوالا للإمام مالك في أبي حنيفة -رضي الله عنهما- لكنه سارع إلى نفيها، فقال: وعندي أن هذه الرواية غير صحيحة عن مالك.

وروي أن أبا حنيفة كلما حج فلم يفته زيارة مالك في المدينة، وهذا مما دعا إلى تغيير كثير مما علق في ذهن الإمام مالك عن أئمة مدرسة الكوفة، وخاصة أبا حنيفة نفسه، كما ذكرنا من ثنائه عليه.

١- شرح مختصر الروضة: آخر بحث الأجوبة عن أدلة نفاة القياس من مبحث القياس.

وقال عبد العزيز الدراوردي: "كان مالك ينظر في كتب أبي حنيفة وينتفع بها، ولما جاء حماد بن أبي حنيفة[1] ليسمع منه أخلى المكان، وسأله مالك عن بعض مسائل أبيه".

وبالجملة: فالنقول المشوهة أوقعت كثيرا من أئمة العلم في مهاوي الإنكار الشديد، وحين يتبين لهم الأمر فإنهم يرجعون إلى الحق، وهذا دلالة علمهم وتأكيد إمامتهم في الناس.

فحين أنكر الإمام الأوزاعي[2] على أبي حنيفة، مصرحا بإنكاره لابن المبارك، فقد قام ابن المبارك بعمل ذكي، فجاء بمسائل عويصة من مسائل أبي حنيفة، وأجوبتها من غير تصريح بقائلها. فسأله عن هذه المسائل، قال: هي لشيخ في العراق، اسمه النعمان بن ثابت، فقال الأوزاعي: هذا نبيل من المشايخ، اذهب واستكثر منه. فقال له: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه.

ولما اجتمع الأوزاعي بأبي حنيفة -رضي الله عنهما- في مكة، كشف له أبو حنيفة تلك المسائل بأكثر مما عرفه منها ابن المبارك. فلما افترقا قال الأوزاعي لابن المبارك: غبط الرجل بكثرة علمه ووفور عقله، وأستغفر الله، لقد كنت في غلط ظاهر، الزم الرجل فإنه بخلاف ما بلغني عنه .... آه

١- هو حماد ابن أبي حنيفة الإمام -رضي الله عنهما- تفقه على أبيه، فأفتى في زمنه، وتفقه عليه ابنه إسماعيل، وهو في طبقة أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد، وكان الغالب عليه الورع والزهد، ولما توفي أبوه كان عنده ودائع كثيرة من ذهب وفضة وغير ذلك، وأربابها غائبون، وفيهم أيتام، فحملها ابنه حماد إلى القاضي ليستلمها منه، فقال القاضي: ما نقبلها منك، ولا تخرجها من يدك، فإنك أهل لها وموضعها، فقال له حماد: زنها واقبضها حتى تبرأ ذمة أبي حنيفة، ثم افعل ما بدا لك، ففعل القاضي ذلك وبقي في وزنها أياما، فلما كمل وزنها استتر حماد فلم يظهر حتى دفعها إلى غيره. (ت: ١٧٠) ر: الجواهر المضيئة.

٢- هو شيخ الإسلام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي، حدث عن عطاء بن أبي رباح والزهري وخلق، وحدث عنه: شعبة وابن المبارك ويحيى القطان وخلائق. قال الحاكم: "الأوزاعي إمام عصره عموما وإمام أهل الشام خصوصا". كان أهل الشام ثم أهل الأندلس على مذهب الأوزاعي مدة من الدهر ثم فني العارفون به وبقي منه ما يوجد في كتب الخلاف. (ت: ١٥٧هـ) ر: تذكرة الحفاظ، ترجمة رقم: ١٧٧. و"الأوزاعي" بالفتح والزاي نسبة إلى "أوزاع" قرية تلي باب دمشق. "الأنساب".

وفي مبسوط السرخسي -رحمه الله-: "وبلغ ابن سريج[1] -وكان مقدما من أصحاب الشافعي- أن رجلا يقع في أبي حنيفة، فدعاه وقال: يا هذا أتقع في رجل سلَّم له جميع الأمة ثلاثة أرباع العلم، وهو لا يسلم لهم الربع. قال: وكيف ذلك؟ قال: الفقه سؤال وجواب، وهو الذي تفرد بوضع الأسئلة فسلم له نصف العلم، ثم أجاب عن الكل، وخصومه لا يقولون: إنه أخطأ في الكل، فإذا جعلت ما وافقوه مقابلا بما خالفوه فيه سلم له ثلاثة أرباع العلم، وبقي الربع بينه وبين سائر الناس، فتاب الرجل[2]."

ولعل هذا معنى قول الإمام الشافعي -رضي الله عنه- "الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه".

فهم التقطوا ما سقط من أقلامه بعده، وهذا أمر يعرفه ذوو التحصيل، ولا يحتاج إلى دليل ولا تعليل، وكفى استئناسا وتنبيها بما أنشده الحريري[3] لابن الرقاع[4]:

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم[5]

وأخيرا نتحاكم إلى الإمام نفسه -رضي الله عنه- فقد ذكر الإمام الشعراني: أن أبا جعفر الشيزاماري، روى بسنده المتصل إلى أبي حنيفة أنه قال: "كذب والله وافترى علينا، من يقول: إننا نقدم القياس على النص، وهل يحتاج بعد النص إلى قياس؟"[6]

١- هو القاضي أبو العباس أحمد بن سريج البغدادي، شيخ المذهب وحامل لوائه، والبدر المشرق في سمائه، قال الشيخ أبو إسحاق: "كان ابن سريج يفضل على جميع أصحاب الشافعي، حتى المزني". ولي القضاء بشيراز. (ت: ٣٠٦هـ) ر: طبقات الشافعية للسبكي، ترجمة رقم: ٨٦.

٢- مقدمة "المبسوط".

٣- هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري، صاحب "المقامات"، كان أحد أئمة عصره، دميم الصورة، مولده بالمشان (بلدة صغيرة فوق البصرة) ووفاته بالبصرة سنة ٥١٦هـ، ونسب إلى عمل الحرير أو بيعه، من أشهر كتبه: "المقامات الحريرية" و"درة الغواص". ر: وفيات الأعيان، ترجمة رقم: ٥٣٥.

٤- هو عدي بن زيد بن الرقاع أبو داود، شاعر كبير من أهل دمشق، كان معاصرا لجرير، مهاجيا له، مقدما عند بني أمية، مداحا لهم، له ديوان. (ت: ٩٥هـ) ر: الشعر والشعراء.

٥- مقدمة "مقامات الحريري".

٦- الميزان الكبرى الشعرانية: فصل في بيان ضعف قول من نسب الإمام أبا حنيفة إلى أنه يقدم القياس على الحديث.

وقال نعيم بن حماد: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: قال أبو حنيفة: "إذا جاء الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فعلى الرأس والعين، وإن كان من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- أخذنا من قولهم ولم نخرج عن قولهم، وإن كان عن التابعين فنحن رجال وهم رجال"[1].

وقد روي عن يحي بن نصر[2] قال: سمعت أبا حنيفة قال: "عندي صناديق من الحديث، ما أخرجت إلا اليسير منها".

أراد ما سلم عن النسخ والمعارضة، فثبت أنه -رضي الله عنه- من كبار حفاظ الحديث. ولا ينكر هذا إلا حاسد، أو جاهل بمدارك فقهه، كما قال الطوفي -رحمه الله- .

فعلينا أن نتعظ بما وعظ به عيسى بن يونس[3] حيث يقول: "لا تتكلم في أبي حنيفة بسوء، ولا تصدقن أحدا يسيئ القول فيه، فإني والله ما رأيت أفضل ولا أورع، ولا أفقه منه .... "[4].آه

هذا، ونجعل آخر كلامنا ما قال أبو المواهب الشعراني: اللّٰهُمَّ إني أبرأ إليك من كل من اعترض على أقوال الأئمة، وأنكر عليهم في الدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين.

١- "تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين"، لمرعي بن يوسف الحنبلي: فصل في تبري أبي حنيفة من القياس والرأي.

٢- هو يحي بن نصر بن حاجب القرشي. (ت: ٢١٥هـ) ر: لسان الميزان، ترجمة رقم: ٨٥٣٣ .

٣- الكوفي أخو إسرائيل، لقي أبا حنيفة، وأخذ عنه، كما في "عقود الجمان": الباب الخامس في ذكر الآخذين عنه.

٤- "الانتقاء"، لابن عبد البر المالكي: باب ذكر ما انتهى إلينا من ثناء العلماء على أبي حنيفة.

الفصل الثالث

ويضم مبحثين وتتمة:

المبحث الأول

في مراحل تدوين الفقه الحنفي وحلقات الكتب وطبقاتها

قد تعددت المذاهب الفقهية، وانتشرت في كل مصر من الأمصار، وتزايد أتباعها عبر الزمن، فكتب لبعضها البقاء والاستمرار، وهي المذاهب الأربعة: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي التي هي أغصان دوحة واحدة، قامت على أساس الدين والحق.

ولكن هناك بعض المذاهب الفقهية التي لم يكتب لها البقاء والاستمرار، ولم يوجد لها أتباع، وإنما ظل فقهها حبيس الكتب والمصنفات فحسب، ومن أمثلة هذه المذاهب:

مذهب الحسن البصري، والشعبي، والثوري، وعبد الرحمن الأوزاعي، والليث بن سعد[١] وغيرهم.

غير أن كلامنا -عن تدوين الكتب ومراحلها وحلقاتها- سيقتصر على تلك الأقطاب الأربعة، وأساطين السنة والإسلام الذين يعد المسلمون ما اتفقوا على حرمته أشد الحرام، وما اتفقوا على حله أحل الحلال، ويعدون مخالفتهم كلهم علامة البدعة والضلال.

فأولا نذكر مراحل التدوين في مذهب الإمام الأعظم وأصحابه الذين هم أوائل المجتهدين، وسيأتي الكلام عن المذاهب الثلاثة الباقية في فصول على حدة، إن شاء الله تعالى. وهي ماتلي:

١- تقدمت تراجمهم.

المرحلة الأولى

مرحلة الإمام وأصحابه رضي الله عنهم

فكانوا يبحثون في مسألة واقعة أو مفروضة، ويجتهدون في الاستدلال والإصابة، فربما اتفقوا فوضعوها وكتبوها متفقة عليها، وربما اختلفوا فوضعوها مع الاختلاف.

ولم تكن المسائل والأبواب وقتئذ مرتبة، وإنما اجتهدوا واستنبطوا أحكام المفروضات، وما يمكن أن سيقع -وهو الفقه التقديري-؛ أداء لفريضة الاستنباط، فإنهم كانوا أهلا لذلك الأمر.

وعلموا بإخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- أن العلم سيرفع، والجهل سيغلب، فيتخذ الناس رؤوسا جهالا يفتون بغير علم، ويجعلون نصوص الشريعة وأصولها لعبة يستعملونها بحسب أهوائهم، فيَضلون ويُضلون.

قال الإمام شمس الأئمة السرخسي -رحمه الله- بعد بيان "المسألة الخمس الإمامية" من صلاة المسافر: "فإن قيل: لماذا أورد هذه المسائل مع تيقن كل عاقل بأنها لا تقع ولا يحتاج إليها؟ قلنا: لا يتهيأ للمرء أن يعلم ما يحتاج إليه إلا بتعلم ما لا يحتاج إليه، فيصير الكل من جملة ما يحتاج إليه بهذا الطريق، وإنما يستعد للبلاء قبل نزوله"[١]. آهـ[٢]

وروي عن أبي حنيفة -رضي الله عنه- أنه قال: "إنا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه"[٣].

١- المبسوط: ٤١٠/١ .

٢- ومثله منقول عن الخليل بن أحمد -رحمه الله- في النحو، قال: "لا يصل أحد في النحو إلى ما يحتاج إليه إلا بعد معرفة ما لا يحتاج إليه". نقله عنه ابن أيبك في مقدمته من "الوافي بالوفيات". قلت: وهكذا كل علم بل كل صناعة وحرفة لا يبلغ المرء إتقانها إلا بعد تحصيل ما لم يفتقر إليه.

٣- تاريخ بغداد: ٣٤٨/١٣ .

المرحلة الثانية

مرحلة كتب الإمامين محمد بن الحسن وأبي يوسف وغيرهما من أصحاب الإمام رضي الله عنهم

ثم رتب أصحاب أبي حنيفة -رضي الله عنهم- المسائل على الكتب والأبواب، مع التدليل المختصر من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، والتعليل في موضع الضرورة، وحيث كانت المسألة ظاهرة الاستدلال تركوه.

وهذه المرحلة من الفقه تحتوي على حلقتين:

أ) ظاهر الرواية.

ب) نادر الرواية.

أما ظاهر الرواية وتسمى "الأصول" و"الأمهات" فهي: المسائل التي رويت في كتب الإمام محمد بن الحسن -رضي الله عنه- التي هي:

١- الأصل أو المبسوط.

٢- الجامع الصغير.

٣- الجامع الكبير.

٤- الزيادات.

٥- السير الصغير.

٦- السير الكبير.

وسميت هذه الكتب بـ "ظاهر الرواية" لأنها رويت عن محمد -رضي الله عنه- برواية الثقات الأثبات، وتواترت أو اشتهرت عنه.

أما "الأصل" أو "المبسوط" فأوسع كتب محمد -رضي الله عنه- وأغزرها مادة، واعتنى فيه

ببيان الفرق بين المسائل المتشابهة صورة، والمتباينة فقها ومعنى.

وصنفه كتبا مستقلة في بدء الأمر، ومن جراء ذلك اختلف أسلوب البيان في الكتب بعضها عن بعض. فأسلوب بعضها على طريق السؤال والجواب[١] وبعضها ليس كذلك، بل يسرد المسائل سردا بدون سؤال وجواب[٢]، وفي بعض الكتب امتزجت الطريقتان[٣].

ثم لما جمعت تلك الكتب وضم بعضها إلى بعض، تكونت منها مجموعة تصانيف مشتملة على أبواب الفقه بتفاصيلها، فأطلق على تلك المجموعة الحاوية اسم حاوٍ: "الأصل" أو "المبسوط"[٤].

ولذلك يذكره الفقهاء بهذين الاعتبارين، فتارة يعتبرونه كتابا واحدا، وأخرى يعتبرونه جملة كتب، فيقولون: قال محمد -رحمه الله- في كتاب الهبة، أو قال محمد -رحمه الله- في كتاب البيوع، ويعنون بذلك كتابا من مجموعة كتب "المبسوط".

١- ككتاب الصلاة، والزكاة، والوديعة، والعارية وغيرها.

٢- ككتاب الحيض، والتحري، والاستحسان، والبيوع وغير ذلك.

٣- ككتاب الشرب، وكتاب الخنثى وغيرهما.

٤- سمي "أصلا" لما أنه كتاب شامل للمسائل والقواعد الأساسية التي وضعها الإمام -رضي الله عنه- ومن بعده أبو يوسف ومحمد -رضي الله عنهما-، فهذا الكتاب هو الأصل الأصيل، والأساس الكبير للمذاهب عامة، وللمذهب الحنفي خاصة.

وقد كانت المسائل في الدور الأول تسمى "الأصول"، فكانت المسألة تطرح ثم ترفع بعد مناقشات طويلة، وقد استقر رأيهم على أمر دونوه في "الأصول"، ولعل المقصود بالأصول هنا كتب وأبواب الفقه الأساسية، فمبحث الصلاة مثلا أصل، ومبحث الزكاة أصل، وهكذا ..... أي موضوع أساسي تدور حوله مسائل ذلك الكتاب، ثم آلت تلك "الأصول" إلى أصحاب الإمام -رضي الله عنه- وعلى رأسهم الإمامان الرئيسان: أبو يوسف ومحمد -رضي الله عنهم أجمعين- فوسعا هذه "الأصول" بمسائل وآراء جديدة، فكانت هذه الآراء جلها امتدادا لذلك الذي وضع في عهد أبي حنيفة الإمام -رضي الله عنه- وكونت هذه المجموعة "الأصل".

ويظهر أن وجه تسميته بـ"المبسوط" أنه مبسوط واسع كبير، مطلق مسترسل في العبارات، وشامل لجميع أبواب الفقه، والله تعالى أعلم.

رواة كتاب الأصل:

روايات "كتاب الأصل" عن محمد -رضي الله عنه- متعددة، أظهرها وأوثقها رواية أبي سليمان الجوزجاني، وهناكم روايات أخرى مثل: رواية أبي حفص، ورواية هشام بن عبيد الله الرازي، ورواية محمد بن سماعة، ورواية المعلى بن منصور -رحم الله تعالى الجميع-.

والنسخة المحفوظة التي بنى عليها معظم العاملين -من الملخصين والشارحين- أعمالهم[١]، والتي هي المتداولة اليوم بأيدينا هي عن طريق أبي سليمان الجوزجاني، وأبي حفص في معظم الكتاب إلا في ما ندر. وليس بين الروايتين كثير اختلاف.

ثم عند الاختلاف رواية أبي سليمان مقدمة على رواية أبي حفص في الغالب إلا في مواضع محصاة.

و"الأصل" هو الكتاب الذي يقال عنه: إن الشافعي -رحمه الله تعالى- حفظه، وألف "الأم" على محاكاته.

وأسلم حكيم من أهل الكتاب بسبب مطالعة "الأصل" قائلا: "هذا كتاب محمدكم الأصغر، فكيف محمدكم الأكبر".

وأما "الجامع الصغير" فروى سيدنا محمد الشيباني -رحمه الله تعالى- مسائله عن أبي يوسف عن أبي حنيفة -رحمهما الله-، يُسند في مستهل كل باب: محمد عن يعقوب عن أبي حنيفة -رضي الله تعالى عن الثلاثة-.

ورتبه الحسن بن أحمد الزعفراني[٢]، ثم عدله وصاغه بعد الزعفراني أبو طاهر الدباس[٣]،

١- كالحاكم الشهيد -رحمه الله- بنى كتاب "الكافي" على روايتهما، وكذلك الإمام شمس الأئمة السرخسي -رحمه الله- يعتمد على هاتين الروايتين أثناء شرحه للكافي فيقول في كثير من المواضع، في رواية أبي حفص كذا ... وفي نسخ أبي حفص كذا ...... وفي رواية أبي سليمان كذا ....

٢- كان شيخا إماما ثقة، رتب "الجامع الصغير" ترتيبا حسنا، وميز خواص مسائل محمد عما رواه عن أبي يوسف، وجعله مبوبا ولم يكن قبل مبوبا، وله "كتاب الأضاحي". ر: الفوائد البهية.

٣- هو القاضي محمد بن محمد بن سفيان الدباس، قال ابن النجار: "كان أبو طاهر الفقيه إمامَ أهل الرأي بالعراق." أخذ عن القاضي أبي حازم عن عيسى بن أبان عن محمد عن أبي حنيفة.
وكان من أقران أبي الحسن الكرخي، ولي القضاء بالشام، ومات بمكة. و"الدباس" انتساب إلى بيع الدبس المأكول. ر: الفوائد البهية.

وكذلك أمر الكتاب.

ويحتوي هذا الكتاب الشريف المشرف على "١٥٣٢" مسألة من أمهات مسائل الفقه، مختصرة بدون ذكر أدلتها.

قال الشيخ الإمام الأجل الشيباني الثاني -رحمه الله تعالى- في مبدأ شرحه "للجامع الصغير": "اعلم بأن "الجامع الصغير" تأليف محمد بن الحسن -رحمه الله تعالى- وكان سبب تأليفه أنه لما فرغ من تصنيف الكتب طلب منه أبو يوسف -رحمه الله تعالى- أن يؤلف كتابا يجمع فيه ما حفظ عنه مما رواه له عن أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- فجمع محمد الكتاب، ثم عرضه على أبي يوسف، فقال: نعما حفظ عني أبو عبد الله إلا أنه أخطأ في ثلاث مسائل. فقال محمد -رحمه الله تعالى-: ما أخطأت ولكنك نسيت الرواية[١].

وذكر علي القمي[٢]: أن أبا يوسف مع جلالة قدره كان لا يفارق هذا الكتاب في حضر ولا سفر، وأن عليا الرازي[٣] كان يقول: من فهم هذا الكتاب فهو أفهم أصحابنا، ومن حفظه فهو أحفظ أصحابنا. وأن المتقدمين من مشايخنا كانوا لا يقلدون أحدا القضاء حتى يمتحنوه بهذه المسائل، فإن حفظها قلدوه القضاء، وإلا أمروه بالحفظ.

قال -رضي الله عنه- وكان شيخنا الإمام[٤] يقول: "لا ينبغي أن يتهاون بهذا الكتاب"[٥]. هذا كلامه.

١- ذكرها في "البحر" في باب الوتر والنوافل ست مسائل.

٢- هو علي بن موسى بن يزداد القُمّي، صاحب "أحكام القرآن"، إمام الحنفية في عصره، سمع محمد بن حميد الرازي وغيره، روى عنه: أبو الفضل أحمد الكاغذي وغيره، له كتب في الرد على أصحاب الشافعي. و"القمي": بضم القاف وتشديد الميم، نسبة إلى "قُمّ"، بلدة بين أصبهان وساوة. (ت: ٣٠٥هـ) ر: الجواهر.

٣- كان من أقران محمد بن شجاع، وكان عارفا بمذهب أصحابنا، أخذ الفقه عن الحسن بن زياد، وروى عن محمد وأبي يوسف، وله "كتاب الصلاة." ر: الفوائد البهية.

٤- يريد شيخه شمس الأئمة الحلواني.

٥- شرح الجامع الصغير للسرخسي، النسخة المصورة عن مخطوطة في أم القرى.

وقال الصدر الشهيد في أول شرحه للكتاب: "مشايخنا كانوا يعظمون هذا الكتاب تعظيما، ويقدمونه على سائر الكتب تقديما، حتى قالوا: لا ينبغي لأحد أن يتقلد القضاء ما لم يحفظ مسائله؛ لأنها أمهات مسائل أصحابنا". آهـ

وقال عنه الشيخ أبو المفاخر تاج الدين عبد الغفور بن لقمان الكردري[١] ما نصه: "وبعد فإن "الجامع الصغير" فيه نفع كبير وخير كثير، ولهذا تلقاه خيار أصحابنا بالتعظيم، ولاحظوه بالإجلال والتفخيم؛ لأنه يجمع أمهات المسائل وعيونها، وأنواع النوازل وفنونها، وقالوا: لا ينبغي لأحد أن يتقلد القضاء ما لم يحفظ مبانيه، ولا يعرف معانيه، فمن حفظ مبانيه وعرف معانيه انخرط في سلك الفقهاء، وعد من جملة الفضلاء، وصار أهلا للقضاء والفتيا"[٢].آهـ

قالت الأمة الضعيفة -لطف الله تعالى بها-: اتخاذ هذا الكتاب الشريف أساسا لاختبار من يصلح للقضاء، وجعل حفظ مسائله شرطا لتقلد القضاء -بإطباق كلمة الفقهاء، فقل من شارح له لم يذكر هذا- هي خصيصة هذا الكتاب، ليست لكتاب من كتب العباد قبله ولا بعده، فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين، يرفع من يشاء وما يشاء[٣].

١- الملقب بشمس الأئمة الكردري، إمام الحنفية، تفقه على أبي الفضل الكرماني، كان على غاية من الزهد، وتولى قضاء حلب، ومات بها سنة ٥٦٢هـ، له تصانيف في أصول الفقه، وشرح الجامع الصغير والجامع الكبير. و"الكردري" نسبة إلى "كُرْدَر"، قرية بخوارزم. ر: الجواهر.

٢- شرح الجامع الصغير للكردري، النسخة المصورة من المخطوطة المحفوظة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، برقم: ٢٠، عن مكتبة أحمد الثالث بتركيا، رقم: ٧٢٨.

٣- وقد اهتم بعض الحكام بـ"الجامع الصغير" ورغّبوا المتعلمين في حفظه، ووضعوا لذلك جائزة مالية، فقد ذكر أن الملك المعظم عيسى بن أبي بكر الأيوبي ملك دمشق وما حولها، كان من عادته أنه يعطي كل من حفظ "الجامع الصغير" خمسين دينارا، ويعطي من حفظ "الجامع الكبير" مائة دينار. (ر: كشف الظنون: ١/٥٦٨)

والملك المعظم عيسى هذا فقيه حنفي من تلاميذ الحصيري -رحمهما الله-، وعائلته الأيوبيون كلهم من الشافعية، وكان لا يتكلف تكلف الملوك الآخرين، فربما مشى بين العوام، حتى كان يضرب المثل بفعله، فمن فعل شيئا بلا تكلف قيل: "هذا بالمعظمي." (ت: ٦٢٤هـ) ر: سير أعلام النبلاء: ٢٢/١٢٢، علم رقم: ٨٣.

قلت: وله من المصنفات: "أصول الجامع الكبير" و"السهم المصيب في الرد على الخطيب." -

وأما "الجامع الكبير" فمن أجل كتب ظاهر الرواية، وأعمقها مدركا، وأغورها فقها، وأدقها معنى، ألفه الإمام محمد الشيباني -رضي الله عنه- تأليفا مستقلا، من غير رواية عن أبي يوسف -رضي الله عنه- وأكبر حجما من الجامع الصغير"، ومثله في خلوه عن الأدلة، ولم يذكر من أبواب العبادات إلا مسائل معدودات، ووسع في الأبواب الأخرى، ولم يراع ترتيبا مألوفا بين المسائل، فربما أدرج مسائل الطهارات في مسائل الصلاة، وكذلك أدرج بعض مسائل المناسك في كتاب آخر.

وأسلوب هذا الكتاب المبارك أسلوب محكم رصين، خال من الزبرجة[١] والزخرفة، وذلك لانطوائه على فروق فقهية، واحتوائه على علل خفية، جامعة لصور تحسبها متشتة في الحكم وهي مجتمعة، ومفرقة بين صور تظنها مجتمعة في الحكم وهي متفرقة، يحتار في فهمه الكبار، فضلا عن الصغار. ولذا لا يمكن أن يحيط بمسائل هذا الكتاب، ويدرك أبعاده، ويقتنص شوارده إلا من توغل في مجال الفقه وجال، وتوغر في أغواره ودار.

ويشهد لما أشرنا إليه حكايات بلغتنا من المشايخ الفقهاء -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين-:

فقال محمد بن شجاع الثلجي[٢]: "مثل محمد -رضي الله عنه- في "الجامع الكبير" كمثل رجل بنى دارا، فكان كلما علا بنى مـرقاة يرقى منها إلى ما علاه من الدار، حتى استتم بنائها كذلك، ثم

- نكتة: في "غاية البيان شرح الهداية" لأمير كاتب الأتقاني، في باب الأذان : "ذكر محمد في "الجامع الصغير" أبا يوسف باسمه دون كنيته حتى لا يكون وهم التسوية في التعظيم بين الشيخين؛ لأن الكنية للتعظيم، وكان محمد مأمورا من جهة أبي يوسف بأن يذكره باسمه حيث يذكر أبا حنيفة، فعن هذا قال مشايخنا ببخارى: من الأدب أن لا يدعو بعض الطلبة بعضهم بلفظ "مولانا" عند أستاذهم؛ احترازا عن التسوية في التعظيم بين الأستاذ والتلميذ. "انتهى

١- زَبرَجَ الكلام: حسَّنه.

٢- هو أبو عبد الله الثلجي، تفقه على الحسن بن زياد، وكان فقيه أهل العراق في وقته، مات فجأة سنة ٢٦٦هـ ساجدا في صلاة العصر، وله "كتاب تصحيح الآثار"، و"كتاب النوادر" وغير ذلك. و"الثلجي": نسبة إلى ثلج بن عمرو بن مالك بن عبد مناف. ر: الفوائد البهية، والجواهر.

نزل عنها وهدم مراقيها، ثم قال للناس: شأنكم فاصعدوا".

وقال أيضا: "ما وضع في الإسلام كتاب مثل جامع محمد بن الحسن"[١].

وروي عن الشاشي[٢] -أحد أصحاب الإمام الكرخي- أنه قال: "قرأنا كتاب "الجامع" على الكرخي[٣] فلما انتهينا إلى "باب الحنث في اليمين في المساومة في الزيادة والنقصان"، وضع نكتة لتخريج مسائل الباب، فانتقضت بالمسألة الثانية من الباب، ثم وضع نكتة أخرى فانتقضت بالثالثة، ثم وضع نكتة أخرى فانتقضت بالرابعة، فقام وترك الدرس يومئذ"[٤].

وقال عنه الإمام أبو بكر الرازي في شرحه "للجامع الكبير": "كنت أقرأ بعض مسائل "الجامع الكبير" على بعض المبرزين في النحو (يعني: أبا علي الفارسي[٥]) فكان يتعجب من تغلغل واضع الكتاب في النحو"[٦].

وقال الشيخ الإمام الأجل محمد السرخسي -رضي الله عنه-: قيل: من أراد امتحان حفاظ الرواية من أصحابنا فعليه بباب الأذان من كتاب الصلاة[٧]، ومن أراد امتحان المتبحرين في الفقه فعليه بأيمان "الجامع"، ومن أراد امتحان المتبحرين في النحو والفقه فعليه بأمان "السير"[٨].

١- "مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه"، للذهبي: ٧٢، ٧٦.

٢- هو أحمد بن محمد بن إسحاق أبو علي، سكن بغداد ودرس بها، تفقه على أبي الحسن الكرخي، وخلفه في التدريس، وكان الكرخي يقول: "ما جاءنا أحفظ من أبي علي." (ت: ٣٤٤هـ) ر: الجواهر المضيئة

٣- هو أبو الحسن عبيد الله بن الحسين بن دلال الكرخي -كرخ جُدَّان-، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بعد أبي حازم وأبي سعيد البردعي، وعنه أخذ أبو بكر الرازي وأبو عبد الله الدامغاني وغيرهما، وكان كثير الصوم والصلاة صبورا على الفقر والحاجة، له "المختصر"، وشَرح الجامعين لمحمد. (ت: ٣٤٠هـ) ر: الفوائد البهية والجواهر.

٤- "التحرير شرح الجامع الكبير"، للحصيري: باب الحنث في اليمين في المساومة في الزيادة والنقصان: ٦٢٩/١، النسخة المصورة من مخطوطة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٥- هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الإمام المشهور في علم العربية أخذ عن الزجاج وغيره، من أصحابه: ابن جني، ومن تصانيفه: "الحجة" و"التذكرة." (ت: ٣٧٧هـ) ر: بغية الوعاة، نحوي رقم: ١٠٣٠ .

٦- "بلوغ الأماني": كتب محمد بن الحسن ومصنفاته.

٧- لعله أراد كتاب الصلاة من "الأصل."

٨- "شرح السير الكبير" للإمام السرخسي: باب أمان الحر المسلم والصبي والمرأة والعبد والذمي.

وذكر الإمام الجمال الحصيري[١] -رحمه الله- في فاتحة شرحه فقال: "حكى الخليل بن أحمد السجستاني – عن العراقيين -رحمهم الله- أنه لما صنف محمد -رحمه الله- هذا الكتاب وقع في يد حبر من أحبار الروم، فتأمل فيه زمانا ثم أسلم، فقيل له في ذلك، فقال: أما إني وجدت هذا الكتاب على صفة لو ادعى مصنفه النبوة، وأخرجه معجزة لصدق دعواه لتبعه الناس، ولا يمكن لأحد معارضته، فلما أسلم وانقاد لدين محمد -صلى الله عليه وسلم- عرف أن دينه حق، إذ لولاه لما انتمى إليه هذا المصنف مع ذكاء فهمه، فسماه هذا الحبر وأصحابه تبصرة العقلاء، ومخالفوه من النصارى سموه شبكة الصيادين، يعني صار الحبر مصطادا به، وكان ذلك معجزة نبينا -صلى الله عليه وسلم- حيث أكرم الله تعالى من اتبع سنته بهذه الكرامة، وكرامة الأولياء في كل أمة معجزة نبيها"[٢].آه

حاصله: أن مثل هذا الكتاب لا يكون إلا معجزة لنبي، وصاحبه لم يدع النبوة فثبت أنه معجزة للنبي الذي اتبعه واضعه، وأنه نبي حق أرسله الله عز وجل إلى الجن والإنس -صلى الله عليه وسلم- .

وذكر الجمال الحصيري أيضا بعد تخريج مسألة مغلقة من أيمان "الجامع": أن هذه المسألة تلقب بـ"البردعية"؛ لأن أبا سعيد البردعي[٣] بعد ما تفقه ودرس سئل عن بعض مسائله، فلم يهتد إلى جوابها، فارتحل إلى بغداد، وتعلم سبع سنين حتى صار من كبار أصحابنا -رحمهم الله-

---

١- هو محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري أبو المحامد، تفقه على جماعة ببخارى، منهم الإمام قاضي خان الأوزجندي، وتفقه عليه الملك المعظم عيسى، والإمام يوسف سبط ابن الجوزي، وروى مؤلفات محمد بن الحسن، وتفرد برواياتها، وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة، وشرح "الجامع الكبير" بشرحين: أحدهما مختصر والآخر مطول سماه "التحرير." و"الحصيري" نسبة إلى محلة ببخارى يعمل فيها الحصير، كان ساكنا بها. ر: الجواهر. وقال الذهبي: "توفي في ثامن صفر سنة ٦٣٦هـ، وله تسعون سنة، وازدحم الخلق على نعشه وحمله الفقهاء على الرؤوس، وكان يوما مشهودا، ودفن بمقابر الصوفية." آه سير أعلام النبلاء: ٢٣/٥٣، علم رقم: ٣٦.

٢- مقدمة "الوجيز شرح الجامع الكبير"، النسخة المصورة من المخطوطة المحفوظة بأم القرى بمكة المكرمة، برقم: ٩٧٣.

٣- هو أحمد بن الحسين البردعي، سكن بغداد، أحد الفقهاء الكبار، تفقه على أبي علي الدقاق وغيره، تفقه عليه أبو الحسن الكرخي وأبو طاهر الدباس وغيرهما، خرج إلى الحج فاستشهد في وقعة القرامطة مع الحجاج سنة: ٣١٧هـ. ر: الجواهر.

وتسمى بالعراق "مسألة مباركة" لأنها أزعجت البردعي إلى بغداد حتى تعلم وصار من أئمة الدين"[١]. آهـ

ومن الحكايات الطريفة في هذا المجال ما روى عيسى بن أبان -رحمه الله- أنه قال عند بيانه بعض المسائل من "باب الرجوع عن الشهادة على الشهادة": "هذا الباب يلقب بـ"باب النظر إلى الوجوه"؛ لأن محمدا -رحمه الله- كان يلقِّن أصحابه هذه المسألة، فكان ينظر بعضهم إلى بعض أنه هل فهمها؟ فإني لم أفهم!

ومنهم من لقب هذا الباب بـ "باب الأسكفة والعتبة" وذلك لأنه روي عن عيسى -رحمه الله- أنه قال: "لقَّنَنَا محمد هذا الباب فلم نفهم، فلَقَّنَنَا ثانيا، فظننا أننا فهمنا، فلما خرجنا لم تصحبنا إلى أسكفة الباب[٢]، وفي رواية: إلى عتبة الباب"[٣].[٤]

١- "التحرير": باب الأيمان في الحنث في الطلاق: ١/١٩٩. (مخطوطة)

٢- يعني: لم تَعْلِق بأذهاننا تلك المسألة إلا ساعة يسيرة حتى نسيناها.

٣- "التحرير": باب الرجوع عن الشهادة على الشهادة: ٣/٨٨ .(مخطوطة)

٤- قلت: ومن مزايا "الجامع الكبير" التوسع في علم الحساب الذي هو من العلوم العقلية الدقيقة، لا يصلح إلا لذي عقل نقّاد، وفهم وقاد، وذهن ثاقب. والحسابيات وإن كانت كثيرة في "الجامع الكبير" ولكنها ليست مقتصرة عليه بل ظهر ذلك في كتب محمد -رضي الله عنه- الأخرى، وبهذا نوّه الإمام السرخسي فقال: "الإمام محمد حشا كتبه بالحسابيات." (المبسوط: كتاب الوصايا، باب الوصية بمثل نصيب أحدهم: ٢٨/٥٨)

وممن برع في علم الحساب وغلب عليه: الحسن بن زياد من أصحاب أبي حنيفة -رحمهما الله-. قال الإمام السرخسي في مستهل "حساب الوصايا": "اعلم بأن مسائل هذا الكتاب من تفريع الحسن بن زياد، وقد كان هو المقدم في علم الحساب من أصحاب أبي حنيفة -رحمهم الله تعالى أجمعين-." آهـ (المبسوط: ٣٠/١٢٨)

والمراد أن الغالب عليه والذي اشتهر به كان علم الحساب، دون الاختصاص، كما اشتهر الآخرون بشتى العلوم والمزايا، فاشتهر محمد بأنه أكثر تفريعا، وزفر بأنه أحدّ قياسا، والقاسم بن معن بأنه أعرف بالنحو واللغة، وحفص بن غياث بأنه أحفظ للحديث، وهكذا. وقد كانوا جميعا أعلم بالحديث والتفريع والقياس واللغة.

وقد برز بعدهم علماء بلغوا شأوا بعيدا في علم الحساب، فقد ذكر الإمام السرخسي: "أن أبا بكر القمي، وأبا الحسن الأهوازي، والقاضي أبا عاصم كانوا من متقدمي العلماء في موضوع الحساب. (المبسوط: كتاب الكفالة، باب الكفالة بالنفس والوكالة والخصومة: ٢٠/ ٨-٩) وللسرخسي أيضا باع طويل في هذا الشأن، وله كتاب في الحسابيات كما أشار إليه في موضع من المبسوط، فقال: "وكل ما ذكروه عندي في تصنيف." آهـ (نفس المصدر السابق، والصفحة نفسها) -

ونختم الكلام عن هذا الكتاب الشريف الكبير بأبيات من قصيدة لأحمد بن أبي المؤيد النسفي[١] التي ختم بها منظومة الجامع قال:

فتم كتاب عز في الكتب مثله ... صقيل المعاني كالحسام المصمم[٢]

تكلم بالسحر الحلال محمد ... وجاء ببرهان جلي متمم

وأدرج في سلك المعاني جواهرا ... بدائع نظم كل فذ وتوأم

أضاءت به الأقطار شرقا ومغربا ... وقد كان بدراً طالعا بين أنجم

تصدى لإحياء العلوم وقد أتى ... ببرهان روح الله عيسى بن مريم[٣]

- وكانت مهارة العالم في هذا الموضوع أمارة على رسوخه في العلم، فقد ذكر الحافظ القرشي في الجواهر المضيئة في ترجمة أبي جعفر الهندواني عن الإمام الحصيري: "أن الهندواني رحل من بلخ إلى بخارى فوجد بها الميداني، ومحمد بن الفضل البخاري، واجتمعوا في بيت محمد بن الفضل وتداولوا الحوار والنقاش، فلما عاد أبو جعفر إلى بلخ سئل عن أهل بخارى، فقال: رأيت فقيها ونصف فقيه. فقيل له: من الفقيه؟ فقال: الميداني، ونصف الفقيه محمد بن الفضل. فقيل له: ولم؟ قال: لأن محمد بن الفضل لا يعرف الحسابيات، وأما الميداني فإنه أتقن هذا الفن. فقيل: إن محمد بن الفضل بعد ذلك اشتغل بالحسابيات حتى صار قدوة فيه". آهـ

هذا، وقال الشهاب القرافي في "فروقه": "وكم يخفى على الفقيه والحاكم الحقُّ في المسائل الكثيرة بسبب الجهل بالحساب والطب والهندسة، فينبغي لذوي الهمم أن لا يتركوا الاطلاع على العلوم ما أمكنهم". آهـ

١- المحمودي أبو نصر، كان إماما جليلا فاضلا زاهدا، كان أعجوبة الدنيا وعلامة العلماء، مصنف الجامع الكبير المنظوم، وهو في مجلد، وشرحه في مجلدين، وبيت "المحمودية" بمرو مشهور بالعلم، وهي نسبة إلى بعض أجداد المنتسب إليه. ر: الجواهر.

قلت: توفي ابن أبي المؤيد نحو سنة ٥١٥هـ، والمجلد الثاني من منظومته مع الشرح -من كتاب الشهادات إلى آخر الكتاب- قد ظفر بمخطوطته والدي الشيخ -لا زال ظافرا ببغيته بفضل ربه-، ويرجع إليه أحيانا في تدريس "الجامع الكبير"، وقصائده محكمة النظم متينة السبك مشحذة للخاطر.

٢- "الحسام": السيف القاطع. و"المصمم" -بكسر الميم الوسطى-: السيف الذي يمر في العظام، ومفاده: أنه كتاب ذو معان مؤثرة كالسيف الصقيل القاطع للعظام.

٣- أي تصدى لإحياء العلوم فأحياها، وأتى بمعجزة عيسى -صلى الله عليه وسلم- فإنه -صلوات الله عليه وسلامه- كان يحي الموتى بإذن الله -جل وعلا- ومحمد -رحمه الله- أحيا الفقه بتوفيق الله. فذاك لعيسى -عليه السلام- معجزة، وهذه لمحمد بن الحسن كرامة، ولمحمد نبينا -صلى الله عليه وسلم- معجزة.

فـإني لتسهيل الطريق نـظـمـته بسلك القوافي بعد طول التجشم[١]

أذاب افتكاري مهجتي فتضرجت ترايب صدري بالرشاش من الدم[٢]

حشاشة نفسي شارفت لانصرامها ورقت عـظامي كالـقسيط المقلم[٣]

ومن خلال "المنظومة":

لئن صار سحرا الساحرين محرما حــلال لأهل العلم سحر محمد

سقى الله بالـرضوان قبـــر محمد سجالا ولم أقنع بسقي السحائب[٤]

قالت الأمة الضعيفة: "الجامع الكبير" صنّفه الإمام محمد على قدر عقله، و"الجامع الصغير" على قدر عقول غيره من الفقهاء. قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: لو كان يكلمنا [يعني محمدا] على قدر عقله ما فهمنا كلامه، ولكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا". آه

فمن جراء غموض الكتاب وصعوبته اضطر المشايخ إلى أن يشرحوه ويسهلوه، ففعلوا -وكان أحق به وأهله- حتى وفد إلينا من شروحه كثرة هائلة، جلها من جهابذة المذهب، معظمهم من مشايخ ديار ما وراء النهر، وسنسرد لك منها من بعد إن شاء الله تعالى.

وأما "الزيادات" فاستدرك فيه محمد -رحمه الله- ما لم يذكر من المسائل في "الأصل" أو غيره من مؤلفاته. وأسلوبه -رحمه الله- فيه: سرد المسائل كما في الجامعين، ومسائله دقيقة خالية عن الأدلة كـ"الجامع الكبير". ولذا ترجح عند كثير منهم أن الزيادات مستدرك على "الجامع الكبير"، ويـعضده مـا ذكـره الرضي السرخسي -رحمه الله- في فاتحة "محيطه"، قال: "بدأت كل باب بمسائل

١- أي بعد طول التفكر وتحمل المعاناة في سبيل نظمه.

٢- "المهجة": دم القلب، أو النفس مطلقا. "فتضرجت": تلطخت، أو تشققت. "ترائب": جمع تريبة: عظام الصدر. "الرشاش" -بفتح الراء المهملة-: ما ترشش من السوائل. ومعنى البيت: أذاب تفكري وتدبري في نظم هذا الكتاب دم قلبي حتى تلطخت عظام صدري بما سال من الدم. ويحتمل أن يكون المعنى: أضنى تفكري نفسي حتى تشققت عظام صدري ترُش دما من الهزال. والله أعلم.

٣- "حشاشة" -بضم المهملة-: بقية الروح في المريض. "شارفت": قاربت. "القسيط المُقلّم": العود المبري. ومعنى البيت: قاربت نفسي الهلاك، ورقت عظامي كالعود الذي بري.

٤- "سجالا": جمع سَجْل: الدلو الضخمة المملوءة ماء. "السحائب": جمع سحاب: الغيم.

"المبسوط"؛ لما أنها أصول مثبتة، وأردفتها بمسائل "الجامع"؛ لما أنها من زبدة الفقه مجموعة، ثم ختمتها بمسائل "الزيادات"؛ لما أنها على فروع "الجامع" مزيدة، وسميته "محيطا"؛ لما أنه محيط بمسائل الكتب"[١].

ورتب الزيادات مرتب "الجامع الصغير" الحسن بن أحمد الزعفراني. وبعد ما ألف محمد -رحمه الله- "الزيادات"، تذكر فروعا فاتته، فجمعها في كتاب، ووسمه بـ"زيادات الزيادات"، فهو مستدرك على المستدرك على "الجامع الكبير".

وأما "السير الصغير" فأول كتاب ألف في علم القانون الدولي، وكتاب السير الذي في "الكافي" للحاكم[٢] كأنه هو[٣]. والله تعالى أعلم.

وأما "السير الكبير" فهو كـ "السير الصغير" في الموضوع إلا أنه أكبر حجما منه، وهو آخر تصنيف وضعه محمد -رضي الله عنه- من كتب ظاهر الرواية، كما نبه عليه الإمام السرخسي -رضي الله عنه- في مستهل شرحه، فقال: "اعلم بأن "السير الكبير" آخر تصنيف صنفه محمد -رحمه الله-؛ لأنه صنفه بعد انصرافه من العراق". آه

ومن مباحثه المرموقة بالأنظار، والمشهورة بالصعوبة والإغلاق: مبحث "الأمان"، وقد أومأ الإمام الشيخ الأجل سيدنا السرخسي -رحمه الله- إلى هذا الجانب في شرحه للكتاب، فقال: "اعلم بأن أدق مسائل هذا الكتاب وألطفها في أبواب الأمان، فقد جمع بين دقائق علم النحو، ودقائق أصول الفقه .... وقيل: من أراد امتحان المتبحرين في النحو والفقه فعليه بأمان السير"[٤].

١- مقدمة "المحيط الرضوي" (المخطوط).

٢- هو محمد بن محمد بن أحمد الشهير بالحاكم الشهيد المروزي البلخي، ولي القضاء ببخارى، ثم ولاه الأمير صاحب خراسان وزارته، سمع الحديث بمرو على أبي رجاء بن حمدويه، وهو يروي عن أحمد بن حنبل وغيره. وسمع منه أئمة خراسان وحفاظها قاطبة، منهم: الحاكم أبو عبد الله صاحب "المستدرك." صنف "المنتقى" و"الكافي" وهما أصلان من أصول المذهب بعد كتب محمد، ولا يوجد "المنتقى" في ديارنا في أعصارنا. قتل شهيدا سنة ٣٤٤هـ. ر: الفوائد البهية، والجواهر.

٣- قال شارح الكافي شمس الأئمة السرخسي -رحمه الله- في أخر كتاب السير: "انتهى شرح السير الصغير المشتمل على معنى أثير...".

٤- "شرح السير الكبير"، للسرخسي: باب أمان الحر المسلم والمرأة والعبد والذمي.

وهذا الكتاب من جملة الكتب التي طلع فيه محمد -رضي الله عنه- محدثا وراوية، فتجده يؤيد ويوثق كل قول بالأخبار والآثار[١].

ثم الكتاب لم يصل إلينا كمتن مفرد مستقل، كما رواه الرواة عن محمد -رضي الله عنه- والذي بأيدينا هو ما أملاه سيدنا شمس الأئمة السرخسي -رحمه الله- على تلامذته مع شرحه المذكور.

فهذه الكتب الستة كما هي أمهات المذهب الحنفي، فكذلك هي أمهات المذاهب الأخرى، وهي أقطاب الفقه الإسلامي وموارده، يستقي منها كل من ينزل هذا الميدان الفقهي.

فهذا سيدنا الإمام الشافعي -رضي الله عنه- ألف قديمه وجديده بعد ما تفقه على محمد بن الحسن -رضي الله عنه- وحمل عنه وقري بعير كتبا. وأسد بن الفرات جمع "الأسدية" -التي بني عليها المذهب المالكي- بعد ما أخذ عن محمد هذه الكتب. وسيدنا الإمام أحمد بن حنبل -رضي الله عنه- جاوب في مسائل، وقال حين سئل: من أين لك هذه المسائل الدقائق؟ "من كتب محمد بن الحسن". فقد والله استحقت هذه الكتب أن تسمى "الأصول" أو "الأمهات"[٢].

١- غبطت محمدا الإمام، وما لي لا أغبطه؟! وتارة أجده في باب محدثا وراوية، فأقول: محدث. وأخرى في آخر فقيها مستنبطا، فأقول: إمامنا فقيه مستنبط، ومرة يطلع في باب نحويا لغويا، فأقول: هبه لغويا، وأخرى يبرز في آخر حسابيا، فأقول: الرجل حسابي.

لولا عجائب صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب

إن الفقاهة أخلاق عرفت بـهـا والباقيات حديث منك مسـطور

٢- ومهما يكن من أمر ، فالحق كما قال ابن النديم في "الفهرست": "العلم برا وبحرا، شرقا وغربا، وبعدا وقربا تدوين أبي حنيفة -رضي الله عنه-."آه فاعترف بالتقدم للمتقدم، وأذعن بالفضل لذويه، ولا تكن ممن يأكل الشعير ويذمه، ومن ادعى من هذا الشأن شيئا وهو لم يرد هذه الموارد فقد والله ادعى شيئا ليس هو صادقا ولا مصدقا فيه أبدا. وبعد هذا لي معكم وقفة أوقظكم فيها لعدة إيقاظات:

الأول: اعلم أن رواة كتب الأصول متعددة، منهم من روى أصلا، ومنهم من روى أصلين فصاعدا، ومنهم من تصرف فيما رواه من تلقاء نفسه، من تعديل وترتيب، أو زيادة مقتضاة، ومنهم من روى كما سمع، علا أن تصرف من تصرف لم يؤثر في جوهر المضمون ومقصود الكلام، فمن أولئكم الرواة: -

وهناكم كتب ثلاثة أخرى تتنزل منزلة كتب ظاهر الرواية، والجانب الحديثي فيها غالب على الجانب الفقهي، وهي:

١- "موطأ الإمام محمد" -رضي الله عنه-، وهو رواية محمد لموطأ الإمام مالك -رضي الله عنهما-

---

-

أ) أبو حفص الكبير.

ب) أبو سليمان الجوزجاني.

ج) محمد بن سماعة.

د) علي بن معبد بن شداد.

ه) هشام بن عبيد الله الرازي.

و) إسماعيل بن توبة القزويني.

ز) معلى بن منصور.

ثم إن أقوى هذه الروايات وأوثقها والتي عليها دار معظم المذهب، وطبعت الأصول عليها إلا فيما ندر رواية أبي سليمان الجوزجاني-رحمه الله-.

الإيقاظ الثاني: ما ذكر عليه الأصول الستة من الترتيب، بنيته أولا على الظن الغالب، إلى ذلك حداني أسمائها، وهداني إشارات عبارات شراحها، ثم إني وجدت الأمير كاتب الأتقاني قد صرح بنفس ذلك الترتيب في كتابه "غاية البيان شرح الهداية"، فلله الحمد أولا وآخرا.

الإيقاظ الثالث: "الجامع" إذا أطلق في كتب المشايخ يراد به "الجامع الكبير"، وحيثما أرادوا "الجامع الصغير" قيدوه بالصغير. وأكثر شروح ظاهر الرواية موسومة بأسمائها، كشروح "المبسوط" تسمى "المبسوط"، فيقولون: في مبسوط شيخ الإسلام خواهر زاده كذا .... في مبسوط شمس الأئمة الحلواني كذا ..... ومعناه: في شرحه للمبسوط، وكذلك يقولون: ذكر في "الزيادات" ويعنون شروحه، ويقولون: كذا في "الجامع البزدوي" .... في "الجامع السرخسي" كذا .... في "الجامع الخاني" كذا -أي قاضي خان-، وغير ذلك مما يطول عده.

وإنما لم يسموا شروحهم بأسماء مفردة، بل أضافوا كلمة شرح إلى اسم المتن فحسب، أو سموها باسم المتن؛ لما أنهم استحبوا أن تسمى كتبهم بما سماها به صاحب المتن الإمام محمد -رضي الله عنه-؛ تعظيما وتكريما له، وتأدبا معه، وتبركا بآثاره، وحبا له، واجتنابا عن مخالفته.

قال والدي الشيخ -أطال الله طيلته- في عنوان "مسائل شتى" أو "مسائل منثورة": إن من جاء بعد محمد -رحمه الله- من الفقهاء وإن كانوا قادرين أن يضعوا كل مسألة من المسائل المذكورة تحت هذا العنوان في موضعها من الباب، لكن لم تسمح لهم أنفسهم بذلك؛ اتباعا لمحمد -رضي الله عنه- وإيثارا لترتيبه على ترتيبهم، وتبركا به.

وقد أضاف إلى ذلك بيان رأيه ورأي أبي حنيفة في الأخذ بالحديث.

٢- "كتاب الآثار"، التي يرويها محمد عن أبي حنيفة وغيره من مشايخه -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين-، ويعقب الروايات ببيان رأي أبي حنيفة الإمام، ورأيه -رضي الله عنهما- في الأخذ بها.

٣- "كتاب الحجة على أهل المدينة"، في الحديث والفقه المقارن، وهو أقدم كتاب في علم الخلاف.

فتلكم عشرة كاملة لإمامنا محمد -رضي الله عنه-، ألا وهو مؤلف ألف كتاب إلا واحدا، كلها في علوم الدين -جزاه الله تعالى عن الدين جزاء موفورا-.

وأما نادر الرواية وتسمى "غير ظاهر الرواية"، فهي المسائل التي رويت عن أصحاب المذهب -رضوان الله تعالى عليهم- لكن لا في الأمهات الست المذكورة، بل إما في كتب أخرى لمحمد -رحمه الله- كـ"الكيسانيات"[١] و"الهارونيات"[٢] و"الجرجانيات"[٣] و"الرَّقيات"[٤]. وإما في كتب غير محمد -رحمه الله- كـ"المجرد" للحسن بن زياد، و"كتب الأمالي" لأبي يوسف -رحمه الله-.

وإما بروايات مفردة عن محمد -رحمه الله- مثل: "نوادر محمد بن سماعة"، و"نوادر إبراهيم بن رستم"، و"نوادر هشام"، و"نوادر أبي سليمان"، و"نوادر معلى بن منصور"، و"نوادر داود بن رشيد".

وسميت هذه المسائل "النوادر" أو "غير ظاهر الرواية"؛ لأنها لم تبلغ مبلغ الأصول الستة شهرة ووثوقا. إلا أن جوامع القوم الفقهية مشحونة منها، كـ"المبسوط" للإمام السرخسي، والمحيطين: الرضوي والبرهاني، وغير ذلك.

١- هي المسائل التي أملاها محمد على أبي عمرو شعيب بن سليمان الكيساني، ويقال لها أيضا: "الأمالي"، يرويها الطحاوي عن سليمان بن شعيب عن أبيه عن محمد.

٢- هي المسائل التي أملاها زمن هارون الرشيد.

٣- هي المسائل التي يرويها عنه علي بن صالح الجرجاني.

٤- هي المسائل التي فرعها حين كان قاضيا بمدينة الرَّقَّة -بفتح الراء المهملة والقاف المعجمة وتشديدها- وهي مدينة معروفة على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام. ر: معجم البلدان: ٥٩/٣ .

ثم عند الاختلاف والتعارض بين ظاهر الرواية والنادر يؤخذ بالظاهر؛ لأنها أكثر ثقة وأقوى سندا إلا إذا رجح المشايخ النادر بوجه من وجوه الترجيح، كتغير الزمان، وتبدل الأعراف وغير ذلكم مما ليس هذا مقام بسطه.

وجرى في ميدان النوادر فارس ميدان الظواهر الإمام الحاكم الشهيد -رضي الله عنه- فهو المجلي في الميدانين وسائر القوم بين مصلٍّ ومسلٍّ وتالٍ[١]. جمع النوادر وسماه "المنتقى"، وقال -أي الحاكم-: نظرت في ثلاث مائة جزء، مثل "الأمالي" و"النوادر" حتى انتقيت كتاب "المنتقى".

١- أسماء لسوابق الخيل على الترتيب: فالمجلي: السابق الأول من الخيل. والمصلي: السابق الثاني. والمسلي: السابق الثالث. والتالي: السابق الرابع. ويقال للخامس: المرتاج. ر: لسان العرب، مادة: صلا.

المرحلة الثالثة

مرحلة الواقعات والنوازل:

وهي مسائل استنبطها المتأخرون من المجتهدين، لما سئلوا عنها ولم يجدوا فيها رواية عن أئمة المذهب المتقدمين، فاستنبطوها طبق أصولهم وقواعدهم.

وهم أصحاب أبي يوسف ومحمد -رضي الله عنهما- وأصحاب أصحابهما ..... وهلم جرا.

فمن أصحاب الإمامين أبي يوسف ومحمد -رضي الله عنهما- مثل: عصام بن يوسف، وابن رستم، وابن سماعة، وأبي سليمان الجوزجاني، وأبي حفص البخاري ومن بعدهم، مثل: محمد بن سلمة البلخي[١]، ومحمد بن مقاتل[٢]، ونصير بن يحيى[٣]، وأبي النصر القاسم بن سلام -رحمهم الله-وكذا استنبطوا أصول الفقه من أقوال الإمام وأصحابه -رضوان الله تعالى عليهم- فإن الأئمة الثلاثة لم تنقل عنهم أصول الفقه، كما نقل عنهم الفقه، وإنما استنبطها مجتهدو المذهب بعدهم من مسائلهم وأقوالهم. وقد يتفق لهم أن يخالفوا أصحاب المذهب، لدلائل وأسباب ظهرت لهم.

وأول كتاب جمع في فتاواهم " كتاب النوازل" للفقيه أبي الليث السمرقندي، ثم جمع المشايخ بعده كتبا أخرى، كـ " مجموع النوازل"، و"الواقعات" للناطفي[٤]، و"الواقعات" للصدر الشهيد.

ثم ذكر المتأخرون هذه المسائل مختلطة غير متميزة، كما في "فتاوى قاضي خان" و"الخلاصة" وغيرهما، وميز بعضهم كما في "المحيط" لرضي الدين السرخسي، فإنه ذكر أولا مسائل الأصول، ثم النوادر، ثم الفتاوى.

١- تفقه على أبي سليمان، وتفقه عليه أبو بكر الإسكافي. (ت: ٢٧٨هـ) ر: الجواهر.

٢- الرازي، قاضي الري من أصحاب محمد، من طبقة سليمان بن شعيب وعلي بن معبد، قال الذهبي: "وحدث عن وكيع وطبقته". ر: والجواهر، الفوائد البهية.

٣- البلخي، تفقه على أبي سليمان الجوزجاني عن محمد، روى عنه أبو عتاب البلخي. (ت: ٢٦٨هـ) ر: الجواهر.

٤- هو أحمد بن محمد بن عمر، أبو العباس الناطفي، أحد الفقهاء الكبار، له كتاب "الأجناس والفروق"، و"الواقعات". و"الناطفي": نسبة إلى عمل الناطف وبيعه. (ت: ٤٤٦هـ) ر: تاج التراجم.

قلت: "الناطف": ضرب من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفستق، ويسمى أيضا: القُبَّيْط، قاله علماء اللغة.

المرحلة الرابعة

مرحلة الجمع والتلخيص والشرح والبسط والتنقيح والتحشية والتدليل والتفصيل:

ثم حمي ميدان التصنيف والتأليف في المذهب من كل زواياه، وتابع الرجال الرجال وتتامّوا، آمّين الأمهات بالعمل، فما هو إلا أن أهدوا إلينا من أعمالهم على الأمهات الست ما يقصر اللسان عن شكره لله تعالى، ويدهش في فهمه الجنان، وتحار في فقهه الأذهان، وتمل بعدّه البنان، ومَن وُفِّق للعمل بما فيه من الرحمن دخل بكرمه -جل جلاله- الجنان، وبُعِّد بفضله -سبحانه وتعالى- عن النيران.

فممن اختصر كتاب الأصل وغيره من كتب الأصول:

١- أبو الفضل محمد بن محمد المروزي الشهير بالحاكم الشهيد -رضي الله عنه- وسماه "الكافي في الفقه"، ويسمى "المختصر" أيضا، لخص فيه كتب ظاهر الرواية بحذف المكرر، مع تصرف في بعض العبارات تسهيلا.

وعلى هذا المختصر جل شروح الأصل، أولها:

أ) "المبسوط" لشمس الأئمة السرخسي -رضي الله عنه- وهو شرح بسيط كاف واف، قرر فيه المعاني المؤثرة القوية بأحسن تحرير وتعبير، مع بيان تأثيرها والآثار، واستدل للمسائل من الكتاب والسنة والآثار استدلالا لامعا تطمئن إليه القلوب، وباستدلالاته وتعليلاته تزول الشبهات والريب عن قلوب القارئين. فشرحه هذا أكبر موسوعة فقهية جامعة، وأجمع كتاب للأحاديث والآثار، لا نظير له في الفقه الإسلامي، حتى قال بعضهم[1]: "لا يعمل بما يخالفه، ولا يركن إلا إليه، ولا يفتى ولا يعول إلا عليه".

ب) "المبسوط" لشمس الأئمة الحلواني شيخ السرخسي.

١- القائل هو العلامة الطرسوسي، كما في "شرح عقود رسم المفتي" في الكلام على "الكافي" للحاكم.

ج) "شرح الكافي" لأحمد بن منصور الإسبيجابي[١].

٢- واختصر "الأصل" كذلك محمد بن إبراهيم الحنفي[٢].

٣- وأبو النصر عبد الرحيم بن أبي عصام البلخي[٣].

ومن شروح الأصل:

١- "مبسوط" شيخ الإسلام بكر خواهر زاده -رضي الله عنه-[٤] ويسمى "المبسوط البكري".

٢- "مبسوط" فخر الإسلام البزدوي -رحمه الله تعالى-[٥].

٣- "مبسوط" صدر الإسلام البزدوي-رحمه الله-.

٤- "مبسوط" ناصر الدين أبي القاسم محمد بن يوسف السمرقندي[٦].

٥- "مبسوط" شيخ الإسلام الإسبيجابي شيخ سيدنا المرغيناني -رحمهما الله-.

١- هو أبو النصر أحمد بن منصور الإسبيجابي القاضي، أحد شراح "مختصر الطحاوي"، كان إماما تبحر في الفقه على علماء بلده ثم رحل إلى سمرقند، ذكره أبو حفص النسفي في "القند في تاريخ سمرقند"، فقال: "دخل سمرقند وأجلسوه للفتوى، وصار الرجوع إليه في الوقائع، ونسبته إلى "إسبيجاب" -بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر الباء الموحدة- بلدة بين طاشقند وسيرام. (ت: ٤٨٠هـ) ر: الجواهر، والفوائد البهية.

٢- المتوفى بعد ٧٠٥هـ

٣- لم أقف على ترجمته، وتوجد نسخة من مختصره في المكتبة السليمانية، قسم جارالله، رقم: ٨٧٣.

٤- هو محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين البخاري المعروف ببكر خواهر زاده، ابن أخت القاضي أبي ثابت محمد بن أحمد، قال السمعاني: "كان إماما فاضلا حنفيا، وله طريقة حسنة مفيدة جمع فيها من كل فن وكان يحفظها". سمع أبا علي وأبا الفضل منصور الكاغذي، روى عنه عمرو بن محمد بن لقمان النسفي .... صاحب "المبسوط" ... وكان من عظماء ما وراء النهر. (ت: ٤٨٣هـ) ر: الجواهر.

٥- تأتي ترجمته وترجمة أخيه صدر الإسلام في مبحث فقهاء ما وراء النهر.

٦- الشهيد الحسيني، إمام عظيم القدر، قوي العلم، أوحد أوانه في الأدب، مجتهد زمانه، له تصانيف كثيرة المنافع، منها: "النافع"، و"الملتقط في الفتاوى". (ت: ٥٥٦هـ) ر: الجواهر.

ومن شروح الجامع الصغير:

١- شرح الإمام أبي جعفر الطحاوي -رحمه الله-[١].

٢- شرح أبي بكر الإسكافي البلخي[٢].

٣- شرح الإمام ابن أبي موسى الضرير[٣].

٤- شرح عبيد الله بن الحسين الكرخي.

٥- شرح أبي عمرو بن دانكا الطبري[٤].

٦- شرح محمد بن علي بن عبدك الجرجاني[٥].

٧- شرح أبي الحسن حيدرة بن عمر الصفار[٦].

٨- شرح أبي بكر الجصاص الرازي.

٩- شرح أبي الليث الفقيه السمرقندي[٧].

١- هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، إمام جليل القدر مشهور في الآفاق، أخذ الفقه عن أبي جعفر أحمد بن عمران عن محمد بن سماعة عن أبي يوسف عن أبي حنيفة، وأخذ بالشام عن عبد الحميد القاضي عن عيسى بن أبان عن محمد عن أبي حنيفة، وكان إماما في الأحاديث والأخبار، أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم، وله تصانيف جليلة معتبرة، منها: "أحكام القرآن"، و"كتاب معاني الآثار"، و"مشكل الآثار" ، وشرح الجامعين والمختصر. و"الطحاوي": نسبة إلى "طحى" -بالفتح- قرية بأسفل أرض مصر من الصعيد. (ت: ٣٢١هـ) ر: النافع الكبير.

٢- هو محمد بن أحمد الإسكافي، إمام كبير جليل القدر، أخذ الفقه عن محمد بن سلمة عن أبي سليمان الجوزجاني وتفقه عليه أبو بكر الأعمش وأبو جعفر الهندواني. (ت: ٣٣٣هـ) ر: الفوائد البهية.

٣- تأتي ترجمته على هامش شروح الجامع الكبير.

٤- هو أحمد بن عبد الرحمن، تفقه على أبي سعيد البردعي، من طبقة الكرخي والطحاوي. (ت: ٣٤٠هـ) و"الطبري": نسبة إلى "طبرستان" إقليم يجاور خراسان، وقال السمعاني: "إنها تبرستان لأن أهلها كانوا يحاربون بها أي بالفأس، فعرب". ر: الفوائد البهية، والجواهر.

٥- أبو أحمد، حدث عن علي القمي وأبي داود الأصبهاني. ر: الجواهر.

٦- (ت: ٣٥٨هـ)

٧- تأتي ترجمته في مبحث السمرقنديين من فقهاء ما وراء النهر.

١٠- شرح أبي سعيد عبد الرحمن بن محمد الفزي[١].

١١- شرح أبي القاسم علي بن أحمد بن بندار اليزدي[٢].

١٢- شرح فخر الإسلام البزدوي.

١٣- شرح شمس الأئمة السرخسي.

١٤- شرح ركن الدين مسعود بن الحسين الكشتاني[٣].

١٥- شرح الصدر الشهيد.

١٦- شرح أبي نصر أحمد بن منصور الإسبيجابي.

١٧- شرح برهان الإسلام محمد بن محمد السرخسي[٤] المسمى "فوائد الجامع الصغير".

١٨- شرح أبي بكر بن أحمد بن علي السمرقندي، المعروف بالظهير[٥].

١٩- شرح عبد الغفور بن لقمان الكردري.

٢٠- "التقسيم والتشجير" شرح الجامع الكبير، للقاضي أبي الحسن اليزدي[٦].

٢١- شرح النجم الحنفي[٧].

٢٢- شرح أبي النصر العتابي[٨].

١- من فُزّ -بالضم والتشديد- محلة بنيسابور، قال الذهبي في "تاريخ الإسلام": "إنه لم يكن في أصحاب الرأي أسند منه". (ت: ٣٧٤هـ) ر: تاج التراجم.

٢- نسبة إلى "يزد" من أعمال اصطخر فارس، وهو جد والد المطهر صاحب "التهذيب" (الآتي ذكره)، أخذ عن أبي جعفر النسفي عن الجصاص عن الكرخي عن البردعي عن أبي علي الدقاق، وله شرح الجامع الصغير. ر: النافع الكبير.

٣- السغدي، تفقه على شمس الأئمة السرخسي، وله "المختصر المسعودي". (ت: ٥٢٠هـ) و"الكشتانية": بلدة من السغد. ر: الفوائد البهية.

٤- الملقب برضي الدين، صاحب "المحيط"، كان إماما كبيرا، أخذ العلم عن الصدر الشهيد. (ت: ٥٤٤هـ) ر: الفوائد.

٥- البلخي الأصل، تفقه على علي بن محمد الإسبيجابي. (ت: ٥٥٣هـ) ر: تاج التراجم.

٦- هو مسعود بن الحسين، أحد الفقهاء الكبار على مذهب أبي حنيفة. (ت: ٥٧١هـ)

٧- هو حسين بن محمد، صاحب "الفتاوى والواقعات". (ت: ٥٨٠هـ)

٨- هو أحمد بن محمد بن عمر العتابي -بفتح العين وتشديد التاء- نسبة إلى "العتابية" محلة ببخارى، كان من العلماء الزاهدين، أخذ عن شمس الأئمة الكردري، وله شرح الزيادات وشرح الجامعين وغير ذلك. (ت: ٥٨٠هـ) ر: النافع الكبير.

٢٣- شرح أبي سعد جمال الدين المطهر بن بندار اليزدي[١]، المسمى "التهذيب شرح الجامع الصغير".

٢٤- شرح فخر الدين قاضي خان[٢].

٢٥- شرح بدر الدين الورسكي[٣].

٢٦- شرح أبي الحسن حسام الدين الرازي[٤].

٢٧- شرح قوام الدين البخاري[٥].

٢٨- شرح أحمد بن أبي ثابت التمرتاشي[٦].

٢٩- شرح برهان الدين ابن الصدر السعيد[٧].

---

١ كان أوحد الزمان ومفتي العصر، وكان من بيت العلم، أبوه وجده وجد أبيه كلهم أئمة الدهر، لخص "مشكل الآثار" للطحاوي. ر: النافع الكبير.

٢- هو الإمام المجتهد والحبر الفهامة فخر الدين قاضي خان الحسن بن منصور بن محمود الأوزجندي الفرغاني، أخذ عن ظهير الدين الحسن المرغيناني عن برهان الدين الكبير ومحمد بن عبد العزيز جد قاضي خان، كلاهما عن شمس الأئمة السرخسي عن الحلواني عن محمد بن الفضل عن السبذموني عن أبي حفص الصغير عن أبيه أبي حفص الكبير عن محمد عن أبي حنيفة. تفقه عليه جماعة، منهم الحصيري. وله الفتاوى المعروفة، وشرح الزيادات وغير ذلك. (ت: ٥٩٢هـ) ر: النافع الكبير، وتاج التراجم.

٣- هو عمر بن عبد الكريم الورسكي البخاري، أخذ عن أبي الفضل الكرماني، تفقه عليه شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري. (ت: ٥٩٤هـ) ر: النافع الكبير.

٤- هو علي بن أحمد بن مكي الرازي، صاحب "خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل" شرح مختصر القدوري. (ت: ٥٩٨هـ) ر: الجواهر.

٥- هو أحمد بن عبد الرشيد بن الحسين البخاري، والد صاحب الخلاصة، أخذ عن أبيه، وتفقه عليه ابنه. ر: الفوائد البهية.

٦- هو ظهير الدين أحمد بن إسماعيل التمرتاشي الخوارزمي أبو العباس إمام جليل القدر، له "شرح الجامع الصغير" و"كتاب التراويح" وغير ذلك. ر: النافع الكبير.

٧- هو محمود بن أحمد بن برهان الدين الكبير عبد العزيز بن عمر بن مازه، كان من كبار الأئمة، له اليد الباسطة في الخلاف، والباع الممتد في حسن الكلام ومعرفة الأدب، أخذ العلم عن أبيه الصدر السعيد، وعن عمه الصدر الشهيد، ومن تصانيفه: "المحيط البرهاني" و"شرح الجامع الصغير"، و"شرح الزيادات" وغير ذلك. ر: النافع الكبير.

٣٠- شرح ظهير الدين البخاري[١]، المسمى بـ "الفوائد الظهيرية".

٣١- شرح جمال الدين العبادي المحبوبي البخاري[٢].

٣٢- شرح جمال الدين محمود بن أحمد الحصيري.

٣٣- شرح شمس الدين العقيلي البخاري[٣].

٣٤- شرح محمد بن سليمان الأذرعي[٤].

٣٥- شرح الغزنوي[٥]، المسمى "اللوامع".

ومن ترتيبات الجامع الصغير:

١- ترتيب مسائل الجامع الصغير، للحسن بن أحمد الزعفراني.

٢- ترتيب الجامع الصغير، لأبي طاهر الدباس.

٣- ترتيب الجامع الصغير، لصدر الإسلام البزدوي.

١- هو محمد بن أحمد بن عمر القاضي، صاحب "الفتاوى الظهيرية"، و"الفوائد الظهيرية"، و"شرح الجامع الصغير الحسامي"، كان أوحد عصره، أخذ عن أبيه أحمد بن عمر الشيرازي. (ت: ٦١٩هـ) ر: النافع الكبير.

٢- هو عبيد الله بن إبراهيم بن أحمد، كان يشتهر بـ "أبي حنيفة الثاني"، ينتهي نسبه إلى عبادة بن الصامت، أخذ العلم عن إمام زاده صاحب "شرعة الإسلام"، وعماد الدين عمر الزرنجري عن شمس الأئمة السرخسي عن شمس الأئمة الحلواني. وله "شرح الجامع الصغير"، و"كتاب الفروق." (ت: ٦٣٠هـ) ر: النافع الكبير.

٣- هو أحمد بن محمد العقيلي -بفتح العين- نسبة إلى عقيل بن أبي طالب أخي علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، أخذ عن جده لأمه عمر بن محمد العقيلي، كان مشغوفا بشرح الجامع الصغير، ونظمه نظما حسنا. (ت: ٥٥٧هـ) ر: الفوائد البهية.

٤- هو محمد بن سليمان بن وهيب ابن أبي العز الدمشقي، كان فاضلا عالما بالخلاف، أخذ عن أبيه عن الحصيري. (ت: ٦٩٩هـ) ر: الفوائد البهية.

٥- هو سراج الدين أبو حفص عمر بن إسحاق بن إسحاق الغزنوي الهندي، كان إماما علامة نظارا، أخذ عن الإمام الزاهد وجيه الدين الدهلوي وغيره، من تصانيفه: شرح الهداية المسمى بـ"التوشيح"، و"الشامل في الفقه"، وشرح الجامع الصغير والكبير -لم يكملهما- وغير ذلك. (ت: ٧٧٣هـ) ر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: علماء الهند في القرن الثامن، علم رقم: ١٧٤ .

٤- ترتيب الجامع الصغير، لأبي المعين ميمون المكحولي النسفي[١].

٥- ترتيب الجامع الصغير، لشمس الأئمة الحلواني.

٦- ترتيب الجامع الصغير، لأبي جعفر الهندواني[٢].

٧- ترتيب الجامع الصغير، لأبي الفضل الكرماني[٣].

ومن منظومات الجامع الصغير:

١- منظومة نجم الدين النسفي، شيخ سيدنا المرغيناني -رحمه الله-.

٢- منظومة أبي نصر الفراهي[٤]، المسماة "لمعة البدر في نظم الجامع الصغير".

٣- منظومة ابن قاضي العسكر[٥].

٤- منظومة العَقيلي.

٥- منظومة القُباوي[٦].

٦- منظومة محمود الحسيني[٧].

١- هو ميمون بن محمد بن محمد المكحولي، صاحب "كتاب تبصرة الأدلة"، إمام فاضل جامع الأصول والفروع، تفقه عليه علاء الدين السمرقندي صاحب "التحفة"، وله: شرح "الجامع الكبير". (ت: ٥٠٨هـ) ر: النافع الكبير.

٢- هو محمد بن عبد الله بن محمد أبو جعفر البلخي، الملقب بـ"أبي حنيفة الصغير" لفقهه. تفقه على أبي بكر الأعمش، حدث ببلخ وما وراء النهر وأفتى بالمشكلات وشرح المعضلات. و"الهندواني": نسبة إلى باب هندوان -بكسر الهاء وسكون النون وضم الدال- محلة ببلخ كان ينزل بها الغلمان والجواري يجلب من الهند. (ت: ٣٦٢هـ) ر: النافع الكبير، والجواهر.

٣- هو عبد الرحمن بن محمد بن أميرويه، ركن الدين أبو الفضل الكرماني ، انتهت إليه رئاسة المذهب بخراسان. تفقه على فخر القضاة محمد بن الحسين الأرسانيدي، وله "شرح الجامع الكبير"، و"التجريد في الفقه" وغير ذلك. (ت: ٥٤٣هـ) ر: النافع الكبير. و"الكرماني": نسبة إلى "كرمان"، ولاية مشهورة بين فارس ومكران، وسجستان وخراسان. ر: معجم البلدان.

٤- هو مسعود بن أبي بكر بن الحسين الفراهي الفقيه. ر: الجواهر.

٥- هو علي بن خليل بن علي أبو الحسن الدمشقي الشهير بابن قاضي العسكر. (ت: ٥٥١هـ) ر: تاج التراجم، والجواهر.

٦- هو محمد بن محمد بن محمد القباوي، نزيل مرغينان، تفقه على شمس الأئمة الكردري، من تصانيفه: "الجامع الكبير" و"نظم الجامع الصغير"، وبرع في الخلاف وعلم الجدل، مات بعد سنة ٧٢٦هـ ر: تاج التراجم، والجواهر. و"القباوى" -بضم القاف وفتح الباء-: نسبة إلى بلدة كبيرة بفرغانة.

٧- هو محمود بن محمد بن حمزة الحسيني الدمشقي. (ت: ١٣٠٥هـ)

ومن شروح الجامع ا لكبير:

١- شرح أبي خازم القاضي[1].

٢- شرح علي القمي.

٣- شرح الطحاوي.

٤- شرح الإسكافي.

٥- شرح ابن أبي موسى الضرير[2].

٦- شرح ابن دانكا الطبري.

٧- شرح أبي الحسن الكرخي.

٨- شرح محمد بن علي الجرجاني.

٩- شرح الجصاص الرازي.

١٠- شرح أبي الليث السمرقندي.

١١- شرح ابن طرار النهرواني[3].

١٢- شرح أبي عبد الله الجرجاني[4].

١- هو عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي أبو حازم، أصله من البصرة وسكن بغداد، أخذ عن عيسى بن أبان عن محمد، وتفقه عليه الطحاوي، وأبو طاهر الدباس، كان ورعا عالما بمذهب أبي حنيفة، وبالفرائض والحساب، والذرع والقسمة والمقابلة وحساب الدور، وغامض الوصايا والمناسخات، له "كتاب أدب القاضي" وغيره. (ت: ٢٩٢هـ) ر: تاج التراجم، والفوائد البهية.

٢- هو محمد بن عيسى أبو عبد الله الفقيه، ولي القضاء ببغداد، وكان من أهل العلم بمذهب العراقيين، وكان له سمت حسن ووقار تام. ووجد مقتولا في داره سنة نيّف وثلاثين وثلاث مائة، كبسه اللصوص، وله كتاب "الزيادات"، و"الجامع الصغير"، و"الجامع الكبير"، وكتاب في أصول الفقه في ثمان مجلدات وغير ذلك. ر: تاج التراجم.

٣- هو معافى بن زكريا بن يحيي الجريري البغدادي. (ت: ٣٩٠هـ) ر: الأعلام.

٤- هو محمد بن يحيي بن مهدي الجرجاني أحد الأعلام، ذكره صاحب الهداية في باب صفة الصلاة، تفقه على أبي بكر الرازي، وتفقه عليه أبو الحسين القدوري وغيره، حصل له الفالج في آخر عمره، مات سنة ٣٩٨هـ، ودفن إلى جانب قبر أبي حنيفة. ر: الجواهر.

١٣- شرح الحسين بن يحي الزندويستي.[١]

١٤- شرح أبي زيد الدبوسي[٢].

١٥- شرح شمس الأئمة الحلواني.

١٦- شرح علي بن الحسين السغدي[٣].

١٧- شرح أحمد بن منصور الإسبيجابي.

١٨- شرح فخر الإسلام البزدوي.

١٩- شرح شمس الأئمة السرخسي.

٢٠- شرح بكر خواهر زاده.

٢١- شرح أبي المعين المكحولي النسفي.

٢٢- شرح فخر القضاة بن الحسين الأرسابندي[٤].

٢٣- شرح الصدر الشهيد[٥].

٢٤- شرح مفتي الثقلين النسفي، شيخ سيدنا المرغيناني.

٢٥- شرح أبي الفضل الكرماني، المسمى "إشارات الجامع الكبير"[٦].

١- هو الحسين بن يحيي البخاري، له كتاب "روضة العلماء" و"نظم الفقه". (ت: ٤٠٠هـ) ر: تاج التراجم.

٢- هو عبيد الله بن عمر بن عيسى القاضي الدبوسي، نسبة إلى دبوسية، قرية بسمرقند، تفقه على أبي جعفر الأستروشني، وهو أول من وضع علم الخلاف، ذكر السمعاني أنه كان يضرب به المثل في النظر واستخراج الحجج، له "كتاب الأسرار" و"تقويم الأدلة." (ت: ٤٣٠هـ) ر: الفوائد البهية.

٣- شيخ الإسلام أبو الحسن صاحب "النتف في الفتاوى"، كان إماما فاضلا فقيها مناظرا، روى عنه شمس الأئمة السرخسي "السير الكبير". (ت: ٤٦١هـ) ر: تاج التراجم.

٤- تفقه على علاء الدين المروزي، كان إماما فاضلا، انتهت إليه رئاسة الحنفية، من تصانيفه: "مختصر تقويم الأدلة" للدبوسي. (ت: ٥١١هـ) و"أرسابند" -بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الباء الموحدة بعدها نون- قرية كبيرة من قرى مرو. ر: الجواهر، والفوائد البهية.

٥- تأتي ترجمته في مبحث مشايخ سيدنا المرغيناني.

٦- توجد صورة من مخطوطته في مكتبة والدي الشيخ -عمرها الله تعالى بطول عمره- .

٢٦- شرح أبي الفتح الأسمندي السمرقندي[١].

٢٧- شرح أبي المفاخر الكردري.

٢٨- شرح الإمام قاضي خان.

٢٩- شرح سيدنا الإمام الأجل المرغيناني صاحب الهداية.

٣٠- شرح برهان الدين محمود ابن الصدر السعيد صاحب "المحيط".

٣١- شرح عبد المطلب بن الفضل الهاشمي[٢].

٣٢- "أصول الجامع الكبير" لعيسى الملك المعظم شرف الدين ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب.

٣٣- "الوجيز" شرح الجامع الكبير.

٣٤- "التحرير" شرح الجامع الكبير، كلاهما للإمام محمود بن أحمد الحصيري، والأول كاسمه شرح وجيز، والثاني كاسمه شرح محرر ومطول[٣].

٣٥- "التيسير" شرح الجامع الكبير، لابن قاضي العسكر.

٣٦- شرح سبط ابن الجوزي[٤].

١- هو محمد بن عبد الحميد بن الحسن علاء الدين الأسمندي، من فحول الفقهاء، تفقه على السيد الأشرف، له "تعليقة" مشهورة في مجلدات، وصنف في الخلاف، روى عنه أبو المظفر السمعاني. (ت: ٥٥٢هـ) و"الأسمندي": نسبة إلى "أسمند" - بضم الهمزة وسكون السين المهلمة وسكون النون في آخره دال مهملة- قرية من قرى سمرقند. ر: الجواهر. وسماه في الفوائد البهية: محمد بن عبد الرشيد، وأشار إلى الاختلاف بعد ترجمته.

٢- هو عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الحلبي الإمام افتخار الدين، إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته بحلب، صنف "شرح الجامع الكبير." (ت: ٦١٦هـ) ر: الجواهر.

٣- وصورة كل من الشرحين تتواجد عند الشيخ الوالد.

٤- هو يوسف بن قِزْأُغْلِيْ بن عبد الله البغدادي، سبط الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي، صاحب "مرآة الزمان" سمع من جده لأمه ابن الجوزي، وكان بتربيته في صغره حنبليا، ثم رحل إلى الموصل ودمشق وتفقه على الحصيري فصار حنفيا، وكان عالما فقيها واعظا مفرطا في الذكاء، له تصانيف منها: " شرح الجامع الكبير" و"إيثار الإنصاف" ومجلد في مناقب أبي حنيفة وغير ذلك، وفي طبقات الشيرازي: "... كان حنبلي المذهب فلما تكرر اجتماعه بالملك المعظم عيسى اجتذبه إليه ونقله إلى مذهب أبي حنيفة، وكان الملك المعظم شديد التغالي في المذهب". آهـ(ت: ٦٥٧هـ) ر: الفوائد البهية، وتاج التراجم.

٣٧- شرح نجم العلماء الرامشي الضرير[١].

٣٨- شرح أبي الفضل الموصلي[٢] صاحب "المختار" وشرحه "الاختيار".

٣٩- شرح رضي الدين القونوي[٣].

٤٠- "التقرير" شرح الجامع الكبير، لأبي العباس القونوي[٤]، لم يتمه فأكمله ابنه أبو المحاسن محمود.

٤١- شرح شجاع الدين الطرازي[٥].

٤٢- شرح عثمان الزيلعي صاحب "تبيين الحقائق"[٦].

٤٣- "الدر المنير" في شرح إشكال الجامع الكبير، للشيخ ابن الربوة القونوي[٧].

٤٤- "النور اللامع في أصول الجامع"، لمحمود بن حمزة الحسيني ناظم "الجامع الصغير".

١- هو علي بن محمد بن علي الرامشي البخاري، الملقب بحميد الدين، كان إماما كبيرا فقيها محدثا مفسرا، تفقه على شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري، وتفقه عليه حافظ الدين النسفي صاحب "الكنز"، شرح الجامع الكبير والهداية، وقيل: هو أول من شرح "الهداية". (ت: ٦٦٦هـ) ودفن عند أبي حفص الكبير. ر: الجواهر، والفوائد البهية.

٢- هو عبد الله بن محمود بن مودود مجد الدين، كان فقيها عارفا بالمذهب، ولي قضاء الكوفة ثم عزل، سمع عمر بن طبرزد بالموصل. (ت: ٦٨٣هـ) ر: تاج التراجم.

٣- هو إبراهيم بن سليمان الرومي المنطقي، كان عالما فاضلا، قرأ على جماعة. صنف شرح الجامع الكبير في ست مجلدات، ونسبته إلى "قونية" بلدة معروفة هي كرسي بلاد قرمان بأرض الروم. (ت: ٧٣٢هـ) ر: الجواهر، والفوائد البهية.

٤- هو أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن القونوي، تفقه على الجلال عمر الخبازي، وله "التقرير شرح الجامع الكبير" أكمله ابنه، و"شرح عقيدة الطحاوي"، مات بدمشق. ر: تاج التراجم.

٥- هو هبة الله بن أحمد بن معلى التركستاني، تفقه على الجلال الخبازي، كان فقيها أصوليا نحويا، له "تبصرة الأسرار في شرح المنار" و"الغرر". (ت: ٧٣٣هـ) ر: الجواهر.

٦- هو عثمان بن علي بن محجن أبو محمد ، فخر الدين الزيلعي، كان مشهورا بمعرفة الفقه والنحو والفرائض، له شرح الكنز المسمى "تبيين الحقائق" و"شرح الجامع الكبير". و"الزيلعي" نسبة إلى "زيلع" -بفتح الزاي المعجمة، وسكون الياء ثم اللام المفتوحة ثم العين المهملة- بلدة بساحل بحر الحبشة. (ت: ٧٤٣هـ) ر: الفوائد البهية.

٧- هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز، ناصر الدين الفيومي ثم الدمشقي، أخذ عن رضي الدين إبراهيم المنطقي، له "شرح المنار"، و"الدرالمنير" وغير ذلك. (ت: ٧٦٤هـ) ر: تاج التراجم، والفوائد البهية.

ومن مختصرات الجامع الكبير:

١- مختصر وشرح الجامع الكبير، لأبي النصر العتابي.

٢- تلخيص الجامع الكبير، لصدر الدين الخلاطي[١] وهذا المختصر من أشهر مختصرات "الجامع الكبير"، شرحه المصنف بنفسه، ومن شروحه خلا شرح المؤلف:

أ) "تحفة الحريص شرح التلخيص"، لابن التركماني[٢].

ب) شرح تلخيص الجامع، لابن البرهان الحنفي[٣].

ج) شرح تلخيص الجامع لابن الخلاط، لمحمد بن محمد بن شهاب الدين الكردري[٤].

د) شرح تلخيص الجامع، لأكمل الدين البابرتي[٥].

هـ) شرح تلخيص الجامع، لسعد الدين التفتازاني[٦].

١- هو محمد بن عباد بن ملك داد بن حسن داد الخلاطي، تفقه على الحصيري، وله "مقصد المسند" اختصار مسند أبي حنيفة- رضي الله عنه-. و"الخلاطي": -بكسر الخاء- نسبة إلى بلد الروم. (ت: ٦٥٢هـ) ر: الجواهر، والفوائد البهية. قلت: صورة من مخطوطة تلخيصه للجامع الكبير هذا تتواجد في مكتبتنا.

٢- هو عثمان بن إبراهيم مصطفى المارديني، فخر الدين أبو عمر. شرح الجامع الكبير ثم ألقاه دروسا بمدرسة الملك المنصور. (ت: ٧٣١هـ) ر: تاج التراجم.

٣- هو أحمد بن إبراهيم بن داود التركي، أبو العباس القاضي محي الدين تفقه على والده، شرح الجامع الكبير، فانتفع منه الصغير والكبير. (ت: ٧٣٨هـ) ر: الجواهر، وتاج التراجم.

٤- البزري الفاسي. (ت: ٧٢٧هـ)

٥- هو محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين البابرتي، صاحب "العناية" شرح الهداية، أخذ عن قوام الدين الكاكي عن الحسام السغناقي وغيره، وتفقه عليه السيد الشريف الجرجاني، شرح تلخيص الجامع للخلاطي، وشرح "وصية الإمام أبي حنيفة." (ت: ٧٨٦هـ) ر: الفوائد البهية.

٦- هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، له التصانيف الجليلة منها: الشرحان الكبير والصغير على "تلخيص المفتاح"، و"التلويح" حاشية "التوضيح" شرح "التنقيح" كلاهما لصدر الشريعة، و"شرح العقائد" وغير ذلك، كان معاصرا للسيد الشريف الجرجاني. واختلف في مذهبه فقيل: كان حنفيا، وقيل: كان شافعيا. (ت: ٧٩٢هـ) ر: الفوائد البهية.

و) "التمحيص شرح التلخيص"، لشمس الدين الرازي[١].

ز) شرح تلخيص الجامع، لمحمد بن حمزة بن محمد الفناري[٢].

٣- "الوجيز تهذيب الجامع الكبير"، لقاضي القضاة أبي الربيع الأذرعي[٣]، واختصر مختصره هذا تلميذه قاضي القضاة أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي صاحب "الغاية" شرح الهداية.

ومن منظومات الجامع الكبير:

١- نظم الجامع الكبير وشرحه، لابن أبي المؤيد النسفي، وعلى هذا النظم الشرحان التاليان:

أ) "تفهيم التحرير في شرح منظومة الجامع الكبير"، لعلاء الدين محمود بن عبيد الله المروزي[٤].

ب) شرح نظم الجامع الكبير، لتاج الدين التركماني[٥] ابن صاحب "تحفة الحريص شرح التلخيص" الذي سبق ذكره قريبا.

ومن شروح الزيادات:

١- شرح الزيادات لابن سماعة.

٢- شرح أبي عبد الله الجرجاني تلميذ الكرخي.

٣- شرح شمس الأئمة الحلواني.

٤- شرح فخر الإسلام البزدوي.

١- هو محمد بن عطاء الدين محمد الرازي الهروي الحنفي. (ت: ٨٢٩هـ)

٢- شمس الدين، إمام كبير علامة نحرير أوحد زمانه، أحد الرؤساء الذين انفرد كل منهم على رأس القرن الثامن، وهم: ابن الملقن في كثرة التصانيف في الفقه والحديث، والمجد الشيرازي في اللغة، والزين العراقي في الحديث، والشمس الفناري في الاطلاع على كل العلوم العقلية والنقلية. أخذ عن الأكمل البابرتي وغيره، له "البدائع في أصول الشرائع" وغيره. (ت: ٨٣٤هـ) ر: الفوائد البهية.

٣- هو سليمان بن وهيب ابن أبي العز، قاضي القضاة، تفقه على الحصيري، (ت: ٦٧٧هـ) ر: الجواهر.

٤- الحارثي، شيخ الإسلام بمرو، له كتاب "العون" شرح "مختلف الرواية. (ت: ٦٠٦هـ) ر: الفوائد البهية.

٥- (ت: ٧٤٤هـ)

٥- شرح شمس الأئمة السرخسي.

٦- شرح أبي المفاخر الكردري.

٧- شرح أبي نصر العتابي.

٨- شرح فخر الدين قاضي خان.

٩- شرح البرهان ابن الصدر السعيد صاحب "المحيط البرهاني".

١٠- شرح محمود بن أحمد الحصيري، المسمى "ترتيب كتاب الزيادات".

١١- "ترتيب كتاب الزيادات"، لأبي الربيع الأذرعي.

١٢- شرح سراج الدين أبي حفص الغزنوي الهندي.

١٣- "ملاك الإفادات في شرح الزيادات"، لأبي المفاخر الزوزني[١].

١٤- شرح ابن نجيم[٢].

ومن شروح زيادات الزيادات:

١- "النكت"، لشمس الأئمة الحلواني.

٢- شرح الإمام أبي نصر العتابي.

ومن شروح السير الكبير:

١- شرح شمس الأئمة الحلواني.

٢- شرح شمس الأئمة السرخسي.

٣- شرح علي بن الحسين السغدي.

٤- شرح محمود بن أحمد الحصيري.

١- هو محمد بن محمود بن محمد، تاج الدين السديدي الزوزني، تفقه على محمود المروزي، شرح منظومة النسفي وزاد عليها. ر: تاج التراجم. و"الزَّوْزَني": نسبة إلى "زَوْزَن" بلدة كبيرة حسنة بين هراة ونيسابور. الأنساب.

٢- هو زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، أخذ العلم عن جماعة منهم: الشرف البلقيني، والشيخ أمين الدين بن عبدالعال، له عدة مؤلفات منها: "البحر الرائق" شرح كنز الدقائق، و"الأشباه والنظائر" . من تلامذته: أخوه صاحب "النهر الفائق." (ت ٩٧٠هـ) ر: التعليقات السنية على الفوائد البهية.

٥- "تيسير المسير في شرح السير الكبير"، لمحمد منيب العينتابي[١].

ولم نذكر من شروح "السير الصغير" لأنه مذكور في "الأصل" -كما أشرنا إليه من قبل- وقد ذكرنا شروح "الأصل".

ومن المتون والمختصرات في المذهب:

وكذا حرص الأئمة الفقهاء -رضوان الله تعالى عليهم- على وضع مختصرات مجردة عن العلل والدلائل، جامعة للمسائل المعتمدة المفتى بها في المذهب. فمن فرسان هذا الميدان:

١- الإمام أبو جعفر الطحاوي. وشرح مختصره من الفقهاء:

أ) أبو بكر الجصاص.

ب) الحسين بن علي الصيمري[٢].

ج) أحمد بن منصور الإسبيجابي، سماه "الحاوي شرح مختصر الطحاوي".

د) شمس الأئمة السرخسي.

هـ) شيخ الإسلام علي بن محمد الإسبيجابي شيخ سيدنا المرغيناني.

٢- الإمام أبو الحسن الكرخي -رضي الله عنه-. وممن شرح "مختصره":

أ) الإمام أبو بكر الجصاص.

ب) الإمام أبو الحسين القدوري.

ج) الإمام أحمد بن منصور الإسبيجابي.

د) الإمام أبو الفضل الكرماني، وغيرهم.

٣- الإمام أبو الحسين القدوري -رحمه الله-، أشهر المتون والمختصرات، وأكثرها بركة وقبولا مختصره الذي يطلق عليه اسم "الكتاب" في المذهب. فقد روي أن الإمام القدوري -رحمه الله- لما

١- (ت: ١٢٣٨هـ)

٢- هو حسين بن علي بن جعفر القاضي، من كبار الفقهاء، أخذ عن أبي نصر محمد بن سهل، وأخذ عنه قاضي القضاة محمد بن علي الدامغاني وغيره، له كتاب ضخم في أخبار أبي حنيفة وأصحابه. و"الصيمري": نسبة إلى "صيمر" كحيدر، نهر بالبصرة.

صنف هذا الكتاب حمله إلى بيت الله الحرام، وعلقه بأستاره، وسأل الله تعالى أن يبارك له فيه، فاستجيب له، وجعله مباركا. ولذا حُفَّ بالشروح والتعليقات حتى بلغ عددها مائة شرح أو يزيد، ومنها:

أ) شرح الأقطع[١].

ب) شرح فخر الإسلام البزدوي.

ج) شرح بكر خواهر زاده.

د) "ملتمس الإخوان شرح مختصر القدوري"، لأبي المعالي عبد الرب بن منصور الغزنوي[٢].

هـ) "إيضاح مختصر القدوري"، لأبي الفضل الكرماني.

و) "خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل"، لحسام الدين علي بن أحمد الرازي.

ز) "زاد الفقهاء"، لأبي المعالي الإسبيجابي[٣].

ح) "الجوهرة النيرة"، من أشهر شروح القدوري وأكثرها تداولا.

ط) "السراج الوهاج للطالب المحتاج"، كلاهما لأبي بكر الزبيدي[٤].

ي) "جامع المضمرات والمشكلات في شرح مختصر القدوري"، ليوسف بن عمر الكادوري[٥].

١- هو أحمد بن محمد بن محمد الفقيه، المعروف بالأقطع (كان أقطع اليد) تفقه على القدوري، وشرح مختصره. (ت: ٤٧٤هـ) ر: الجواهر.

٢- توفي نحو سنة ٥٠٠هـ.

٣- هو محمد بن أحمد بن يوسف، بهاء الدين، المتوفى بعد سنة ٦٣٠هـ.

٤- هو أبو بكر بن علي بن محمد، أبو العتيق، رضي الدين الحداد العبادي الحنفي، الشهير بصنعته، إمام فقيه عابد متزهد، تفقه على والده، وعلى الإمام أبي الحسن بن نوح الأنوي وغيره، وتفقه عليه جماعة، وله مصنفات منها: تفسير القرآن سماه "كشف التنزيل عن تحقيق التأويل"، و"شرح مختصر القدوري" وغير ذلك. (ت: ٨٠٠هـ) ر: تاج التراجم.

٥- الصوفي، شيخ كبير وعالم نحرير، جمع علمي الحقيقة والشريعة، وهو أستاذ فضل الله صاحب "الفتاوى الصوفية". ر: الفوائد البهية. قلت: توفي بعد سنة ٨٣٢هـ.

ك) "الترجيح والتصحيح على القدوري"، لقاسم بن قطلوبغا[1].

ل) وشرح هذا المختصر المبارك الإمام علاء الدين السمرقندي[2]، ورتبه بترتيب بديع، وضبط فطري، وبسط وزاد، وسماه "تحفة الفقهاء"، وهو كاسمه تحفة تجذب. ثم إن تلميذ العلاء السمرقندي العلاء الكاساني[3] الملقب بـ "ملك العلماء" -رحمهما الله- أكمل ترتيب "التحفة"، وبسط كتابه وشرحه بأحسن أسلوب، وترتيب عجيب لم ير مثله، وعلل ودلل المسائل بأحسن تعليل وتدليل، وسماه بـ"بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، فجاء كاسمه من بدائع الكتب، لا نظير له في الفقه الإسلامي من حيث جامعيته وحسن ترتيبه وضبطه، فهو من الموسوعات الكبار، ولما أتمه عرضه على شيخه مصنف "التحفة" فاستحسنه، وزوجه ابنته فاطمة[4]، وجعل مهرها منه

١- هو قاسم بن قطلوبغا، الزين، أبو العدل، السودوني -نسبة لمعتق أبيه- القاهري الجمالي الحنفي، أخذ عن السراج قارئ الهداية، ولازم ابن الهمام (صاحب فتح القدير)، كان إماما علامة قوي المشاركة في الفنون واسع الباع، طلق اللسان، مغرما بالانتقاد -ولو لمشايخه- له "منية الألمعي في ما فات الزيلعي"، و"تبصرة الناقد في كيد الحاسد" في الدفع عن أبي حنيفة وغير ذلك. (ت: ٨٧٩هـ) ر: القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي، علم رقم: ٦٠٤. وقال الشيخ محمد يوسف البنوري -رحمه الله- في "معارف السنن" -عن أمالي الشيخ أنور شاه الكشميري، رحمه الله- في مبحث وضع اليدين تحت السرة: "قطلوبغا لغة تركية مركب توصيفي، وقطلو -بضم القاف- معناه: الذكي، وبغا -بالضم-: الفحل، فمعنى المركب: الفحل الذكي.

٢- هو محمد بن أحمد بن أبي أحمد، صاحب "تحفة الفقهاء"، شيخ صاحب "البدائع"، إمام جليل القدر، تفقه على أبي المعين المكحولي، وعلى صدر الإسلام البزدوي. (ت: ٥٤٠هـ) ر: الفوائد البهية. قلت: سمرقندينا هذا وغزالي الشافعية -صاحب إحياء علوم الدين- قد ذهبا بحسن الترتيب وبداعته في الأولين والآخرين. و"تحفة الفقهاء" داخل في المقرر الدراسي في جامعتنا.

٣- هو أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، مصنف البدائع، تلميذ صاحب "التحفة" المذكور قبله، ونسبته إلى "الكاسان" بلدة وراء الشاش بها قلعة حصينة. (ت: ٥٨٧هـ) ر: الجواهر.

٤- هي فاطمة الفقيهة العلامة ابنة صاحب التحفة، وزوجة صاحب البدائع، تفقهت على أبيها وحفظت "تحفته"، وكان زوجها يخطئ فتردها إلى الصواب، وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط أبيها، فلما تزوجت بصاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها، هكذا في الفوائد البهية. وقالت السيدة زينب فواز العاملية في كتابها "الدر المنثور في طبقات ربات الخدور" ما ملخصه: الفقيهة العالمة بعلم الفقه والحديث أخذت العلم عن جملة من كبار القوم، كان لها حلقة تدريس، كانت من الزهد على جانب، ألفت المؤلفات العديدة، وكان الملك العادل نورا لدين يستشيرها في أموره، توفيت بحلب وقبرها هناك مشهور بقبر المرأة وزوجها. انتهى

ذلك، فقيل: "شرح "تحفته" وتزوج ابنته".

٤- أبو الفضل عبد الله بن مودود الموصلي، وسمى مختصره بـ"المختار"، وشرحه بنفسه وسماه "الاختيار لتعليل المختار"، وشرح بنحو ستة عشر شرحا ما عدا شرح المصنف.

٥- حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي[1]. وكان من أمره في هذا المضمار أن صنف أولا متنا جمع فيه بين مسائل الجامعين، والزيادات، ومسائل المختصر للإمام القدوري، ونظم الخلافيات لأبي حفص النسفي، ومسائل الفتاوى والواقعات، ووسمه بـ "الوافي".
فخرج كتابه أكمل موسوعة في المذهب، وشرحه بنفسه وسماه بـ "الكافي"، وهو المعروف بـ "كافي النسفي" ثم لخص "الوافي" بنفسه وسماه بـ "كنز الدقائق" فهو في الواقع كنز من الكنوز. وشرحه الكثيرون، وأبسط شروحه شرح العلامة ابن نجيم المسمى "البحر الرائق"، وشرحه أيضا أخو صاحب البحر وسماه "النهر الفائق" ولم يرزق من القبول كالبحر. وله مناقشات على شرح أخيه، وكلاالأخوين لم يقدّر لهما تكميل شرحيهما، فصاحب البحر وصل إلى آخر "باب الإجارة الفاسدة"، وصاحب النهر وصل إلى "باب كتاب القاضي إلى القاضي" من كتاب القضاء. قال في "كشف الظنون": ولما وصل مؤلفه [يعني مؤلف النهر] إلى "فصل الحبس" من كتاب القضاء حُبِس عن إتمامه.آهـ وقد ناف العمل على "الكنز" على مائة كتاب بين نظم وشرح لشروحها وتلخيص لها وحاشية عليها.

٦- تاج الشريعة محمود المحبوبي[2]، اختصر مسائل "الهداية"، وسماه "وقاية الرواية في مسائل الهداية"، واختصر هذا المختصر حفيده صدر الشريعة الأصغر المحبوبي[3] في "النقاية"، فـ"النقاية"

١- هو أحد الزهاد المتأخرين صاحب التصانيف المفيدة في الفقه، منها: "المستصفى" في شرح المنظومة، و"الوافي" و"الكافي"، و"الكنز"، و"المناران": منار في أصول الفقه، ومنار في أصول الدين، و"العمدة" وغير ذلك. تفقه على شمس الأئمة الكردري. (ت: ٧٠١هـ) ر: الجواهر.

٢- هو محمود بن أحمد بن عبيد الله، أخذ العلم عن أبيه صدر الشريعة أحمد، عالم نحرير كامل، بحر زاخر، حبر فاخر، صاحب التصانيف الجليلة، منها: "الوقاية" انتخبها من "الهداية"، وشرح الهداية المسمى بـ"الكفاية". ر: الفوائد البهية.

٣- هو عبيد الله بن مسعود بن محمود، عالم محقق، وحبر مدقق، من تصانيفه: "التنقيح" في أصول الفقه، وشرحه "التوضيح"، و"شرح الوقاية"، و"مختصر الوقاية." (ت: ٧٤٧هـ) ر: تاج التراجم، والفوائد البهية.

أشهر من أصله، قبله أرباب البداية والنهاية.

وعمل على المختصر ومختصر المختصر الكثيرون، وهم فيهما بين شارح ومحش وناظم.

٧- محمد بن عبد الله التمرتاشي[١]، ألف متنا جامعا دقيقا وسماه "تنوير الأبصار وجامع البحار"، شرحه الكثيرون والمصنف بنفسه أيضا. وأشهر شروحه شرح العلاء الحصكفي[٢] المسمى بـ "الدر المختار"، شرحه أولا شرحا بسيطا موسوما بـ "خزائن الأسرار وبدائع الأفكار"، قدّره في عشر مجلدات، وقبل أن يكمله بدا له أن يختصره ففعل، وسماه "الدر المختار في شرح تنوير الأبصار".

ثم إن خاتمة المحققين ابن عابدين -رحمه الله-[٣] صنف حاشية جيدة ممتازة تكاد تتسنم ذرى الشهرة بين كتب الفترة المتأخرة، على "الدر المختار" وسماها "رد المحتار على الدر المختار في شرح تنوير الأبصار"، التزم فيها مراجعة الأصول والمآخذ، وتقابل الأقوال، والتصحيحات والترجيحات، فصارت مدارا للفتوى بين أهل المذهب في الزمن الحاضر، رغم أن المؤلف وافته المنية قبل أن يتم تأليفه فأكمله ابنه محمد علاء الدين ابن عابدين -رحمهما الله- وسماه "قرة عيون الأخيار". وعلى حاشية ابن عابدين تقريرات للرافعي المصري[٤] المسماة "التحرير المختار لرد المحتار على الدر المختار في شرح تنوير الأبصار".

١- هو محمد بن عبد الله بن أحمد الخطيب الغزّي الحنفي المذهب، رأس الفقهاء في عصره، إمام فاضل قوي الحافظة كثير الاطلاع، تفقه على الزين بن نجيم صاحب البحر وغيره، وألف التآليف العجيبة المتقنة منها: "تنوير الأبصار"، رزق فيه السعد، فاشتهر في الآفاق، و"شرح مختصر المنار"، و"حاشية على الدرر والغرر." (ت: ١٠٠٤هـ) ر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، علم رقم: ٩٦٤ .

٢- هو محمد بن علي بن محمد، الملقب علاء الدين الحصني الأصل، الدمشقي، مفتي الحنفية بدمشق، وصاحب التصانيف الفائقة في الفقه وغيره. أخذ عن والده وعن الخير الرملي وغيرهما، من تصانيفه: "إفاضة الأنوار شرح المنار"، و"الدر المنتقى شرح ملتقى الأبحر." (ت: ١٠٨٨هـ) ر: خلاصة الأثر، علم رقم: ٩٩٥.

٣- هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن عابدين الشامي، أخذ عن السيد محمد شاكر السالمي العقاد وغيره، تنيف مؤلفاته على عشرين، منها: "عقود رسم المفتي" منظومة في آدب المفتي، وشرحها. (ت: ١٢٥٢هـ) ر: الأعلام، ومقدمة رد المحتار.

٤- هو عبد القادر بن مصطفى بن عبد القادر البيساري الرافعي، فقيه حنفي، من علماء الأزهر، له "حاشية على الأشباه والنظائر". (ت: ١٣٢٣هـ) ر: الأعلام.

ولعل من أشهر هذه المتون متنا: "الكتاب" للقدوري، و"الكنز" للنسفي -رحمهما الله-.

ومن جمع بين متنين فصاعدا:

١- الإمام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني -رحمه الله- جمع بين مسائل "الجامع الصغير" للإمام محمد -رضي الله عنه- ومسائل "الكتاب" للإمام القدوري -رحمه الله- ووسمه بـ "بداية المبتدي"، ثم شرحه بنفسه -رحمه الله- بـ"كفاية المنتهي"، فجمع وأوعى، ثم لما أحس بقصور الهمم اختصره في "الهداية"، ورزق له فيها القبول، وجعلت فيها البركات، حتى صار كتابا مخدوما بالنهاية، مقبولا للغاية، يدور القوم حوله شرحا وتعليقا وتخريجا، وعولوا على شروحها في الفتوى في المذهب[١].

٢- الإمام أحمد بن علي الساعاتي[٢]، جمع بين مسائل "مختصر القدوري" و"منظومة النسفي"[٣] مع زيادات، ورتبه فأحسن ترتيبه، وأبدع في اختصاره، ويذكر في آخر كل باب ما شذ عنه من المسائل المتعلقة بذلك الباب، وسماه "مجمع البحرين وملتقى النهرين"، وشرح بنحو خمسة عشر شرحا.

٣- إبراهيم بن محمد الحلبي[٤]، جمع بين المتون الأربعة: "القدوري" و"المختار" و"الكنز" و"الوقاية"، ونبذة من مسائل "الهداية" ومسائل "المجمع"، وسماه "ملتقى الأبحر". خدم بنحو خمسين شرحا. فأنت ترى ارتباط هذه الأسفار بعضها ببعض ارتباطا اعتماديا، يعود بها إلى الأصول.

١- سيأتيك التفصيل عن الهداية في الفصل العاشر إن شاء الله تعالى.

٢- هو أحمد بن علي بن ثعلب البعلبكي أصلا، والبغدادي منشأ، كان أبوه يعمل الساعات المشهورة على باب المستنصر ببغداد، أخذ عن علي بن سنجر، له "مجمع البحرين" و"البديع في أصول الفقه"، كانت له بنت مسماة بفاطمة تفقهت على أبيها وأخذت عنه "مجمع البحرين"، وكانت تكتب تعليقا حسنا. (ت: ٦٩٤هـ) ر: الفوائد البهية.

٣- وهي في الخلافيات.

٤- خطيب جامع السلطان محمد خان بالقسطنطينية، كان عالما بالعلوم العربية والتفسير والحديث، والفقه، وأصوله. (ت: ٩٥٦هـ)

ومن الجوامع الكبار:

أ-"المحيط الرضي"[١]، لرضي الدين السرخسي. وذكر في مقدمته: أنه جمع فيه عامة مسائل الفقه، ورتبه على أنه بدأ كل باب بمسائل الأصول، وأردفها بمسائل النوادر، ثم أعقبها بمسائل الفتاوى.

ب- "المحيط البرهاني"، لبرهان الدين البخاري ابن الصدر السعيد، جمع فيه بين ظاهر الروايات ونوادرها. ثم عند إطلاق "المحيط" في كتب أصحابنا ينصرف إلى الثاني.

ومن الفتاوى:

١- "الفتاوى الولوالجية"، لعبد الرشيد الولوالجي[٢].

٢- "الفتاوى السراجية"، لسراج الدين الأوشي[٣].

٣- "الفتاوى الخانية"، للإمام قاضي خان.

٤- "الفتاوى الطرسوسية"، لنجم الدين إبراهيم بن علي الطرسوسي[٤].

٥- "الفتاوى التاتارخانية"، لعالم بن العلاء الحنفي[٥]، جمع فيه مسائل "المحيط البرهاني" و"الذخيرة" و"الخانية" و"الظهيرية".

١- لم يزل هذا الكتاب الجيد المتين الرصين في ظلمات المخطوطات -قيض الله من يخرجه منها- وتوجد صورة من مخطوطته عند الشيخ الوالد في مجلدين لكنها ناقصة، ليست فيها عدة كتب.

٢- هو عبد الرشيد بن أبي حنيفة بن عبد الرزاق الولوالجي، أبو الفتح، من "ولوالج" بلدة من طخارستان بلخ، سكن سمرقند، ومات بعد ٥٤٠هـ. ر: تاج التراجم.

٣- هو علي بن عثمان الأوشي، الإمام العلامة صاحب القصيدة المشهورة في أصول الدين ستة وستون بيتا، أولها:

يقول العبد في بدء الأمالي لتوحيد بنظم كاللآلي ر: الجواهر.

٤- أبو إسحاق الدمشقي، ولي قضاء القضاة بدمشق بعد والده، فأفتى ودرس وشيد وأسس. له: "الفتاوى الطرسوسية" وكتاب "الإعلام في مصطلح الشهود والحكام" وغير ذلك. (ت: ٧٥٨هـ) ر: تاج التراجم.

٥- هو الإمام العالم الكبير فريد الدين عالم بن العلاء الإندربتي الهندي، أحد العلماء المبرزين في الفقه والأصول العربية، له "الفتاوى التاتارخانية" صنفه للأمير تاتارخان، وسماه باسمه، ويسمى أيضا بـ "زاد المسافر" .(ت: ٧٨٦هـ) ر: نزهة الخواطر: علماء القرن الثامن، علم رقم: ١٣٠ .

٦- "الفتاوى البزازية"، لمحمد بن محمد البزازي[١]، كتاب جامع لخص فيه زبدة مسائل الفتاوى والواقعات من الكتب المختلفة، ورجح ما ساعده الدليل، وذكر الأئمة أن عليه التعويل، وسماه "الجامع الوجيز".

٧- "الفتاوى القاسمية"، للشيخ قاسم بن قطلوبغا.

٨- "الفتاوى الخيرية"، لخير الدين الرملي[٢].

٩- "الفتاوى الهندية"، وهي المعروفة أيضا بـ "الفتاوى العالمكيرية"، نسبة إلى السلطان محمد أورنك زيب عالمكير[٣] الذي أمر بتأليفها، وأسند القيام بذلك إلى الشيخ نظام الدين البرهانبوري.

١- هو محمد بن محمد بن شهاب الكردري الخوارزمي المعروف بالبزازي. (ت: ٨٢٧هـ) ر: الفوائد البهية.

٢- هو خير الدين بن أحمد بن نور الدين الأيوبي العليمي الرملي، الإمام المفسر المحدث الفقيه اللغوي النحوي البياني، شيخ الحنفية في عصره، وصاحب الفتاوى السائر، وله غيرها من التآليف، منها: حواشيه على "البحر"، و"الزيلعي"، و"جامع الفصولين". (ت: ١٠٨١هـ) ر: خلاصة الأثر، علم رقم: ٤١٠ .

٣- هو سلطان الهند العالم العلامة الصوفي الملك القائم بنصرة الدين، محمد أورنكزيب بن شاه جهانكير، نشأ وربي في حضن الإمارة، وأخذ العلم عن الشيخ عبد اللطيف السلطان فوري، والشيخ هاشم الكيلاني وعن غيرهما، وتعلم الخط النسخ، والخط النستعليق، وقبل جلوسه على عرش المملكة كتب مصحفا بخطه، وأرسله إلى مكة المكرمة، وبعد ماجلس عليه كتب مصحفا أيضا، وبذل في تجهيزه وتجليده سبعة آلاف روبية، ثم أرسله إلى المدينة المنورة، وكتب أيضا بخطه "الألفية" في النحو لابن مالك، وأرسلها إلى مكة المكرمة، وكانت بيعته في الطريقة الصوفية على يد الشيخ معصوم بن الشيخ أحمد السرهندي -رحمهم الله-. قال في "سلك الدرر": "كان موزعا لأوقاته، فوقت للعبادة، ووقت لمصالح العسكر، ووقت للشكاة، ووقت لقراءة الكتب والأخبار الواردة عليه كل يوم من مملكته، لا يخلط شيئا بشيء .... وقد ألفت في سلطنته وحسن سيرته الكتب الطويلة بالفارسية وغيرها". آهـ

توفي سنة ١١١٨هـ بعد ما استمر في إمارته خمسين سنة. وفي "مواكب الضياء": "كان قد كتب وصية من قبل، أوصى فيها: بأن ينفق أربع روبيات ونصف روبية -وهي ما بقي مما اكتسبه بيده بخياطة القلانس- فيشتري بها ما يحتاج إليه في التكفين والتدفين، وتوزيع ثمان مائة وخمس روبيات، وهي ما حصلت لي من أجرة كتابة المصاحف، على الفقراء والمساكين. آهـ ر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: حرف الميم، ومقدمة الفتاوى التاتارخانية بتعليق شبير أحمد القاسمي، ومواكب الضياء من رياض العلماء: ٤٤٨/٢.

قلت: الله أكبر ما ظننت أن في ملك الله تعالى مثل هذا الملك يظهره للناس، لقد اقشعر جلدي، وأصر علي قلمي فلم يتركني حتى أطلت، وماكنت أريد أن أطيل، فجزاه الله خير ما جزى ملكا عن رعيته. آمين.

وكان الهدف منها أن يؤلفوا كتابا جامعا لظاهر الروايات التي اتفق عليها وأفتى بها رجال المذهب، ويجمعوا فيه من النوادر ما تلقته العلماء بالقبول؛ كيلا يفوت الاحتياط في العمل، والاجتناب عن الخطل والزلل. ولقد كونت لأجل تأليف هذا الكتاب لجنة من عدة علماء يرأسهم النظام المذكور، فتظافرت جهودهم فكانت نتيجة ذلك هذا الكتاب الجامع.

فلا غرو أن أصبحت هذه الفتاوى من أجلها وأنفعها في كثرة المسائل، وسهولة العبارة، وحل العقد، وأن يعد هذا الكتاب إلى اليوم من المراجع المعتبرة في الفقه الحنفي. جزى الله تعالى السلطان عالمكير وسائر أهل تلك اللجنة عنا وعن كل من ينتفع به خير الجزاء.

ذلكم التجوال العابر والرحلة السريعة، التي طفنا فيها حول رياض مصنفات المذهب الحنفي، لأهل العلم والفقه والمجد والعزيمة والوئام، الوارفة بالمسائل والأحكام، والتي ثمارها في متناول يد من كانت نيته التفقه في دين الله -جل وعلا- ومعرفة الحلال والحرام. والله هو الموفق وهو أعلم.

المبحث الثاني

في طبقات الفقهاء

لمزيد من البصيرة ينبغي أن نسرد طبقات الفقهاء بعد سرد طبقات المسائل. نقل ابن عابدين عن ابن كمال باشا[١]، قال:

لابد للمفتي أن يعلم حال من يفتي بقوله إلى أن قال: "وطبقته من طبقات الفقهاء؛ ليكون على بصيرة في التمييز بين القائلين المتخالفين، وقدرة كافية في الترجيح بين القولين المتعارضين، فنقول:

إن الفقهاء على سبع طبقات:

الأولى: طبقة المجتهدين في الشرع الشريف، كالأئمة الأربعة -رضي الله تعالى عنهم- ومن سلك مسلكهم في تأسيس قواعد الأصول، واستنباط أحكام الفروع عن الأدلة الأربعة -الكتاب والسنة والإجماع والقياس- على حسب تلك القواعد من غير تقليد لأحد، لا في الفروع ولا في الأصول [أي: اصول الاستنباط وطرقه].

الثانية: طبقة المجتهدين في المذهب: كأبي يوسف ومحمد -رضي الله عنهما- وسائر أصحاب أبي حنيفة -رضي الله عنه- القادرين على استخراج الأحكام عن الأدلة المذكورة على حسب القواعد التي قررها أستاذهم أبو حنيفة -رضي الله عنه- فإنهم وإن خالفوه في بعض أحكام الفروع، ولكنهم يقلدونه في قواعد الأصول.

الثالثة: طبقة المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب -رضي الله عنه- كالخصاف[٢]، وأبي جعفر الطحاوي، وأبي الحسن الكرخي، وشمس الأئمة الحلواني، وشمس الأئمة

١- هو أحمد بن سليمان الرومي الشهير بابن كمال باشا، أخذ عن الرجال المشهورين، منهم: المولى اللطفي، له تصانيف كثيرة، منها: متن وشرحه سماهما بـ"الإصلاح والإيضاح"، و"تجويد التجريد" وغير ذلك. (ت: ٩٤٠هـ) ر: الفوائد البهية.

٢- هو أحمد بن عمرو بن مُهَيْر، أبو بكر الخصاف الشيباني، حدث عن أبي عاصم النبيل، وأبي داود الطيالسي، وعلي بن المديني وجماعة، كان فاضلا فارضا حاسبا عارفا بمذهب أبي حنيفة، وله تصانيف منها: "كتاب أدب القاضي"، و"كتاب الشروط" الكبير والصغير، و"كتاب الوصايا". و"الخصاف" -بفتح المعجمة وتشديد الصاد المهملة- يقال لمن يخصف النعل وغيره، وكان الخصاف يأكل من صنعته. (ت: ٢٦١هـ) ر: الفوائد البهية.

السرخسي، وفخر الإسلام البزدوي، وفخر الدين قاضي خان وغيرهم، فإنهم لا يقدرون على مخالفة الإمام لا في الأصول ولا في الفروع، لكنهم يستنبطون الأحكام من المسائل التي لا نص فيها على حسب أصول قررها وقواعد بسطها.

الرابعة: طبقة أصحاب التخريج من المقلدين: كأبي بكر الرازي الجصاص -رحمه الله- وأضرابه، فإنهم لا يقدرون على الاجتهاد أصلا، لكنهم لإحاطتهم بالأصول، وضبطهم للمآخذ يقدرون على تفصيل قول مجمل ذي وجهين، وحكم محتمل لأمرين، منقول عن صاحب المذهب أو أحد من أصحابه المجتهدين، برأيهم ونظرهم في الأصول، والمقايسة على أمثاله ونظائره في الفروع.

الخامسة: طبقة أصحاب الترجيح من المقلدين: كأبي الحسن[١] القدوري، وصاحب الهداية وأمثالهما، وشأنهم تفضيل بعض الروايات على بعض بقولهم: "هذا أولى" و"هذا أصح رواية" و"هذا أوضح" وهذا أوفق للقياس" و"هذا أرفق للناس".

السادسة: طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين الأقوى، والقوي، والضعيف، وظاهر الرواية، وظاهر المذهب، والرواية النادرة: كأصحاب المتون المعتبرة، كصاحب "الكنز"، وصاحب "المختار"، وصاحب "الوقاية"، وصاحب "المجمع"، وشأنهم أن لا ينقلوا في كتبهم الأقوال المردودة والروايات الضعيفة [فهم حفاظ المذهب].

السابعة: طبقة المقلدين الذين لا يقدرون على ما ذكر .... هذا كلام ابن كمال باشا[٢].

١- كذا ذكرت كنية الإمام القدوري في أكثر نسخ "شرح عقود رسم المفتي" أبو الحسن، ولعله خطأ من النساخ، والصحيح: أبو الحسين.

٢- شرح عقود رسم المفتي: طبقات الفقهاء.

استدراكات على تقسيم ابن كمال باشا:

قال والدي الشيخ -حفظه الله تعالى-:

أ) ذكر ابن كمال باشا الإمامين أبا يوسف ومحمدا -رضي الله عنهما- في الطبقة الثانية، وقال: "إنهما من المجتهدين في المذهب، وإنهما لا يخالفان أبا حنيفة -رضي الله عنه- في الأصول". وليس
الأمر كذلك، بل الصحيح أنهما من المجتهدين في الشرع، كل واحد منهما مجتهد مطلق، كالإمامين مالك والشافعي -رضي الله عنهما-.

وروي عن يحي بن صالح: "أن محمد بن الحسن أفقه من مالك"[١].

ثم إنهما خالفا أبا حنيفة في كثير من المسائل، ومرا فيها على أصولهما[٢] إلا أن مذهبيهما أقرب المذاهب إلى مذهب أبي حنيفة، وأقوالهما روايات عنه -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين-. علا أن انتسابهما إليه -رضي الله عنه- مبني على التعظيم والتكريم، وفرط المحبة والإجلال، فلم تسمح أنفسهما أن يفارقا شيخهما بعد ما تفقها عليه، ويستبدا بمذهب بعد ما تخرجا عليه حتى سميت جملة أقوال الثلاثة "المذهب الحنفي".

وإنهما ما فارقاه في ما فارقاه إلا ووجدا ذلك كأمثال الجبال، فقد قال أبو يوسف: "ما فارقته -يعني أبا حنيفة- في مسألة إلا وأجد في قلبي أمثال الجبال من الضعف والريبة"[٣]. لكن الدليل اللائح لكل واحد فرق السبيل في تلك المسألة.

ب) عد ابن كمال باشا -رحمه الله- "الجصاص" من الذين لا يقدرون على الاجتهاد أصلا، ولعله خطأ، فإن كتب الجصاص تشهد على أنه -رحمه الله- من المجتهدين في المذهب، وكونه من المجتهدين في المذهب لا ينافي كونه من أصحاب التخريج. ومن اطلع على ما نصب للمسائل

١- مر قول يحي في المبحث الثالث من الفصل الثاني.

٢- نقل النووي في "تهذيب الأسماء واللغات" عن أبي المعالي الجويني: "أن كل ما اختاره المزني أرى أنه تخريج ملحق بالمذهب، لا كأبي يوسف ومحمد، فإنهما يخالفان أصول صاحبهما". آه ر: تهذيب الأسماء، اسم رقم: ٩٢٥ .

٣- مر قول أبي يوسف هذا في المبحث الثاني من الفصل الثاني.

-في تفسيره وشرح مختصر الطحاوي وغيرهما- من أدلة وتعليلات عميقة؛ تيقن بما ذكرنا. وقد شهد له شمس الأئمة الحلواني -رحمه الله-، فقال: "هو رجل كبير معروف في العلم، وإنا نقلده ونأخذ بقوله". آهـ. وقد أكثر شمس الأئمة السرخسي -رحمه الله- في كتبه النقل عنه، والاستشهاد به والمتابعة لآرائه[١].

ج) عد ابن كمال باشا "صاحب الهداية" من أصحاب الترجيح فقط، وليس كذلك بل هو من المجتهدين في المذهب، كالسرخسي وقاضي خان، وهو أقدم اجتهادا وفقها من صاحب "فتح القدير"، لا كما زعمه بعض من لم يطلع على أسرار كتابه، كيف وقد أقر له مثل الإمام قاضي خان والعتابي بالفضل والفقه.

قالت الأمة الضعيفة -لطف الله تعالى بها-: لقد التمست والدي الشيخ -لا زال مرجعنا- أن يضع لنا طبقات لفقهاء المذهب، فانقبضت نفسه وقال: "لا، لا، تلزمنا العهدة، فإن ذاك ليس بهين، فإن الأمر في ذلك ينبني على ما خلقهم الله تعالى من طبقات، وما رفعهم من درجات في العلم والفقه والفضل والعقل، وأنى لنا الوقوف على ذاك حتى نضع كلا في طبقته، وننزله في درجته، ولا مساغ للمجازفة في ذاك".

وقد لاح للأمة الضعيفة في هذا شيء مستحسن، وهو أن الأوجه أن يقال: الفقهاء على ثلاث طبقات:

الأولى: طبقة المجتهدين على الإطلاق: وهم الأئمة الأربعة، وأبو يوسف، ومحمد، وزفر ونظرائهم -رضي الله تعالى عن الجميع-.

الثانية: طبقة المجتهدين في المذهب[٢]: وهم أصحاب أبي يوسف ومحمد -رحمهما الله-

---

١- وقال ابن الهمام: هو الإمام الكبير أبو بكر أحمد بن علي الرازي -رحمه الله- .

٢- ومن هذه الطبقة في المذهب المالكي، مثل: ابن القاسم (ت: ١٩١هـ)، وأصبغ بن الفرج (ت: ٢٢٥هـ)، وأشهب بن عبد العزيز (ت: ٢٠٤هـ) وأضرابهم.

وفي المذهب الشافعي، مثل: المزني (ت: ٢٦٤هـ)، والربيعيين المرادي (ت: ٢٧٠هـ) والجيزي (ت: ٢٥٦هـ)، والقفالين الكبير الشاشي (ت: ٣٦٥هـ) والصغير المروزي (ت: ٤١٧هـ) ونظرائهم. -

وأصحاب أصحابهما، وهلم جرا. فمن أصحابهما مثل: عصام بن يوسف، وابن رستم، وابن سماعة، وأبي سليمان الجوزجاني.

ومن بعدهم مثل: محمد بن سلمة، ومحمد بن مقاتل، والقاسم بن سلام أبي النصر. ومن بعدهم مثل: الأحمدِين الثلاثة: أحمد الطحاوي، وأحمد الخصاف، وأحمد الجصاص، والكرخي، ومحمد بن يحيي الجرجاني، وتلميذه القدوري، وشمسي الأئمة: الحلواني وتلميذه السرخسي، والأخوين البزدويين: أبي اليسر وأبي العسر، والعلائين: السمرقندي صاحب التحفة، وتلميذه الكاساني صاحب البدائع، وقاضي خان، وتلميذه الحصيري، وصاحب الهداية، وصاحب الخلاصة طاهر بن أحمد البخاري وهكذا ....

ومن شأن المجتهد في المذهب: الاجتهاد في أحكام النوازل حسب الأصول الموضوعة، والقواعد المقررة للأئمة، والاعتبار فيها بالأمثال، والتخريج والترجيح بين الروايات عن الأئمة.

ولا ينبغي أن يجعل المجتهدون في المذهب طبقة، والمجتهدون في المسائل طبقة أخرى، والمخرجون طبقة برأسها، ولا يمكن أن يبنى هذا إلا على خرص وتخمين. قال الشيخ الوالد -حفظه الله تعالى-: "لأن استخراج المسائل من دلائل الشرع وفق أصول الأئمة، وتخريج القول المبهم، والترجيح من بين أقوالهم المختلفة، كل هذا اجتهاد في المذهب ولابد له من قوة الفقاهة والاجتهاد سواء بسواء، بل قد يكون الترجيح أو التخريج أصعب وأعسر، واستخراج المسائل أسهل وأيسر، فمن جعله الله -جل وعلا- فقيه التخريج أو الترجيح يكون فقيها في المسائل، ومن جعله فقيه المسائل يكون فقيه الترجيح والتخريج".

الثالثة: طبقة حفاظ المذهب ونقلته الذين لم يبلغوا درجة الاجتهاد، المتفاوتين في العلم والفقه، بين فقيه النفس وفقيه الأسفار، وثقة في الرواية وضعيف، وكامل في الدراية وقاصر، وكل كانوا صالحين.

- وفي المذهب الحنبلي، مثل: الخلال (ت: ٣١١هـ)، وغلامه (ت: ٣٦٣هـ)، وخاتمة المتقدمين الحسن بن حامد (ت: ٤٠٣هـ)، ومنهم في الطبقة المتوسطة: جل آل أبي يعلى، وجل البيوتات الآتية: آل قدامة المقادِسة، وآل تيمية، وآل مفلح، وآل منده -وهذا البيت بدأ بيحيي وختم بيحيي- وغيرهم من البيوتات الحنبلية.

ومن نقلة المذهب المتقنين: صاحب الكنز، وصاحب المختار، وصاحب الوقاية، وحفيده صاحب النقاية، وصاحب مجمع البحرين، وصاحب ملتقى الأبحر، وابنا نجيم: صاحب البحر، وصاحب النهر، وصاحب التنوير، وصاحب تحفة الملوك[1] وأكثر المصنفين في المذهب من أصحاب المتون والشروح بعد المائة السادسة. ومن حافظات المذهب فاطمة ابنت العلاء السمرقندية[2].

١- هو محمد بن أبي بكر بن عبد القادر بن عبد الرحمن، الرازي الأصل، الدمشقي المولد، أبو عبد الله الحنفي. ر: المقفى الكبير للمقريزي، علم رقم: ١٩٢١، وتاج التراجم. قلت: توفي بعد سنة ٦٦٦هـ، وهو صاحب مختار الصحاح.

٢- تقدمت ترجمتها.

تتمة

في شمول الفقه لجميع الجهات من الحياة الإنسانية

وأنواعه بالنسبة إلى تلك الجهات

لا شك أن حياة الإنسان متعددة الجوانب، وأن سعادة الإنسان تقتضي رعاية هذه الجوانب كلها بالتنظيم والتشريع.

ولما كان الفقه الإسلامي هو عبارة عن الأحكام التي شرعها الله -جل وعلا- لعباده، رعاية لمصالحهم، ودرأ للمفاسد عنهم، جاء هذا الفقه ملما بكل هذه الجوانب، ومنظما بأحكامه جميع ما يحتاجه الناس، فينبغي أن نذكر أنواع الفقه الشاملة إلى تلك الجهات؛ تتميما لما سبق، وهي تتنوع إلى سبع زمر، وإليك بيان ذلك:

الزمرة الأولى:

الأحكام المتعلقة بعبادة الله تعالى من وضوء وصلاة وصيام وغير ذلك، وتسمى هذه الأحكام "العبادات".

الزمرة الثانية:

الأحكام المتعلقة بالأسرة من زواج وطلاق، ونسب، ورضاع، ونفقة، وإرث وغيرهما، وتسمى "الأحول الشخصية".

الزمرة الثالثة:

الأحكام المتعلقة بأفعال الناس ومعاملة بعضهم بعضا، من شراء، وبيع، ورهن، وإجارة، ودعاوى، وبينات، وقضاء وغير ذلك ..... وتسمى "المعاملات".

الزمرة الرابعة:

الأحكام المتعلقة بواجبات الحاكم من إقامة العدل، ودفع المظالم، وتنفيذ الأحكام، وواجبات المحكوم من طاعة في غير معصية وغير ذلك، وتسمى الأحكام السلطانية.

الزمرة الخامسة:

الأحكام المتعلقة بعقاب المجرمين، وحفظ الأمن والنظام مثل: عقوبة القاتل، والسارق، والزاني وغير ذلك ..... وتسمى "العقوبات" أو "الأحكام الجنائية".

الزمرة السادسة:

الأحكام التي تنظم العلاقة الإسلامية بالدول الأخرى من حيث الحرب والسلم وغير ذلك .... وتسمى "السير".

الزمرة السابعة:

الأحكام المتعلقة بالأخلاق والحشمة، والمحاسن، والمساوي وغير ذلك .... وتسمى "الآداب والأخلاق".

إلى هذا انتهى الفصل الثالث والله تعالى أعلم.

الفصل الرابع

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول

في شهادات أئمة الأمة

لإمام دار التنزيل مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وثنائهم عليه

هو الإمام العلم الحجة إمام دار الهجرة، ثاني أساطين السنة الأربعة، صاحب المذهب المالكي، أبو عبد الله مالك بن أنس الحميري ثم الأصبحي[١]، حليف بني تيم بن مرة من قريش، المولود بذي المروة[٢] سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على الأصح، والمتوفى بالمدينة والمدفون بالبقيع سنة تسع وسبعين ومائة، وعاش ستا وثمانين.

وهو من تابعي التابعين، كان طويلا عظيم الهامة، أصلع، أبيض الرأس واللحية، أبيض شديد البياض إلى الشقرة، أعين، أشم، أزرق العينين. لقد كثر الثناء على مالك -رضي الله عنه- في كل ما هو أهل له كثرة سبق بها أشياخه وأمثاله، فقد قال الحافظ الذهبي:

"وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره:

أحدها: طول العمر وعلو الرواية.

وثانيها: الذهن الثاقب، والفهم، وسعة العلم.

وثالثها: اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية.

ورابعها: تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن.

وخامسها: تقدمه في الفقه والفتوى، وصحة قواعده".

١- نسبة إلى الملك ذي الأصبح -بفتح الهمزة والباء الموحدة- وهو من حمير سبأ.

٢- ذو المروة: قرية بوادي القرى، ووادي القرى: بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة.

وقد أخرج أحمد في "المسند" والترمذي والنسائي في "سننهما"، حديثا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «يوشـك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة». [١] يقول الترمذي هذا حديث حسن.

وقد اختلف الناس في من هو المقصود بهذا الحديث؟ يقول الترمذي: -رحمه الله-: "عن ابن عيينة، أنه قال في هذا حين سئل: من عالم المدينة؟ فقال: مالك بن أنس، وقال إسحاق بن موسى: سمعت ابن عيينة يقول: هو العمري عبد العزيز بن عبد الله الزاهد[٢] (من ولد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-)، وسمعت يحي بن موسى يقول: قال عبد الرزاق: هو مالك بن أنس". آهـ[٣]

○ أثنى على مالك -رضي الله عنه- وشهد له شيخه ابن شهاب الزهري، فقال لمالك: "أنت من أوعية العلم، وإنك لنعم مستودع العلم".

○ قال الإمام جعفر الصادق -رضي الله عنه -شيخ مالك- حين سأله قوم في مرضه الذي توفي فيه أن ينصب لهم رجلا يرجعون بعده إليه في أمر دينهم: "عليكم بالميمون المعان المبارك في الإسلام المتتبع آثار رسول الله -صلى الله عليه وسلم-فقد امتحنته فوجدته فقيها فاضلا متبعا فريدا، لا يميل به الهوى، ولا تزدريه الحاجة، ولا يروي إلا عن أهل الفضل .... أحذركم فقد أرشدتكم إلى رجل نصبته لكم، فإنه أمين مودود في زمانه. قالوا من هو؟ بينه لنا. قال: ذلك مالك بن أنس، عليكم بقول مالك .... ".

○ أبو حنيفة -رضي الله عنه- لما قيل له: كيف رأيت علماء المدينة؟-: "رأيت بها علما

١- أخرجه أحمد برقم: ٧٩٦٧، والترمذي برقم: ٢٦٨٠، وقد صححه عياض في "المدارك" واستقصى ألفاظه وطرقه، فانظره إن شئت.

٢- اعلم أن المطبوع في نسخ "الترمذي" أن اسم الزاهد العمري عبد العزيز بن عبد الله، والصحيح أن العمري هو ابنه، وهو عبد الله بن عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي العمري -رضي الله عنهم-. والله أعلم. راجع: تهذيب التهذيب، ترجمة رقم: ٣٥٥٨، وسير أعلام النبلاء: ٨/ ٣٧٣، ترجمة رقم: ١١١.

٣- وهؤلاء كلهم معاصرون لمالك إلا عبد الرزاق فتلميذه. ع:

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأقران

مبثوثا، فإن جمعها أحد فالغلام الأبيض الأحمر".

○ سفيان بن عيينة: "ما نحن ومالك؟ إنا كنا نتبع آثار مالك، فإن أخذ عن الشيخ أخذنا عنه".

○ عنه أيضا: "مالك سيد أهل المدينة".

○ عنه أيضا: "مالك سيد المسلمين".

○ الليث بن سعد: "علم مالك علم تقي، مالك أمان لمن أخذ عنه من الأنام".

○ أبو يوسف القاضي -صاحب أبي حنيفة -رضي الله عنهما-: "ما رأيت أعلم من ثلاثة: مالك وابن أبي ليلى[1] وأبي حنيفة -رضي الله عنهم-.

○ الإمام الشافعي: "إذا ذكر العلماء فمالك النجم". إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾[2].

عنه أيضا: "مالك حجة الله تعالى على خلقه بعد التابعين".

○ عنه أيضا: -لما قيل له : رأيت أحدا ممن أدركت مثل مالك بن انس؟-: "من تقدمنا في السن والعلم يقولون: لم نر مثل مالك، فكيف نرى مثله؟"

○ الإمام أحمد: "رحمة الله على مالك، القلب يسكن إلى حديثه وإلى فتياه، وحقيق أن يسكن إليه، مالك عندنا حجة؛ لأنه شديد الاتباع للآثار التي عنده".

○ يحي بن سعيد القطان: "ما أقدم على مالك في زمانه أحدا".

○ عبد الله بن المبارك: "لو قيل لي: اختر للأمة إماما لاخترت لها مالكا".

○ عبد الرحمن بن مهدي[3]: "أئمة الناس في زمانهم أربعة: سفيان الثوري بالكوفة، ومالك

١- هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه، روى عن الشعبي وعطاء وطائفة، وكان أبوه من كبار التابعين فلم يدرك الأخذ عنه، روى عنه السفيانان وخلائق. (ت: ١٤٨هـ) ر: تذكرة الحفاظ ترجمة رقم: ١٦٥.

٢- النحل: ١٦ .

٣- هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان، أبو سعيد العنبري، البصري، الحافظ الإمام العلم، روى عن مالك وشعبة وأمثالهما. قال فيه ابن المديني: "عبد الرحمن بن مهدي أعلم الناس". وقال: "لو حُلِّفْت بين الركن والمقام لحلفت بالله إني لم أر أحدا قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن". (ت: ١٩٨هـ) ر: تهذيب التهذيب.

بالحجاز، والأوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة".

- ابن وهب: "لو لا أن الله استنقذنا بمالك والليث لضللنا".
- يحي بن معين: "مالك من حجج الله تعالى على خلقه، إماما من أئمة المسلمين، مجمعا على فضله".
- النووي: "أجمعت طوائف العلماء على إمامة مالك -رضي الله عنه-".

من شيوخ مالك رضي الله تعالى عنه

أدرك مالك من الشيوخ تسع مائة شيخ، ثلاث مائة من التابعين، وست مائة من تابعيهم .... وما نحن بسبيل إحصائهم هنا، وحسبنا أن نذكر منهم المشهورين، وهم:

١- أيوب السختياني -رحمه الله-.

٢- ربيعة الرأي[١]. لقد كان مالك يجل شيخه ربيعة كل الإجلال، فهو لا يتكلم في مجلسه، ولا يبادر بالجواب إذا سئل، وإذا دعاه السلطان لا يذهب إليه إلا بعد استشارته.

٣- عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي[٢].

٤- عبد الرحمن بن هرمز[٣]، أول شيخ اختلف إليه مالك.

٥- أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي[٤].

٦- محمد بن شهاب الزهري. قال مالك :"وكنا نزدحم على درج ابن شهاب حتى يسقط بعضنا على بعض".

١- هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ، الإمام أبو عثمان التيمي الفقيه، روى عن أنس وغيره، وروى عنه سفيان ومالك وخلق، كان فقيها مجتهدا بصيرا بالرأي، ولذلك يقال: له ربيعة الرأي. (ت: ١٣٦هـ) ر: تذكرة الحفاظ ترجمة رقم: ١٥٣ . قلت: ربيعة الرأي هو الذي أراده مالك بقوله في الموطأ: "أخبرني الثقة". والله أعلم.

٢- من سادات أهل المدينة علما وفقها وديانة ورواية. ت: ١٢٦هـ.

٣- هو الأعرج، من التابعين، روى عن عدة من الصحابة. (ت: ١١٦هـ)

٤- تابعي، روى عن أنس وغيره. (ت: ١٣٠هـ)

٧- نافع مولى ابن عمر -رضي الله عنهما-. وقال البخاري[1]: "أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر".

وقال مالك: "كنت آتي نافعا نصف النهار وما تظلني الشجر من الشمس، أتحيّن خروجه، فإذا خرج أدعه ساعة، كأني لم أره، ثم أتعرض له فأسلم عليه، وأدعه حتى إذا دخل البلاط أقول له: كيف قال ابن عمر في كذا وكذا؟ فيجيبني.

وكان مالك يقود نافعا من منزله إلى المسجد، وكان قد كف بصره فيسأله فيحدثه، وكان منزل نافع بناحية البقيع.

١- هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي مولاهم، أمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم-، صاحب "الجامع الصحيح" الذي لا يحتاج في التنويه به إلى الزيادة على أكثر من ذكر اسمه، الذي قد رواه عنه في حياته نحو تسعين ألفا من علماء الأقطار المتنائية، انظر لسيرته أي كتاب شئت من كتب الرجال والتواريخ، تجد ما يُثلِج صدرك.

حملة الفقه عن مالك رضي الله تعالى عنه من أصحابه وأصحاب أصحابه المشهورين

تلاميذ مالك -رضي الله عنه- كثيرون، فمنهم من روى الفقه عنه، ومنهم من روى الأحاديث، ومنهم من روى عنه الفقه والأحاديث كليهما، والذين صحبوه صحبة طويلة، رووا أحاديثه وفقهه، ونشروا مذهبه في أقطار الأرض، وهم:

١- أسد بن الفرات.

٢- أشهب القيسي[1].

٣- أصبغ بن الفرج[2].

٤- بهلول بن راشد[3].

٥- سحنون التنوخي[4].

٦- شبطون[5].

٧- عبد الرحمن بن القاسم[6].

١- هو أشهب بن عبد العزيز بن داود أبو عمر الجعدي المصري، من الطبقة الوسطى من أصحاب مالك، وعدد كتب سماعه عن مالك عشرون كتابا، وله "مدونة". (ت: ٢٠٤)

٢- هو أصبغ بن الفرج بن سعيد مولى عبد العزيز بن مروان، سكن الفسطاط، روى عن ابن القاسم وأشهب وغيرهما، وتفقه عليه ابن المواز وابن حبيب وغيرهما، وكان قد رحل إلى المدينة ليسمع من مالك فدخلها يوم مات، سماعه من ابن القاسم اثنان وعشرون كتابا. (ت: ٢٢٥هـ)

٣- أبو عمرو، من أهل القيروان من الطبقة الأولى من أصحاب مالك. (ت: ١٨٢هـ)

٤- هو أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، صليبة من العرب أصله شامي من حمص، لقب بسحنون باسم طائر حديد الذهن، لحدته في المسائل، سمع ابن القاسم وغيره، ولما ولي قضاء إفريقية دخل على ابنته خديجة وكانت من خيار النساء فقال لها: "اليوم ذبح أبوك بغير سكين." (ت: ٢٤٠هـ)

٥- هو زياد بن عبد الرحمن بن زياد بن زياد، روى عن مالك. (ت: ١٩٩هـ)

٦- أبو عبد الله العُتَقي، الإمام المشهور، روى عن مالك وابن الماجشون، وصحب مالكا عشرين سنة، وهو منسوب إلى العبيد الذين نزلوا من الطائف إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فجعلهم أحرارا. (ت: ١٩١هـ)

٨- عبد الله بن عبد الحكم[1].

٩- عبد الله بن وهب الإمام[2].

١٠- عبد الملك بن حبيب الأندلسي[3].

١١- عيد الملك بن الماجشون[4].

١٢- عثمان بن الحكم الجذامي المصري[5].

١٣- العتبي أبو الوليد محمد بن أحمد[6].

١٤- محمد بن عبدوس[7].

١٥- مغيرة بن عبد الرحمن المخزومي[8].

ومن تلامذة مالك الإمام محمد بن الحسن الشيباني والإمام الشافعي -رضي الله عنهما- .

١- هو عبد الله بن عبد الحكم بن أعين، أبو محمد، سمع مالكا والليث، له مختصرات: الكبير والأوسط والصغير. (ت: ٢١٤هـ)

٢- هو عبد الله بن وهب الفهري القرشي مولاهم، أبو محمد المصري، أخذ عن مالك والليث، وله "الجامع الكبير". (ت: ١٩٩هـ)

٣- أبو مروان، السلمي الأندلسي، أخذ عن أصحاب مالك، وصنف "الواضحة" وغيرها، وتبلغ مصنفاته ألفا وخمسين كتابا، لاقت رواجا عظيما في المذهب. (ت: ٢٣٨هـ)

٤- هو أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله ابن أبي مسلمة الماجشون، مولى قريش، روى عن مالك وغيره، وتفقه عليه سحنون وابن حبيب وغيرهما. و"الماجشون" مثلث الجيم معناها: المورّد، سمي بذلك جده أبو سلمة لحمرة في وجهه، له سماعات. (ت: ٢١٢هـ)

٥- من بني نضرة، وهو أول من أدخل علم مالك مصر. (ت: ١٦٣هـ)

٦- أبو عبد الله مولى لآل عتبة بن أبي سفيان، صاحب "المستخرجة من الأسمعة"، سمع سحنون وأصبغ. (ت: ٢٥٨هـ)

٧- هو محمد بن إبراهيم بن عبدوس، من أكابر أصحاب سحنون، رابع المحمدين الأربعة الذين اجتمعوا في عصر من أئمة مذهب مالك، لم يجتمع في زمان مثلهم، اثنان مصريان: ابن عبد الحكم، وابن المواز، واثنان قرويان: ابن سحنون وابن عبدوس، وهو صاحب "المجموعة" أعجلته المنية قبل تمامه. (ت: ٢٦٠هـ)

٨- من الطبقة الأولى من أصحاب مالك، كان يفتي في حياة مالك. (ت: ١٨٦هـ)

من الكتب المؤلفة في سيرة مالك ومناقبه

١- فضائل مالك بن أنس، لعبد الملك بن حبيب صاحب "الواضحة". (ت: ٢٣٨هـ)

٢- فضائل مالك بن أنس، ليوسف بن يحي بن يوسف الأزدي المُغَامي المالكي. (ت: ٢٨٨هـ) راوي "الواضحة" عن ابن حبيب.

٣- فضائل مالك، لأبي العرب محمد بن أحمد التميمي. (ت: ٣٣٣هـ)

٤- فضائل مالك، لأبي القاسم حسن بن عبد الله بن مَذحِج الزبيدي. (ت: ٣١٨هـ)

٥- فضائل مالك، لأحمد بن مروان القاضي الدينوري صاحب "المجالسة". (ت: ٣٣٣هـ)

٦- مناقب مالك، لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفرياني. (ت: ٣٠١هـ)

٧- مناقب سيدنا الإمام مالك، للشيخ أبي الروح عيسى بن مسعود الزواوي المالكي. (ت: ٧٤٣هـ)

٨- مناقب مالك، لأبي إسحاق محمود بن القاسم. (ت: ٣٥٥هـ)

٩- تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، للحافظ جلال الدين السيوطي. (ت: ٩١١هـ)

١٠- إمام دار الهجرة مالك بن أنس، للدكتور مصطفى الشكعة.

المبحث الثاني

في مراحل تدوين الفقه المالكي

ولنتعرض لمراحل تدوين الفقه المالكي وأدواره إتماما للفائدة، وللاحتياج إليها، وهي:

المرحلة الأولى

مرحلة الأمهات والدواوين، وهي أربعة:

أ) "المدونة الكبرى"، لسحنون عن ابن القاسم عن مالك -رضي الله عنهم- .

ب) "الواضحة"، لابن حبيب الأندلسي.

ج) "العُتبية"، ويقال لها: "المستخرجة من الأسمعة"[١] أيضا، للعتبي تلميذ ابن حبيب.

د) "الموازية"، لابن الموّاز المصري[٢].

ويقال: الدواوين سبعة، الأربعة الأول، و"المختلطة" لابن القاسم، و"المبسوط" للقاضي إسماعيل[٣]، و"المجموعة" لابن عبدوس القيرواني.

وذكر بعضهم أن المدونة هي نفس "المختلطة"، وعلى هذا فدواوينهم ستة.

ثم إن أم الأمهات هي "المدونة"، ولذا إذا أطلق الكتاب فإنما يريدون به "المدونة".

١- الأسمعة: أي السماعات، فالمستخرجة هي سماعات أحد عشر فقيها، ثلاثة منهم أخذوا عن مالك مباشرة، وهم: ابن القاسم، وأشهب، وابن نافع المدني، والآخرون أمثال ابن وهب ويحي الليثي وسحنون وأصبغ بالواسطة.

٢- هو محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندراني، المعروف بابن المواز، تفقه بابن الماجشون، وروى عن ابن القاسم، المعول بمصر على قوله. (ت: ٢٦٩هـ)

٣- هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل الجهضمي الأزدي، البغدادي، ناشر مذهب مالك بالعراق، له مصنفات عديدة، منها: أحكام القرآن. (ت: ٢٨٢هـ)

المرحلة الثانية

مرحلة توابع الأمهات والأعمال عليها:

وعكف أهل تونس والقيروان وأكثر اهل إفريقية على "المدونة"، وكتبوا عليها ما شاء الله أن يكتبوا، شرحا وتهذيبا وتقييدا واختصارا. وعكف أهل الأندلس على "الواضحة" و"العتبية" وكتبوا عليهما ما شاء الله أن يكتبوا.

وجمع ابن أبي زيد القيرواني[١]-الملقب بمالك الصغير- جميع ما في الأمهات من المسائل والخلاف والأقوال في كتابه "النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات" مع ما اشتمل على جميع أقوال أصحاب المذهب.

وأبو الحسن علي بن محمد اللخمي[٢] رجح ونقد واختار في "تبصرته" في ما بين الأقوال المختلفة. وكتب ابن رشد[٣] على "المستخرجة" كتابه المسمى بـ"البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة"، وجاء القاضي عبد الوهاب البغدادي[٤] فجال في المذهب وخدمه من كل زواياه بتآليفه الكثيرة المفيدة، ومن أشهرها: المختصر المسمى بـ"التلقين"، وهو على صغر حجمه من خيار الكتب وأكثرها فائدة.

وشرح "التلقين" الإمام المأزري[٥] بشرح نفيس بديع الترتيب، ليس للمالكية كتاب مثله.

وكذلك نقح مسائل المذهب الإمام ابن شاس[٦] في كتاب سماه بـ"عقد الجواهر الثمينة في

١- هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني، قطب مذهب مالك وجامعه، وملخصه والذاب عنه، وملأت البلاد تواليفه، يقال: لولا الشيخان والمحمدان والقاضيان لذهب المذهب. فالشيخان: ابن أبي زيد وأبو بكر الأبهري، والمحمدان: محمد بن سحنون، ومحمد بن المواز، والقاضيان: أبو محمد عبد الوهاب، وأبو الحسن بن القصار، من تصانيفه: "الرسالة"، و"مختصر المدونة" وغير ذلك. (ت: ٣٨٦هـ)

٢- (ت: ٤٧٨هـ)

٣- هو أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد الجد. (ت: ٥٢٠هـ)

٤- هو عبد الوهاب بن نصر البغدادي. (ت: ٤٢٢هـ)

٥- هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، أحد رجال الكمال في العلم والتأليف. (٥٢٦هـ)

٦- هو أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس. (ت: ٦١٦هـ)

مذهب عالم المدينة"، رتبه على طريقة "الوجيز" للغزالي[١] وهو من أحسن ما صنف في المذهب.

وهكذا لم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمهات بالشرح والإيضاح والجمع.

المرحلة الثالثة

مرحلة استقرار المذهب:

وفي القرن السابع الهجري صنف أبو عمرو عثمان بن الحاجب[٢] كتابه المسمى بـ"جامع الأمهات"، ويسمى بـ"مختصر ابن الحاجب الفرعي" أو "المختصر الفقهي" أيضا، لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب وأقوالهم، فكان هذا هو المحور والأصل، وصار كالبرنامج للمذهب، وأقبل عليه الناس حفظا وشرحا.

فمن الشارحين لـ"مختصر ابن الحاجب" في عصر واحد من التونسيين: ابن راشد[٣]، وابن عبد السلام[٤]، وابن هارون[٥] وغيرهم.

ثم شرحه في القرن الثامن الشيخ خليل بن إسحاق المصري شرحا حافلا سماه "التوضيح" في ست مجلدات.

المرحلة الرابعة

مرحلة "مختصر خليل بن إسحاق الجندي المصري"[٦] وشروحه:

ثـم صنف خليل بن إسـحاق مختصره المشهور الذي اقتصر فيه على ما به الفتوى من الأقوال،

١- هو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، صاحب "إحياء علوم الدين" الشافعي المذهب. (ت: ٥٠٥هـ)

٢- هو عثمان بن عمرو بن أبي بكر بن الحاجب، صاحب "الكافية" في النحو، و"الشافية" في الصرف، "والمختصرين": الأصولي والفرعي. (ت: ٦٤٦هـ)

٣- هو محمد بن عبد الله بن راشد القفصي، أبو عبد الله الفقيه، يعرف بابن راشد شارح ابن الحاجب. (ت: ٧٣٦هـ)

٤- هو محمد بن عبد السلام بن يوسف الهواري التونسي. (ت: ٧٤٩هـ) واسم شرحه: "تنبيه الطالب لفهم كلام ابن الحاجب".

٥- هو محمد بن هارون الكناني التونسي، الفقيه، له تآليف مهمة، منها: شرح "المدونة". (ت: ٧٥٠هـ)

٦- (ت: ٧٧٦هـ)

وجعل أعمدة كتابه في الترجيح خمسة، فيشير بـ"فيها" للمدونة، وبـ "الاختيار" للخمي، وبـ "الترجيح" لابن يونس[١]، وبـ "الظهور" لابن رشد، وبـ "القول" للمأزري. وقد بالغ في اختصاره حتى عد من الألغاز، مع أنه أقام في تأليفه خمسا وعشرين سنة، فتلقاه الناس بالقبول، وعكفوا عليه شرقا وغربا، شرحا وتعليقا وتحشية واستدلالا لمسائله ونظما لها، فكان هذا هو المعيار والمدار والمحور، وشرح بنحو مائة شرح فأكثر، وذلك لاختصاره وجمعه للمعاني الجمة مع بلاغة التركيب.

فلنسرد ههنا أسماء بعض منها:

١- شروح بهرام المالكي ربيب خليل وتلميذه[٢] الثلاثة: الكبير والأوسط والصغير، وسمى الصغير "الدرر في شرح المختصر".

٢- "المنزع النبيل في شرح مختصر خليل"، لابن مرزوق[٣].

٣- "تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل".

٤- "تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق"، كلاهما للإمام الزواوي[٤].

٥- "شفاء الغليل في شرح مختصر خليل"، لابن الأزرق[٥].

٦- "البيان والتكميل في شرح مختصر خليل"، للشيخ حلولو[٦].

٧- "شفاء الغليل في حل مقفل خليل"، لابن غازي المكناسي[٧].

٨- "شفاء الغليل في حل لغة خليل"، لعلي بن محمد المنوفي[٨].

١- هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي. (ت: ٤٥١هـ)

٢- بهرام بن عبد الله الدميري. (ت: ٨٠٥هـ)

٣- هو محمد بن أحمد بن محمد مرزوق (الحفيد) (ت: ٨٤٢هـ)

٤- هو إبراهيم بن فائد بن موسى القسنطيني. (ت: ٨٥٧هـ)

٥- هو محمد بن علي بن محمد الأصبحي الغرناطي المعروف بابن الأزرق، تولى قضاء القدس. (ت: ٨٩٦هـ)

٦- هو أحمد بن عبد الرحمن بن موسى اليزليتني، المشهور بحلولو، الفقيه الأصولي. (ت: ٨٩٨هـ)

٧- هو محمد بن أحمد العثماني المكناسي، شيخ مشايخ فأس، ذو التصانيف المفيدة. (ت: ٩١٩هـ)

٨- هو علي بن محمد بن محمد بن محمد المنوفي العدوي. (ت: ٩٣٩هـ)

٩- "حسن نتائج الفكر في شرح المختصر"، للشيخ الزرقاني[١].

١٠- جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر"، للشيخ التتائي[٢].

١١- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل"، للإمام الحطاب[٣].

١٢- "تيسير الملك الجليل لجمع الشروح وحواشي خليل"، للسنهوري[٤].

١٣- "منن الرب الجليل في تحرير مهمات خليل"، لأحمد بابا التنبكتي[٥].

١٤- "فتح الأغلاق على وجوه مسائل مختصر خليل بن إسحاق"، لأحمد بن القاسم البوني[٦].

١٥- "نور البصر في شرح المختصر"، لأحمد بن عبد العزيز السجلماسي[٧].

ثم إن أكثر شروح "مختصر خليل" تداولا واشتهارا في الميدان العلمي المعاصر هي:

أ) "مواهب الجليل" للحطاب.

ب) "الشرح الكبير" للدردير[٨].

ج) "حاشية الدسوقي[٩] على الشرح الكبير".

د) "شرح الزرقاني"

و"مواهب الجليل" هو حلقة الوصل بين ما تقدمه وما جاء بعده من شروح وحواش على "المختصر"، واستمد منه كل من جاء بعده.

وقد اختصر "مختصر خليل" الشيخ أحمد الدردير في كتابه "أقرب المسالك لمذهب الإمام

١- هو عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، أحد أئمة الزمان. (ت: ١٠٩٩هـ)

٢- هو محمد بن إبراهيم أبو عبد الله، قاضي القضاة الإمام المتقن الفرضي. (ت: ٩٤٢هـ)

٣- هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني المغربي، الشهير بـ"الحطاب". (ت: ٩٥٤هـ)

٤- هو سالم بن محمد بن عز الدين، أبو النجا السنهوري المصري. (ت: ١٠١٥هـ)

٥- هو أحمد بن أحمد بن أحمد (ثلاثا) التنبكتي السوداني المعروف بـ"بابا"، الفقيه المالكي. (ت: ١٠٣٦هـ)

٦- الإمام العلامة، تزيد مؤلفاته على المائة. (ت: ١١٣٩هـ)

٧- الهلالي. (١١٧٨هـ)

٨- هو أحمد بن محمد بن أحمد العدوي الخلوتي، الشهير بـ"الدردير"، شيخ المالكية بمصر. (ت: ١٢٠١هـ)

٩- هو محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي أبو عبد الله شمس الدين الأزهري. (ت: ١٢٣٠هـ)

مالك"، اقتصر فيه على القول الراجح المعتمد في المذهب، ولا يذكر القولين والأقوال إلا قليلا، حيث لم يظهر له ترجيح، وشرحه شرحا مختصرا يعرف بـ "الشرح الصغير" كما أنه شرح نفس "مختصر خليل" كما ذكرنا آنفا، وكتب الصاوي[١] على "الشرح الصغير" تعليقا سماه "بلغة السالك لأقرب المسالك". واختصر الشيخ مبارك الأحسائي[٢] "مختصر خليل"، اقتصر فيه على ما يغلب وقوعه وسماه "هداية السالك إلى مذهب الإمام مالك"، وشرحه بنفسه وسماه "تسهيل المسالك إلى هداية السالك إلى مذهب الإمام مالك".

والحاصل أن من زمن خليل إلى الآن ازدادت العقول فترة، والهمم ركودا، وأولعت الأفكار بشدة الاختصار، فاقتصروا على مختصر خليل وشروحه، حتى قال اللقاني: "إنما نحن خليليون".

وإنما بورك له في كتابه وتقبل بقبول حسن، لحسن نيته، وخدمته لشيخه المنوفي[٣] فقد قال البدر القرافي في "توشيحه" للديباج نقلا عن ابن غازي: "وحكي عنه [أي عن خليل] أنه جاء لمنزل بعض شيوخه [يعني عبد الله المنوفي] فوجد كنيف المنزل مفتوحا ولم يجد الشيخ هناك، فقيل له: إنه يشوشه أمر هذا الكنيف فذهب يطلب من يستأجر له على تنقيته. فقال خليل: أنا أولى بتنقيته، فشمر ونزل ينقيه، فجاء الشيخ فوجده على تلك الحال، والناس قد حلقوا عليه ينظرون إليه تعجبا من فعله، فقال: من هذا؟ فقالوا: خليل. فاستعظم الشيخ ذلك وبالغ في الدعاء له عن قريحة ونية صادقة"[٤]. آه

فنال بركة دعائه، ووضع الله تعالى البركة في عمره.

١- هو أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بـ"الصاوي". (ت: ١٢٤١هـ)

٢- هو مبارك بن علي بن حمد التميمي الأحسائي. (ت: ١٢٣٠هـ)

٣- هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سليمان المنوفي، الفقيه الإمام، أحد شيوخ مصر، تفقه عليه جماعة، منهم: صاحب "المدخل" ابن الحاج، ألف خليل بن إسحاق في مناقبه تأليفا. (ت: ٧٤٩هـ)

٤- هكذا ينبغي لكل تلميذ أن يتواضع ويتفانى في خدمة مشايخه، والدعاء لهم، فإنهم آباء في الدين وصلة بينه وبين رب العالمين. وقد استقصينا الكلام على هذا في التمهيد. -

....

\-

******

اعلم أن الاقتباس في هذا الفصل -الرابع- من المصادر التالية مع التصرف:

- الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، لابن عبد البر المالكي.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض اليحصبي.
- مالك بن أنس، لعبد الغني الدقر.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لإبراهيم بن فرحون المالكي.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد بن عمر مخلوف.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن الحجوي الفاسي.
- مناقب الإمام مالك، لعيسى بن مسعود الزواوي.
- تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، للحافظ جلال الدين السيوطي.

الفصل الخامس

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول

في شهادات أئمة الأمة

للإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وثنائهم عليه

هو الإمام العلم الكبير ثالث أساطين السنة الأربعة صاحب المذهب الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي.

يلتقي نسبه مع نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- في عبد مناف بن قصي، جد جد النبي -صلى الله عليه وسلم- وأمه أزدية.

ولد -رضي الله عنه- بغزة، وقيل: بعسقلان[١]، سنة خمسين ومائة، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، وتوفي بمصر سنة أربع ومائتين، وهو ابن أربع وخمسين، فهو -رضي الله عنه- أقصر الأئمة الأربعة عمرا، ودفن بالقرافة[٢]، وقبره بها ظاهر يزار.

نشأ يتيما في حجر أمه، في قلة من العيش وضيق الحال. وروي عن مصعب بن عبد الله الزبيري[٣] قال: "كان الشافعي في مبتدأ أمره يطلب الشعر وأيام العرب والأدب، ثم أخذ في الفقه بعده، وكان سبب أخذه في الفقه أنه كان يسير يوما على دابة له، وخلفه كاتب لأبي، فتمثل ببيت شعر، فقرعه كاتب أبي بسوطه، ثم قال له: مثلك يذهب بمروءته في مثل هذا؟ أين أنت من الفقه؟

١- غزة -بالفتح والتشديد-، وعسقلان كلتاهما بفلسطين، على نحو من مرحلتين من بيت المقدس، والتطبيق ظاهر، فإن غزة من أعمال عسقلان، فافهم.

٢- القرافة -بفتحات مع التخفيف-: مقبرة أهل مصر، بها مشاهد للصالحين، وترب الأكابر مثل ابن طولون والماذرائي. ر: معجم البلدان.

٣- هو مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيري، علامة بالأنساب والتواريخ، كان ثقة في الحديث، شاعرا. (٢٣٦هـ)

فهزه ذلك، فقصد مجالسة الزنجي مسلم بن خالد[1] وكان مفتي مكة، ثم قدم علينا، فلزم مالك بن أنس -رضي الله عنه-".

شهد له كبار الأئمة العلماء بالفضل والعلم والفقه والتقوى ما يملأ النفوس إجلالا له وإكبارا، ونحن الآن بمعرض إيراد نبذة من ذلك:

○ قال الإمام الشافعي: "رحلت إلى مالك -رضي الله عنهما- فسمع كلامي ... نظر إلي ساعة -وكان لمالك فراسة-، قال ما اسمك؟ قلت: محمد، قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن عظيم".

○ محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة -شيخ الشافعي وأمنّ الناس عليه-: "إن تكلم أصحاب الحديث يوما فبلسان الشافعي". (يعني: لما وضع من كتبه)

○ أبو حسان الرازي: "ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحدا من أهل العلم تعظيمه للشافعي".

○ مسلم بن خالد الزنجي -شيخ الشافعي-: "أَفْتِ يا أبا عبد الله، فقد والله آن لك أن تفتي".

○ أيوب بن سويد الرملي[2] -شيخ الشافعي-: "ما ظننت أني أعيش حتى أرى مثل الشافعي".

○ سفيان بن عيينة -شيخ الشافعي وقد قرئ عليه حديث في الرقائق، فغشي على الشافعي، فقيل: قد مات الشافعي-: "إن كان مات الشافعي فقد مات أفضل أهل زمانه".

○ يحي بن سعيد القطان: "إني لأدعو الله تعالى للشافعي أخصه بذلك".

○ الإمام أحمد بن حنبل: "ما أحد مس بيده محبرة ولا قلما، إلا وللشافعي في رقبته منة".

○ عنه أيضا: "كأن الله تعالى جمع في الشافعي كل خير".

○ عنه أيضا: "ما تكلم في العلم أقل خطأ، ولا أشد أخذا بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- من الشافعي".

١- شيخ الحرم المكي، أبو خالد المخزومي مولاهم، فقيه مكة. (ت: ١٨٠هـ)

٢- هو أيوب بن سويد السيباني الحميري، أبو مسعود الرملي، روى عن أسامة بن زيد الليثي وابن جريج، وعنه: الشافعي ودحيم. (ت: ٢٠٢هـ) ر: تهذيب الكمال.

○ الفضل بن دكين: "ما رأينا ولا سمعنا أكمل عقلا، ولا أحضر فهما، ولا أجمع علما من الشافعي".

○ أبو عبيد القاسم بن سلام: "ما رأيت أحدا أعقل، ولا أورع، ولا أفصح، ولا أنبل رأيا من الشافعي".

○ الزعفراني[١]: "اتفق العلماء من أهل الحديث والفقه، والأصول، واللغة، والنحو على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورعه وحسن سيرته".

○ البويطي[٢]: "قد رأيت الناس والله ما رأيت أحدا يشبه الشافعي، ولا يقاربه في صنف من العلم، والله إن الشافعي كان عندي أورع من كل من رأيته ينسب إلى الورع".

○ إسحاق بن راهويه: "الشافعي إمام".

○ الحميدي[٣]: "سيد علماء زمانه الشافعي". وقال مرة: "حدثنا سيد الفقهاء الشافعي".

فهذه شذرات من فضائل هذا الحبر، ولمعات من أخبار الإمام البحر، الذي أطبقت الأمة على إمامته وإجلاله، وعلى الاعتماد عليه في علمه.

١- هو الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، أحد رواة القديم عن الشافعي، ودرب الزعفراني ببغداد، وهو منسوب إليه، وفيه مسجد الشافعي، وكان الزعفراني لغويا جيدا، روى له البخاري. (ت: ٢٤٩هـ)

٢- هو يوسف بن يحيى، أبو يعقوب البويطي، أحد رواة الجديد، وأول من حمل كتبه إلى بخارى، امتحن فصبر، مات في السجن سنة ٢٣٢هـ، وله "مختصر".

٣- هو عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الأسدي المكي، أبو بكر الحميدي، نسبة إلى حميد بن زهير، روى عن الشافعي وتفقه به، وذهب معه إلى مصر، روى عنه: البخاري، ويعقوب بن سفيان وأبو زرعة الرازي وخلق، قال إسحاق بن راهويه: "الأئمة في زماننا: الشافعي، والحميدي، وأبو عبيد". (ت: ٢١٩هـ) ر: طبقات السبكي ترجمة رقم: ٣١ .

من مشايخ الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه

أدرك الإمام الشافعي -رضي الله عنه- من المشايخ جماعة كثيرة، كغيره من الأئمة، نورد منهم البعض المشهورين:

١- إبراهيم بن سعد الزهري[١].

٢- أيوب بن سويد الرملي.

٣- سعيد بن سالم القداح[٢].

٤- سفيان بن عيينة.

٥- عبد الله بن إدريس الأودي[٣].

٦- عبد الله بن المبارك.

٧- فضيل بن عياض.

٨- مالك بن أنس الإمام.

٩- محمد بن الحسن الشيباني.

١٠- مسلم بن خالد الزنجي.

١١- وكيع بن الجراح.

١٢- يحيي بن سعيد القطان.

١- هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم، أبو إسحاق المدني، نزيل بغداد، وقاضيها، وأحد الأعلام. (ت: ١٨٣هـ)

٢- هو أبو عثمان الخراساني، ثم المكي، روى عن ابن جريج، وروى عنه الشافعي، ويحيي بن آدم.

٣- هو أبو محمد الكوفي، أحد الأعلام، قال ابن معين: "ثقة في كل شيء". (ت: ١٩٢هـ)

من الكتب المصنفة في سيرة الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ومناقبه

١- مناقب الشافعي، لداود بن علي الأصبهاني الظاهري. (ت: ٢٧٠هـ)

٢- آداب الشافعي ومناقبه، للإمام ابن أبي حاتم الرازي. (ت: ٣٢٧هـ)

٣- مناقب الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. (ت: ٤٠٥هـ)

٤- مناقب الشافعي، لأبي محمد بن الفرات إسماعيل بن أحمد السرخسي. (ت: ٤١٤هـ)

٥- مناقب الشافعي، لأبي الحسن محمد بن عبد الله الرازي. (ت: ٤٥٤هـ)

٦- مناقب الشافعي

٧- كتاب بيان خطأ من أخطأ على الشافعي -رحمه الله-، كلاهما للإمام أحمد بن الحسين البيهقي. (ت: ٤٥٨هـ)

٨- مناقب الشافعي، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني. (ت: ٤٧٨هـ)

٩- مناقب الشافعي، لأبي محمد عبد الله بن يوسف الجرجاني القاضي. (ت: ٤٨٩هـ)

١٠- الواضح النفيس في مناقب ابن إدريس، لحسين بن حمكاه الهمداني. (ت: ٥١٣هـ)

١١- مناقب الشافعي، ليحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني. (ت: ٥٥٨هـ)

١٢- مناقب الشافعي، للفخر الرازي محمد بن عمر. (ت: ٦٠٦هـ)

١٣- مناقب الشافعي، لابن النجار محمد بن محمود البغدادي. (ت: ٦٤٣هـ)

١٤- توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني. (ت: ٨٥٢هـ)

١٥- محمد بن إدريس الشافعي، لعبد الغني الدقر.

هذا، وقال ابن الملقن في مقدمة "العقد المذهب في طبقات حملة المذهب": "ترجمة الشافعي حذفناها في المؤلف لأنها أفردت بالتأليف فبلغت أربعين مؤلفا". آهـ

المبحث الثاني

في مراحل تدوين الفقه الشافعي

المذهب الشافعي في تطوره مر على ست مراحل وأدوار:

المرحلة الأولى

مرحلة أمالي صاحب المذهب الإمام الشافعي -رضي الله عنه- أو كتبه في العراق قبل قدومه إلى مصر، وهو المذهب القديم، وحملته أربعة:

١- الإمام الزعفراني.

٢- الإمام أحمد بن حنبل.

٣- أبو ثور البغدادي[١].

٤- الكرابيسي[٢].

المرحلة الثانية

ثم إن الشافعي -رضي الله عنه- لما قدم مصر رجع عن كثير من مذهبه القديم، وصارت له أقوال بخلاف المذهب القديم. فالجديد هو الفقه الذي قرره الشافعي -رضي الله عنه- وأملاه بمصر، ورواه عنه تلاميذه المصريون، واشتهر منهم الستة المعروفون، وهم:

١- البويطي، وهو أكبر أصحاب الشافعي بمصر، وله المختصر المشهور الذي اختصره من كلام الشافعي، ولما اختصره قرأه على الشافعي بحضرة الربيع، فيروى عنه أيضا، وكان الشافعي يعتمد في الفتيا على البويطي، واستخلفه على أصحابه بعد موته.

١- هو إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي، أخرج له أبو داود، وابن ماجة. (ت: ٢٤٠هـ)

٢- هو الحسين بن علي بن يزيد البغدادي، نسب إلى الكرابيس وهي الثياب الغلاظ؛ لأنه كان يبيعها. (ت: ٢٤٥هـ/ ٢٤٨هـ)

٢- حرملة بن يحي التجيبي[١]، وقولهم: "قال في حرملة"، معناه: قال الشافعي في الكتاب الذي نقله عنه حرملة[٢].

٣- الربيع الجيزي[٣].

٤- المزني[٤]، وكان معظما بين أصحاب الشافعي -رضي الله عنه- صنف كتبا كثيرة، منها: "الجامع الكبير"، و"الصغير"، و"المختصر" وغيرهما، ومختصره أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي[٥].

٥- يونس بن عبد الأعلى المصري[٦].

٦- الربيع المرادي[٧].

قال الخطابي[٨] في مقدمة "معالم السنن" شرح سنن أبي داود: "أصحاب الشافعي إنما يعولون

١- أحد الحفاظ، له "المبسوط"، و"المختصر"، أكثر عنه مسلم في صحيحه. (ت: ٢٤٤هـ) و"التجيبي": بتاء مضمومة، ثم جيم مكسورة، نسبة إلى "تجيب" قبيلة معروفة من العرب في اليمن.

٢- كما يقال: قرأت البخاري، ومسلما، والترمذي، وسيبويه، وشبهها.

٣- هو الربيع بن سليمان الجيزي، مات بالجيزة، قبل الربيع المرادي بأربع عشرة سنة.

٤- هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحي، ناصر المذهب، كان يغسل الموتى تعبدا؛ ليرق قلبه، وهو الذي تولى غسل الشافعي. (ت: ٢٦٤هـ)

٥- وسار هذا المختصر في الناس مسيرة الشمس في الآفاق، فبلغ من الشهرة أن المرأة عندما كانت تزف إلى زوجها كان لا بد من وجود مختصر المزني في جهازها.

٦- هو أبو موسى الصدفي المصري المقري، الإمام الكبير. (ت: ٢٦٤هـ)

٧- هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي مولاهم، أبو محمد المصري، المؤذن بجامع فسطاط بمصر، صاحب الشافعي وخادمه، وراوي كتبه الجديدة، روى عنه أبو داود، والنسائي وابن ماجة، والطحاوي. (ت: ٢٧٠هـ) ر: طبقات الفقهاء الشافعيين، ترجمة رقم: ٢٩.

٨- هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب أبو سليمان الخطابي البستي، تفقه على القفال الشاشي، له "أعلام الحديث شرح الصحيح للبخاري"، و"معالم السنن" وغير ذلك. (ت: ٣٨٨هـ) ر: طبقات السبكي، ترجمة رقم: ١٨٢. قلت: له اختيارات في المذهب طبعت بعمل من أحد محضري رسالة دكتوراه في ست مجلدات.

في مذهبه على رواية المزني والربيع المرادي ما لا يعولون على رواية حرملة والربيع الجيزي". آه

ثم إن الربيع أثبت في الشافعي من المزني، فيقدمون رواية الربيع على رواية المزني.

ثم إن الكتب الأربعة أمهات مذهب الشافعي -رضي الله عنه-:

أ) "الأم".

ب) "الإملاء".

ج) "مختصر البويطي".

د) "مختصر المزني". وهو مختصر من الأم.

المرحلة الثالثة

مرحلة لواحق الأمهات من الجمع والبسط والاختصار والشرح:

ولما كان "مختصر المزني" الذي جمع نصوص الشافعي من أوفر الكتب حظا وقبولا لدى علماء المذهب الشافعي، شرحه جماعة منهم، والمشهور اثنان: إمام الحرمين الجويني[١]، والماوردي[٢].

فالإمام شرح مختصر المزني، وجمع جميع نصوص الإمام الشافعي في كتابه "نهاية المطلب في دراية المذهب"، وبسط نصوصه، واستنبط منها، وكذلك الماوردي شرح "مختصر المزني" وسماه "الحاوي الكبير"، وليس المراد بالشرح ههنا حل الألفاظ، وبيان غوامض التراكيب، وإنما الذي في "النهاية" أو "الحاوي الكبير" هو جعل نص الشافعي أصلا تستنبط منه الأحكام، وحوله يدور التبويب والتفصيل، والمسائل والفروع.

١- هو الإمام عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي، ضياء الدين الجويني، رئيس الشافعية بنيسابور، تفقه على أبيه، له تصانيف جليلة، منها: "الإرشاد"، و"الشامل"، و"البرهان"، و"الغياثي"، مات مسموما سنة ٤٧٨هـ.

٢- هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الإمام المفسر المحدث الفقيه الأصولي. (ت: ٤٥٠هـ) قلت: وهو صاحب "أدب الدنيا والدين" كتاب جليل كثير الفوائد.

ولم ينتشر من شروح "مختصر المزني" سوى هذين الاثنين، ولكن الذي كان له التأثير الأكبر، وصار عليه المعول هو "نهاية المطلب"، فعنه ومنه وحده تقريبا أخذ العلماء واستمدادهم، بل شاع بينهم القول: "منذ صنف الإمام كتابه "نهاية المطلب" لم يشتغل الناس إلا بكلام الإمام". واشتهر كتابه هذا بـ "المذهب الكبير"، وصار علما له. والتزم الإمام في "النهاية" ترتيب المزني تبركا به.

ومن كتب الجمع والاختصار في هذه المرحلة:

"المهذب"، لأبي إسحاق الشيرازي[١]، وشرحه ابن أبي الخير العمراني[٢] في كتابه المسمى بـ "البيان"، والنووي[٣] في "المجموع".

ومنها: "التنبيه"، للشيرازي أيضا، فهذا متن بلا تدليل، والأول مدلل مطول.

وعلى التنبيه أيضا شروح، منها: "كفاية النبيه في شرح التنبيه" لابن الرفعة[٤] أطول شرح له، وشرحه السيوطي أيضا، وللنووي عليه "تصحيح التنبيه".

١- هو إبراهيم بن علي بن يوسف، الفقيه الأصولي النظار، العابد الزاهد، المضروب به المثل في الفصاحة والمناظرة، صاحب التصانيف الجليلة، كان نحيف الجسم، قال فيه عاصم شاعر بغداد:

تراه من الذكاء نحيف جسم ... عليه من توقده دليل

إذا كان الفتى ضخم المعالي ... فليس يضره الجسم النحيل

(ت: ٤٧٦هـ)

٢- هو يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني، المنتسب إلى عمران بن ربيعة بن زهرة. (ت: ٥٥٨هـ)

٣- هو الإمام شيخ الإسلام محرر المذهب، شارح الحديث، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، له تصانيف جليلة كثيرة، غنية عن التعريف بها، منها: "المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، وناهيك به عن غيره. و"النووي": نسبة إلى "النوا" من قرى حوران بسورية، توفي: ٦٧٦هـ.

قلت: كان النووي -رحمه الله- أشد الناس عملا بالمذهب، وذبا عنه، ولذلك مات سيدا وحصورا أعزب؛ لأن التخلي للعبادة في المذهب الشافعي أفضل من التزوج. ترجم له العلامة عبد الفتاح أبو غدة -رحمه الله- في كتابه "العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج".

٤- هو نجم الدين أحمد بن محمد بن علي، أبو العباس ابن الرفعة المصري. (ت: ٧١٠هـ)

ومنها: "بحر المذهب"، لأبي المحاسن الروياني[١]، وأصله "الحاوي الكبير"، لخصه وضم إليه زيادات.

المرحلة الرابعة

مرحلة ترتيب المذهب:

وجاء الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي تلميذ الإمام، فاختصر "نهاية المطلب" إلى "البسيط في المذهب" بترتيب حسن بديع، بلغ الغاية في الضبط والإحكام ولم يلتزم ترتيب الأصل، بل اخترع ترتيبا عجيبا لم يسبق إليه.

فقسم الفقه إلى أرباع: ربع العبادات، وربع المعاملات، وربع المناكحات، وربع الجراح. ثم بدأ كل كتاب بتمهيد ثم قسم في سطور معدودات أقسام الكتاب وأبوابه وموضوع كل منها.

ثم اختصر "البسيط" إلى "الوسيط"، ثم اختصر "الوسيط" إلى "الوجيز"، ثم اختصر "الوجيز" إلى "الخلاصة"[٢].

قال فيه بعض الشافعية:

هذب المذهب حبر أحسن الله خلاصه
ببسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

فلله دره من منقح للمذهب، ومرتب له!

المرحلة الخامسة

مرحلة تحرير المذهب وتنقيحه:

وبيان ذلك أن الشافعي -رضي الله عنه- صارت له أقوال كثيرة، وظهرت لعلماء المذهب

١- هو الشيخ عبد الواحد بن إسماعيل بن احمد الروياني الطبري، بلغ من تمكنه في الفقه أنه قال: "لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي". ولهذا كان يقال له شافعي زمانه. (ت: ٥٠٢هـ)

٢- وقيل: الخلاصة هي مختصر "مختصر المزني"، واسمها: "خلاصة المختصر ونقاوة المعتصر"، وليس هو مختصر لكتاب "الوجيز". والله تعالى أعلم.

وجوه مختلفة، وطرق متعددة، فاحتاج أهل المذهب إلى بيان ما هو المذهب الصحيح أو الراجح ليفتى به أو يعمل به، فسلط الله تعالى على ذلك رجلين: الإمام أبا القاسم الرافعي[١]، والإمام أبا زكريا النووي.

فحررا المذهب ونقحاه وميزا المذهب مما ليس منه، النووي في "روضة الطالبين"، و"منهاج الطالبين"، و"شرح المهذب".

والرافعي في "المحرر"، و"فتح العزيز في شرح الوجيز"، فهما شيخا المذهب، وهما العمدة في معرفة ما هو المذهب، فالراجح ما رجحاه، ولم يخرج من بعدهما عن قولهما، حتى شاع بين المتأخرين قول ابن حجر الهيتمي[٢]: "إن الكتب المتقدمة على الشيخين لا يعتمد على شيء منها إلا بعد مزيد الفحص والتحري حتى يغلب على الظن أنه راجح في مذهب الشافعي .... ثم قالوا: هذا كله في حكم لم يتعرض له الشيخان أو أحدهما، فإن تعرضا له فالذي أطبق عليه محققوا المتأخرين، ولم تزل المشايخ يوصون به، وينقلون عن مشايخه وهم عمن قبلهم وهكذا ..... : أن المعتمد ما اتفق عليه الشيخان: الرافعي والنووي، فإن اختلفا فالمعتمد ما رجحه النووي، فإن وجد للرافعي ترجيح دون النووي فالرافعي ....". آه

وإذا نظرنا إلى علم الرافعي والنووي -رحمهما الله- نجده في جملته يرجع إلى كلام الإمام، أو إلى كتابه "نهاية المطلب".

وبيان ذلك: أن فقه إمام الحرمين في "نهاية المطلب" حازه تلميذه الغزالي في "البسيط"، ثم اختصره إلى "الوسيط"، ثم إلى "الوجيز"، ثم إلى "الخلاصة".

واشتغل الرافعي بـ"الوجيز" فشرحه بشرحين: مختصر لم يسمه واشتهر بـ"الشرح الصغير"، ومطول سماه "العزيز" أو "فتح العزيز في شرح الوجيز"، واشتهر بـ"الشرح الكبير"، كما اختصر

١- هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القزويني، أبو القاسم الرافعي. (ت: ٦٢٤هـ)

٢- هو الإمام شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي، صاحب "الإمداد"، و"فتح الجواد"، شرحي الإرشاد، و"الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان". (ت: ٩٧٤هـ)

الرافعي "الوجيز" في مختصر سماه "المحرر". ثم جاء النووي فاختصر "الشرح الكبير" في "روضة الطالبين"، ونقحه وحرره واستدرك على كثير من كلامه، كما اختصر "المحرر" إلى "منهاج الطالبين"، فكانت "الروضة" و"المنهاج" عليهما مدار المذهب وقوامه، وهما المعتمد.

المرحلة السادسة

مرحلة لواحق كتب الشيخين:

ثم تتابع رجال المذهب على "الروضة" و"المنهاج" شرحا واختصارا ونظما وتعليقا، فهذه كالمرحلة السادسة من مراحل تدوين المذهب.

وبيان ذلك: أن الشيخ ابن مقرئ[١] اختصر "الروضة" إلى "روض الطالب"، وشرحه الشيخ زكريا الأنصاري[٢] بـ"أسنى المطالب شرح روض الطالب"، ثم اختصر "الروض" الإمام ابن حجر الهيتمي في كتاب سماه "النعيم"[٣].

واختصر "الروض" أيضا ابن المذحجي المزجد[٤]، وسماه "العباب بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب" فشرحه ابن حجر شرحا جمع فأوعى، وسماه "الإيعاب" غير أنه لم يكمل.

واختصر كذلك القزويني[٥] "العزيز شرح الوجيز" للرافعي إلى "الحاوي الصغير" فعكفوا عليه بالشرح والنظم، ومن أشهر منظوماته منظومة ابن الوردي[٦] المسماة "البهجة الوردية"، وشرحها الشيخ زكريا الأنصاري وسماه "الغرر البهية في شرح البهجة الوردية". ثم إن الحاوي المذكور

١- هو شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر الشهير بابن مقرئ اليمني. (ت: ٨٣٧هـ)

٢- هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري. (ت: ٩٢٦هـ)

٣- غير أنه فقد عليه في حياته.

٤- هو القاضي صفي الدين أبو العباس، أحمد بن عمر بن عبد الرحمن، المعروف بابن المذحجي المزجد السيفي المرادي اليمني الشافعي. (ت: ٩٣٠هـ)

٥- هو نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي. (ت: ٦٦٥هـ)

٦- هو عمر بن مظفر بن عمر ابن الوردي. (ت: ٧٤٩هـ)

اختصره الشيخ إسماعيل بن مقرئ إلى "إرشاد الغاوي"، وقد بالغ في اختصاره، ثم شرحه بنفسه وسماه "إخلاص الناوي في إرشاد الغاوي إلى مسالك الحاوي"، وشرحه -أعني إرشاد الغاوي- أيضا ابن الحجر الهيتمي بشرحين، أحدهما كبير سماه "فتح الجواد"، والثاني صغير وسماه "الإمداد شرح الإرشاد".

ومن جانب آخر على نفس "الروضة" حواش لعلماء المذهب أشهرها الأربعة:

أ) حواشي الأذرعي. [١]

ب) وحواشي الإسنوي [٢]، وهي "المهمات على الروضة والرافعي".

ج) وحواشي ابن العماد [٣].

د) وحواشي البلقيني [٤].

فجمع تلميذ هؤلاء الأربعة البدر الزركشي [٥] الحواشي الأربعة، وسماه "خادم الرافعي والروضة"، وانتهج فيه نهج الأذرعي.

ومن جانب آخر شرح البعض "المنهاج"، وبعضهم اختصره.

اختصره شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وسماه "منهج الطلاب"، وشرحه بنفسه في "فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب".

واختصر الجوهري [٦] "المنهج" إلى "نهج الطالب لأشرف المطالب"، أما شروح "المنهاج" فكثيرة

١- هو أبو الوليد شهاب الدين أحمد بن حمدان بن عبد الواحد الأذرعي، ولد بالشام بأذرعات سنة ٧٠٨هـ وتوفي سنة ٧٨٣هـ

٢- هو جمال الدين أبو عبد الله عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي. (٧٧٢هـ)

٣- هو أحمد بن العماد الشهاب الأقفهسي. (ت: ٨٠٨هـ)

٤- هو سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير الكناني، العسقلاني الأصل المصري، المعروف بالبلقيني. (ت: ٨٠٥هـ)

٥- هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين، الملقب بالمصنف؛ لكثرة تصانيفه في شتى الفنون، منها: "البرهان في علوم القرآن". (ت: ٧٩٤هـ)

٦- هو محمد بن أحمد بن حسن الجوهري أبو هادي. (ت: ١٢١٤هـ)

تزيد على مائة، أشهرها:

١- "الديباج في شرح المنهاج"، للبدر الزركشي.

٢- "النجم الوهاج"، لكمال الدين الدميري[١].

٣- " السراج على نكت المنهاج"، لابن النقيب[٢].

٤- "عجالة المحتاج"، لابن الملقن[٣].

٥- "مغني المحتاج"، للخطيب الشربيني[٤].

٦- "نهاية المحتاج" ، لشمس الدين الرملي[٥].

٧- "تحفة المحتاج"، لابن حجر الهيتمي.

٨- "كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين"، للجلال المحلي[٦].

ثم اعتماد أهل المذهب منها على "النهاية" و"التحفة"، لا يفتى إلا بهما، وعليهما استقر المذهب، وصار هذان الكتابان تحريرا ثانيا للمذهب، فما اتفقا عليه لا يعدل عنه، وما اختلفا فيه فاختلف أهل المذهب في ما يفتى به من قوليهما، فذهب أهل مصر إلى ترجيح ما قاله الرملي، ورجحه في كتبه، خصوصا في "نهايته". وذهبت شافعية حضرموت والشام والأكراد وداغستان وأكثر اليمن والحجاز إلى الاعتماد على ابن حجر في كتبه، بل في "تحفته".

١- هو أبو البقاء، محمد بن موسى بن عيسى الدميري. (ت: ٨٠٨هـ)

٢- هو أبو العباس أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله الرومي المصري، المعروف بابن النقيب الشافعي. (ت: ٧٦٩هـ)

٣- هو سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، الشهير بابن الملقن المصري. (ت: ٨٠٤هـ) وله على المنهاج سوى هذا أربعة شروح.

٤- هو محمد بن محمد الخطيب، شمس الدين الشربيني القاهري الشافعي، العلامة الهمام، صاحب التصانيف، (ت: ٩٧٧هـ)

٥- هو محمد بن أحمد بن حمزة الرملي المصري، فقيه الديار المصرية، يقال له : "الشافعي الصغير" من فقهه. (ت: ١٠٠٤هـ)

٦- هو الإمام جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي القاهري الشافعي، أصولي مفسر، عرض عليه قضاء القضاة فامتنع، صنف كتابا في التفسير أتمه الجلال السيوطي فسمي "تفسير الجلالين". (ت: ٨٦٤هـ)

ومن المتون المتينة في المذهب الشافعي: متن الإمام أبي شجاع[١] المسمى "غاية الاختصار" أو "غاية التقريب"، والعمل عليه يربو على خمسين كتابا بين شرح ونظم وشرح عليهما.

هذا آخر هذا الفصل، والله تعالى أعلم وعلمه أتم.

١- هو أحمد بن الحسن بن أحمد الأصبهاني القاضي أبو شجاع، توفي بعد سنة خمس مائة.

******

المصادر المستمد منها -مع التصرف-:

- آداب الشافعي ومناقبه.
- كتاب بيان خطأ من أخطأ على الشافعي، كلاهما للإمام البيهقي.
- تهذيب الأسماء واللغات، للإمام محي الدين النووي.
- الانتقاء، للإمام ابن عبد البر المالكي.
- المقفى الكبير، لتقي الدين المقريزي.
- محمد بن إدريس الشافعي، لعبد الغني الدقر.
- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، لابن الملقن الشافعي.
- طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي.
- طبقات ابن كثير.
- الفكر السامي، لمحمد بن الحسن الحجوي.

الفصل السادس

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول

في شهادات أئمة الأمة

للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وثنائهم عليه

هو العلم الحجة البارع الحافظ الورع، عالم الإسلام، ناصر السنة، رابع الأئمة الأربعة المتبوعين، رابع أساطين السنة الأربعة، صاحب المذهب الحنبلي، المحدث الأكبر، الإمام المبجل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي -رضي الله عنه-.

ولد -رضي الله عنه- ببغداد سنة أربع وستين ومائة، وتوفي سنة إحدى وأربعين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة، من أتباع التابعين.

وقد أكثر أئمة الإسلام، وعلماء الأنام من الثناء على هذا الإمام، والشهادة له بالخصال العظام، وبالغوا في تعظيمه والثناء عليه، لا سيما الإمام الشافعي -رضي الله عنه-.

- قال الإمام الشافعي -رضي الله عنه-: "خرجت من العراق فما خلفت بالعراق رجلا أفضل ولا أعلم من أحمد بن حنبل".
- الربيع: قال لنا الشافعي: "أحمد إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة".
- عن الإمام الشافعي أيضا: "عجبت لصغير لا يقول شيئا إلا صدقه الكتاب، وهو أحمد".
- وامتدحه الإمام الشافعي -رضي الله عنهما- بالبيتين المشهورين:

قالوا يزورك أحمد وتزوره ... قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زارني فبفضله أو زرته ... فلفضله فالفضل في الحالين له

ويقال: إن الإمام أحمد أجابه بقوله:

إن زرتنا فبفضل منك تـمنحـنا — أو نحن زرنا فللفضل الذي فيكا

فلا عدمنا كلا الحالين منك ولا — نـال الـذي يـتمنى فيك شانيكا

○ قتيبة بن سعيد[1] -من مشايخ أحمد-: "أحمد بن حنبل إمامنا، من لم يرض به فهو مبتدع".

○ يحي بن معين: "أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل، لا والله ما نقوى على ما يقوى عليه أحمد بن حنبل، ولا على طريقة أحمد بن حنبل".

○ علي بن المديني: "ليس في أصحابنا أحفظ منه".

○ عنه أيضا: "أعز الله تعالى هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث: أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة".

○ أبو عبيد القاسم بن سلام: "لست أعلم في الإسلام مثله".

○ عنه أيضا: "انتهى العلم إلى أربعة: أحمد بن حنبل وهو أفقههم، وابن أبي شيبة وهو أحفظهم، وعلي بن المديني وهو أعلمهم، ويحي بن معين وهو أكتبهم".

○ عبد الله بن المبارك: "كنت عند إسماعيل ابن علية[2] فتكلم إنسان بشيء، فضحك بعضنا، وثَمَّ أحمد بن حنبل، قال فأتينا إسماعيل ابن علية، فوجدناه غضبان، فقال: تضحكون وعندي أحمد بن حنبل؟"

○ محمد بن مسلم[3]: "كنا نهاب أن نرادّ أحمد بن حنبل في الشيء، أو نُحَاجَّه في شيء من الأشياء". يعني لجلالته وهيبته التي رزقها الله إياه.

○ أبو زرعة الرازي: " ما رأيت أجمع من أحمد بن حنبل، ومـا رأيت أكـمل منه، اجتمع فيه

١- هو قتيبة بن سعيد، الشيخ الحافظ محدث خراسان، أبو رجاء الثقفي مولاهم، البلخي البغلاني، سمع من مالك وطبقته، وعنه: الجماعة سوى ابن ماجة، وخلائق. (ت: ٢٤٠هـ) ر: تذكرة الحفاظ، رقم الحافظ: ٤٥٣.

٢- هو إسماعيل بن إبراهيم ابن علية -وهي أمه- وجده مقسم الأسدي مولاهم، البصري أبو بشر، روى عن أيوب السختياني وحميد الطويل وخلق، وعنه: أحمد وابن راهويه وغير هما. (ت: ١٩٣هـ) ر: شذرات الذهب، وتذكرة الحفاظ.

٣- هو محمد بن مسلم بن وارة، أبو عبد الله الرازي الحافظ، سمع أبا مسهر وخلقا، وعنه: البخاري في غير الجامع، والنسائي وآخرون. (ت: ٢٧٠هـ) ر: تهذيب التهذيب.

زهد وفضل وفقه، وأشياء كثيرة". قيل له: إسحاق بن راهوية؟[١] فقال: "أحمد أكثر من إسحاق، وأفقه من إسحاق".

○ ابن أبي حاتم[٢]: "سمعت أبا زرعة وقيل له: اختيار أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه أحب إليك، أم قول الشافعي؟ قال: "بل اختيار أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه أحب إلي من قول الشافعي".

○ ابن أبي حاتم: "سمعت أبازرعة يقول: "ما أعلم في أصحابنا أسود الرأس أفقه من أحمد بن حنبل".

○ أبو حاتم الرازي[٣]: "أحمد بن حنبل إمام وحجة".

○ أبو ثور -صاحب الشافعي-: "أحمد بن حنبل أعلم وأفقه من الثوري".

○ الحسين الكرابيسي -صاحب الشافعي-: "مثل الذين يذكرون أحمد -أي بالسوء- مثل قوم يجيئون إلى أبي قبيس يريدون أن يهدموه بنعالهم".

○ النووي: "الإمام البارع المجمع على جلالته وإمامته وورعه وزهادته ووفور علمه وسيادته".

○ ابن ماكولا: "كان أعلم الناس بمذاهب الصحابة".

له المسند" في الأحاديث، وأحاديثه تتراوح بين ثمانية وعشرين ألفا وتسعة وعشرين ألفا.

١- هو أبو محمد أو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي الحنظلي المروزي، يعرف بـ"ابن راهُوْيَه" نزيل نيسابور، شيخ أهل المشرق، روى عن فضل بن عياض وطبقته، وعنه: الجماعة سوى ابن ماجة، وأحمد وغيرهم. (ت: ٢٣٨هـ) ر: تذكرة الحفاظ، رقم الحافظ:٤٤٠ . و"رَاهْوَيْه" -بفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة، ثم واو مفتوحة، وبعدها هاء مثناة من تحتها ساكنة، وبعدها هاء ساكنة- لقب أبيه إبراهيم، وإنما لقب بذلك؛ لأنه ولد في الطريق، والطريق بالفارسية "راه"، و"ويه" معناه: وجد، وقيل فيه أيضا: رَاهُوْيَه: بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء. ر: وفيات الأعيان، رقم: ٨٥.

٢- هو الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي. (ت: ٣٢٤هـ)

٣- هو محمد بن إدريس الحنظلي، حافظ المشرق، سمع أبا مسهر وخلقا لا يحصون، كان جاريا في مضمار البخاري وأبي زرعة الرازي. (ت: ٢٧٧هـ) ر: شذرات الذهب: ٣/ ٣٢١.

وقال -رضي الله عنه- لابنه عبد الله[1]: "احتفظ بهذا "المسند"، فإنه سيكون للناس إماما".

ويقول الجزري في "المصعد الأحمد": "أخبرني بجميع هذا "المسند" -وهو كتاب لم ير على وجه الأرض كتاب في الحديث أعلى منه- جماعة من الشيوخ سماعا وإجازة".

من مشاهير شيوخ أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه

إن أول من سمع منه أحمد بن حنبل في حداثته هو أبو يوسف صاحب أبي حنيفة -رضي الله عنهم- فهو أول شيوخه.

٢- إبراهيم بن سعد الزهري.

٣- إسماعيل ابن علية.

٤- بشر بن المفضل[2].

٥- أبو أسامة حماد بن أسامة[3].

٦- سفيان بن عيينة.

٧- عبد الرحمن بن مهدي.

٨- عبد الرزاق الصنعاني[4].

١- المكنى بأبي عبد الرحمن الإمام الثقة، حدث عن أبيه، وابن معين، وخلق كثير، روى عنه أبو القاسم البغوي وأمثاله، كان أروى عن أبيه من أخيه صالح. (ت: ٢٩٠هـ)

٢- هو بشر بن المفضل بن لاحق، الرقاشي مولاهم، أبو إسماعيل البصري، روى عن إسماعيل بن أمية وحميد الطويل وغيرهما، وعنه: أحمد وإسحاق بن راهويه وخلق، روى له الجماعة. (ت: ١٨٧هـ) ر: تهذيب الكمال.

٣- هو حماد بن أسامة بن زيد القرشي مولاهم، الكوفي، روى عن هشام بن عروة والأعمش، وخلق، وعنه: الشافعي وأحمد وغيرهما. (ت: ٢٠١هـ) ر: تهذيب التهذيب.

٤- هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم، الصنعاني، أبو بكر الحافظ الكبير، صاحب التصانيف، حدث عن ابن جريج وغيره. وعنه: خلائق، منهم: أحمد وإسحاق، روى له الجماعة. (ت: ٢١١هـ) ر: التبيان لبديعة البيان، رقم الترجمة: ٣٤٩، وتهذيب الكمال.

٩- أبو عبيدة الحداد[١].

١٠- الإمام الشافعي.

١١- وكيع بن الجراح.

١٢- هشيم بن بشير[٢].

١٣- يحي بن سعيد القطان.

وغيرهم ممن طوينا ذكرهم خوف الإطالة.

وكان من تأدبه وإجلاله لشيوخه وتواضعه لهم، ماروي عن عمرو الناقد[٣] قال: كنا عند وكيع، وجاء أحمد بن محمد بن حنبل فقعد، وجعل -أي وكيع- يصف من تواضعه بين يديه، فقال عمرو: يا أبا عبد الله! إن الشيخ يكرمك فما لك لا تتكلم؟ قال: "إن كان يكرمني فينبغي لي أن أجله".

من أصحاب أحمد رضي الله عنه وحملة الفقه عنه المشهورين

١- أبو طالب المشكاني[٤].

٢- أبو بكر المروذي[٥].

١- هو عبد الواحد بن واصل، السدوسي مولاهم، أبو عبيدة الحداد البصري، سكن بغداد، روى عن إسرائيل بن يونس وغيره، روى عنه أحمد وعمرو الناقد وخلق. (ت: ١٩٠هـ) ر: تهذيب الكمال.

٢- هو السلمي، أبو معاوية بن أبي خازم الواسطي، روى عن عمرو بن دينار وخلق، وعنه: مالك وشعبة وأحمد وآخرون. (ت: ١٨٣هـ) ر: تهذيب التهذيب.

٣- هو أبو عثمان عمرو بن محمد بن بكير البغدادي، نزيل الرقة، سمع هشيما وغيره، وعنه: البخاري، ومسلم وأبو داود وخلائق. (ت: ٢٣٢هـ) ر: تذكرة الحفاظ ترجمة رقم: ٤٥٢.

٤- هو أحمد بن حميد، المتخصص بصحبة أحمد إلى أن مات، روى عنه مسائل كثيرة، وكان الإمام أحمد يكرمه ويقدمه. (ت: ٢٤٤هـ)

٥- هو أحمد بن محمد بن الحجاج، أبو بكر المروذي، كان خصيصا بخدمة أحمد، وكان يأنس به، ويبتسم إليه، ويبعثه في حوائجه، وهو الذي تولى إغماضه لما مات، وغسله، وهو المقدم من أصحاب أحمد، روى عنه مسائل كثيرة (ت: ٢٧٥هـ) ودفن عند قبر أحمد. و"المروذي": بمفتوحة وضم راء مشددة، وبذال معجمة، نسبة إلى "مرو الرُّوذ" مدينة بخراسان، كذا ضبطه في "المغني في ضبط أسماء الرجال"، ص: ٢٤٧، ومعجم البلدان.

٣- أبو بكر الأثرم[١].

٤- حرب الكرماني[٢].

٥- إبراهيم الحربي[٣].

٦- إسحاق بن منصور الكوسج المروزي[٤].

٧- حنبل بن إسحاق، ابن عم الإمام أحمد -رضي الله عنه-[٥].

٨- صالح ابن الإمام أحمد[٦].

٩- عبد الله ابن الإمام أحمد.

١٠- أبو زرعة الرازي.

١١- أبو الحسن الميموني[٧].

١- هو أحمد بن محمد بن هانئ الطائي، ويقال: الكلبي، الإسكافي، كان حافظا للحديث، وكان يحي بن معين يقول: "الأثرم كان أحد أبويه جنيا"؛ لتيقظه، له مسائل عن أحمد، جمعها في كتاب سماه "السنن في الفقه على مذهب أحمد"، توفي بعد الستين ومئتين.

٢- هو حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني، أبو محمد، له مسائل عن أحمد، وسمع إسحاق بن راهويه أيضا وآخرين. روى عنه أبو حاتم في آخرين.

٣- هو إبراهيم بن إسحاق بن بشير، أبو إسحاق الحربي، سمع أحمد والفضل بن دكين وأمثالهما، كان إماما في العلم والزهد، له "غريب الحديث"، و"دلائل النبوة" وغير ذلك. (ت: ٢٨٥هـ)

٤- روى عن ابن معين وابن المهدي وطبقتهما، ودون عن أحمد المسائل في الفقه، روى عنه البخاري ومسلم والترمذي وابن خزيمة وغيرهم. (ت: ٢٥١هـ)

٥- هو حنبل بن إسحاق بن حنبل، أبو علي الشيباني، سمع أحمد وسليمان بن حرب وخلقا، له مسائل عن أحمد. (ت: ٢٧٣هـ)

٦- هو أبو الفضل، أكبر أولاد أحمد سمع أباه، وابن المديني، كان والده يحبه، وكان معيلا بلي بالعيال على حداثته، سخيا. (ت: ٢٦٦هـ)

٧- هو عبد الملك بن عبد الحميد بن مهران الميموني الرقي، إمام أصحاب أحمد، قال عن نفسه: "صحبت أبا عبد الله على الملازمة من سنة ٢٠٥ إلى سنة ٢٢٧". وعنده عن أحمد مسائل في ١٦ جزءا. (ت: ٢٧٤هـ)

١٢- أبو حاتم الرازي.

ثم تسمى سبعة منهم الجماعة، وهم: عبد الله وصالح ابنا الإمام أحمد، وحنبل ابن عمه، وأبو بكر المروذي، وإبراهيم الحربي، وأبو طالب، والميموني.

ومن تلاميذه رواة الأحاديث:

أ) محمد بن إسماعيل البخاري.

ب) مسلم بن الحجاج القشيري.

ج) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. أصحاب الصحاح.

ما صنف من الكتب في سيرة الإمام أحمد بن حنبل ومناقبه

١- "أخبار أحمد"، لأبي حفص بن شاهين محمد بن أحمد البغدادي. (ت: ٣٨٥هـ)

٢- "أخلاق أحمد"، للخلال. (ت: ٣١١هـ)

٣- "تقريب الطريق الأبعد في فضائل مقبرة أحمد"، لابن الجوزي. (ت: ٥٩٧هـ)

٤- "الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد"، للسعدي الحنبلي. (ت: ٩٠٠هـ)

٥- "فضائل أحمد"، لابن أبي حاتم. (ت: ٣٢٧هـ)

٦- "فضائل أحمد"، لأبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي. (ت: ٣٣٦هـ)

٧- "فضائل أحمد"، للقاضي أبي يعلى. (ت: ٤٥٩هـ)

٨- "محنة أحمد بن حنبل"، لابنه أحمد. (ت: ٢٧٣هـ)

٩- "محنة أحمد بن حنبل"، لابن عمه وتلميذه حنبل بن إسحاق. (ت: ٣٧٣هـ)

١٠- "محنة الإمام أحمد"، للحافظ عبد الغني المقدسي. (ت: ٦٠٠هـ)

١١- "مناقب الإمام أحمد"، للطبراني سليمان بن أحمد. (ت: ٣٦٠هـ)

١٢- "مناقب الإمام أحمد"، للإمام البيهقي الشافعي الصغير. (ت: ٤٥٨هـ)

١٣- "مناقب الإمام أحمد"، للخطيب البغدادي. (ت: ٤٦٣هـ)

١٤- "مناقب الإمام أحمد" لأبي علي البناء البغدادي. (ت: ٤٧١هـ)

١٥- "مناقب الإمام أحمد"، لابن أبي يعلى أبي الحسين الشهيد. (ت: ٥٢٧هـ)

تلكم خمسة عشر، وما تركنا ذكره هنا يربو على ما ذكرنا، فرضي الله تعالى عن هذا الحبر وأرضاه.

المبحث الثاني

في مراحل تدوين الفقه الحنبلي

المرحلة الأولى

مرحلة كتب مسائل الرواية عن الإمام أحمد -رضي الله عنه-:

وهي نحو مائة وسبعين كتابا، ولإمام المذهب فيه ثمانية كتب، وهي من كتب المفردات. منها:

"كتاب الأشربة".

وكتاب "المناسك الكبير".

وكتاب "المناسك الصغير".

و"كتاب الفرائض".

و"طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم-"، وغيرها.

ولم يصنف الإمام كتابا جامعا لأبواب الفقه. وأما المسائل فلقد هيأ الله -جلت قدرته- للإمام أصحابا كتبوا أقواله، وآرائه، وفتاواه، قيل: ستين ألف مسألة، وقد بلغ الكاتبون عنه العدد الكثير، وقد ذكرنا بعضهم في ذكر أصحابه.

المرحلة الثانية

مرحلة الكتب الجامعة لمسائل أحمد:

وصنف فيها تلامذة تلامذته، منهم:

١- أبو جعفر مَتُّوْيَه[1]، له الجامع المعروف بـ"جامع مَتُّوْيَه".

١- هو محمد ابن أبي عبد الله الهمداني، الملقب بـ"متويه"، بفتح الميم وتشديد التاء المثناة مضمومة وسكون الواو وفتح الياء، كذا ضبطه ابن ماكولا في "الإكمال": ٢٠٦/٧)

٢- وتلا أبا جعفر تلميذه الخلال[١] فألف جامعه، وقد وردت لجامعه عدة أسماء، مثل: "الجامع الكبير"، و"جامع الروايات"، و"الجامع لعلوم الإمام أحمد"، و"الجامع في الفقه"، وحجمه نحو عشرين سفرا.

وكان يقول الخلال: كان أبو بكر المروذي -شيخه- يقول لي: "إنه لم يعن بمسائل أحمد ما عنيت بها أنت، إلا رجل بهمدان يقال له: "متويه"، واسمه: محمد ابن أبي عبد الله، جمع سبعين جزء كبارا".

٣- ثم قفى الخلال تلميذه المشهور باسم غلام الخلال أبو بكر[٢]، فاجتهد في الجمع ورتب ونقح ورجح، وصنف "التنبيه"، و"المقنع"، و"زاد المسافر"، و"الشافي".

٤- ثم جاء بعد غلام الخلال تلميذه إمام الحنابلة في زمانه ومفتيهم أبو عبد الله الحسن بن حامد البغدادي[٣]، فألف كتابه "الجامع في المذهب" في نحو أربع مائة جزء، في عشرين مجلدا، جمع فيه جميع كتب المسائل مع "مختصر الخرقي".

ثم استقر عصر الرواية في القرن الخامس الهجري، ودون علم أحمد وفقهه في الدفاتر والكتب.

١- هو أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر المعروف بالخلال، سمع من جماعة من أصحاب أحمد مسائلهم لأحمد، منهم: صالح وعبد الله ابناه وإبراهيم الحربي، له التفاسير الدائرة والكتب السائرة، من ذلك: "الجامع لعلوم الإمام أحمد"، لم يصنف في المذهب مثله، و"أخلاق أحمد". (ت: ٣١١هـ) ودفن إلى جنب قبر المروذي عند رجل أحمد. و"الخلال": لعله نسبة إلى بيع الخل، ويشاركه في هذه النسبة آخرون من أصحاب أحمد وعند الإطلاق ينصرف إليه.

٢- هو عبد العزيز بن جعفر بن أحمد المتوفى سنة ٣٦٣هـ وهنا خبر اتفاق عجيب ذكره الخطيب في تاريخه، وعنه العليمي في "المنهج الأحمد" وعنهما الزركلي في الأعلام، قال: "إن الإمام أحمد عاش ٧٨ سنة، ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة، وأبا بكر المروذي عاش ٧٨ سنة، ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة، وأبا بكر الخلال عاش ٧٨ سنة، ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة، فلما كان صاحب الترجمة -غلام الخلال- في مرض موته حدث عواده بهذا الخبر، وقال: أنا عندكم إلى يوم الجمعة، فكان كما قال، وعاش ٧٨ سنة، ومات يوم الجمعة ودفن بعد الصلاة." انتهى

٣- خاتمة المتقدمين المتوفى سنة ٤٠٣هـ.

المرحلة الثالثة

مرحلة المتون والمختصرات على رواية أو روايتين أو على روايتين فأكثر وما يتبعها من الشروح والحواشي والترجيحات والتصحيحات:

ثم تنوعت بعد ذلك مؤلفاتهم في المتون، ينهلون من هذه الكتب المسندة، فيستخلصون المذهب رواية وتخريجا ونثرا ونظما وشرحا وتعليقا وهكذا ..... في مجموعة مباركة من المؤلفات المختصرة والمتوسطة والمطولة، فالمؤلفون على أمشاج:

١- "مختصر الخرقي"، لأبي القاسم عمر بن الحسين البغدادي[١]. وشرحه بنفسه، فهو أول ماتن في المذهب على الإطلاق، وأول شارح في المذهب، وأول شارح لكتابه.

وهو متن لم يخدم مثله بشروح وتخريجات وتعليقات وتقييدات وتدليلات، وليس في المذهب كتاب بلغ مبلغه في كثرة شروحه وما يتبعها، حتى ذكر ابن الهادي[٢] في كتابه "الدر النقي": "قال شيخنا عزالدين المصري: "ضبطت للخرقي ثلاث مائة شرح". آهـ

وقد حذا في ترتيبه حذو المزني في "مختصره"، فمن شروحه:

أ- شرحه -أي المؤلف-.

ب- "شرح الخرقي"، لابن شاقلا[٣].

ج- "شرح مختصر الخرقي"، لابن مسلم العكبري[٤].

د- "شرح الخرقي"، لخاتمة المتقدمين الحسن بن حامد.

هـ- "شرح الخرقي"، للقاضي أبي يعلى الفراء[٥].

١- ثم الدمشقي، (ت: ٣٣٤هـ) و"الخِرَقي" نسبة إلى بيع الثياب والخِرق.

٢- هو يوسف بن الحسن بن أحمد بن عبد الهادي، الصالحي الدمشقي. (ت: ٩٠٩هـ)

٣- هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد. (ت: ٣٦٩هـ)

٤- هو أبو حفص عمر بن إبراهيم العكبري. (ت: ٣٨٧هـ)

٥- هو محمد بن الحسين بن الفراء الكبير، تلميذ خاتمة المتقدمين، حامل لواء المذهب وناشره في زمانه، أول حنبلي ولي القضاء، وأول حنبلي من أهله -إذ كان أبوه الحسين حنفيا- . (ت: ٤٥٨هـ) و"الفراء": نسبة إلى خياطة الفراء وبيعها.

و- كتاب المقنع في شرح الخرقي"، لأبي علي البناء[١].

ز- "شرح الخرقي"، لابن الزاغوني[٢].

ح- "المغني في شرح مختصر الخرقي"، للموفق ابن قدامة المقدسي[٣]، جرى فيه على طريقة القاضي أبي يعلى في شرحه.

ط- "شرح الخرقي"، لسليمان الطوفي[٤].

ي- "شرح الخرقي"، للزركشي محمد بن عبد الله[٥].

وغيرها مما لسنا بصدد إحصائها هنا، أولها شرح المصنف، وأغناها "المغني" وقد اعتنى علماء المذهب بـ"المغني" اختصارا وتحشية، وآخرها شرح ابن المبرد[٦].

٢- "الإرشاد في الفقه والخصال والأقسام"، لابن أبي موسى الهاشمي القاضي،[٧] جرى فيه على طريقة ابن أبي زيد القيرواني في "الرسالة".

٣، ٤، ٥- "المجرد"، "التعليق"، "الروايتين"، ثلاثتها لأبي يعلى الفراء.

٦- "الهداية"، لأبي الخطاب الكَلْوَذَاني[٨].

٧- "المستوعب"، للسامُرِّي[٩] جمع فيه مسائل "الخرقي" و"التنبيه" لغلام الخلال، و"الإرشاد"

١- هو الحسن بن أحمد بن البناء، البغدادي الحنبلي. (ت: ٤٧١هـ) وهو القائل: "ليت الخطيب ذكرني في تاريخه، ولو في الكذابين".

٢- هو علي بن عبيد الله بن نصر. (ت: ٥٢٧هـ)

٣- هو مؤفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قدامة، الجماعيلي المقدسي. (ت: ٦٢٠هـ)

٤- هو أبو الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري. (ت: ٧١٦هـ)

٥- (ت: ٧٧٢هـ)

٦- هو أبو العباس أحمد بن الحسن بن أحمد بن عبد الهادي الصالحي. (ت: ٨٩٥هـ)

٧- هو الشريف أبو علي محمد بن أبي موسى الهاشمي البغدادي. (ت: ٤٢٨هـ)

٨- هو محفوظ بن أحمد البغدادي. (ت: ٥١٠هـ)

٩- هو محمد بن عبد الله بن الحسين، الفقيه الفرضي، المعروف بابن سنينة. (ت: ٦١٦هـ)

لابن أبي موسى، و"الجامع الصغير" و"الخصال" لأبي يعلى، و"الخصال" لابن البناء، و"الهداية" لأبي الخطاب، و"التذكرة" لابن عقيل.

٨، ٩، ١٠- "العمدة"، "المقنع"، "الكافي"، ثلاثتها للموفق ابن قدامة، ابن حنبل الثاني. صار الماتنون بعده تبعا له من طبقة المتوسطين، ثم طبقة المتأخرين إلى الآخر، واستقر أمر الناس على ذلك[1].

ومن شروح المقنع:

أ- "الشافي في شرح المقنع"، المشهور باسم "الشرح الكبير"، لعبد الرحمن ابن أبي عمر[2]، ابن أخي الموفق ابن قدامة، وقد استأذن الشيخ عبد الرحمن عمه الموفق بشرح "المقنع"، وأن يكون المغني هو مادة شرحه، فأذن له.

ب- "الممتع في شرح المقنع"، للتنوخي[3].

ج- "مجمع البحرين في شرح المقنع"، لابن عبد القوي الطوفي.

د- "شرح المقنع"، للشمس ابن مفلح[4].

هـ- "شرح المقنع"، لابن الشمس -المتقدم ذكره- البرهان ابن مفلح[5].

١- وقد راعى ابن قدامة في التأليف طبقات التلقي والطلب، كما راعى ذلك سيدنا المرغيناني -رحمه الله- في "البداية"، و"الهداية"، و"الكفاية"، فجعل ابن قدامة "العمدة" للمبتدئين على رواية واحدة، ثم "المقنع" لمن ارتفع عن درجتهم، فعدد فيه الروايات، وجرده من الدليل، ثم "الكافي" للمتوسطين، بناه على رواية واحدة مقرونة بالدليل، وقد عدد الروايات للتمرين، ثم "المغني في شرح الخرقي" وفيه الدليل، والخلاف العالي، والخلاف في المذهب، وعلل الأحكام، ومآخذ الخلاف وثمرته، ليفتح للمتفقه باب الاجتهاد في الفقهيات.

٢- هو شيخ الإسلام عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، شمس الدين. (ت: ٦٨٢هـ)

٣- هو المنجا بن عثمان التنوخي الدمشقي. (ت: ٦٩٥هـ)

٤- هو محمد بن مفلح بن مُفَرِّج الراميني ثم الدمشقي. (ت: ٧٦٣هـ)

٥- هو إبراهيم بن محمد بن مفلح بن مفرج الراميني المشهور كأسلافه بابن المفلح. (ت: ٨٠٣هـ) و"الرامين": من أعمال نابلس.

و- "المبدع شرح المقنع"، للبرهان أبي إسحاق ابن مفلح[1].

ز- "التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع".

١١- "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف"، كلاهما لمنقح المذهب علي بن سليمان المرداوي[2].

لما تفنن علماء المذهب في تأليف المتون في المذهب على الرواية، فمنهم من انتخب رواية واحدة، وعقدها على أنها المذهب، ومنهم من ألف على الروايتين، ومنهم من ألف عليهما وأكثر، ومنهم من أضاف إلى ذلك اجتهادات الأصحاب وتراجيحهم واختياراتهم في الأوجه والتخاريج والاحتمالات ونحوها. فكثر الخلاف واختلفت الروايات في المذهب واحتاجوا إلى تنقيحه، وبيان ما هو الراجح ليعمل به ويفتى، فقيض الله -جل وعلا- في القرن التاسع شيخ المذهب ومنقحه، فألف كتابه الحافل في جمع الروايات والتخاريج والأوجه والاحتمالات والأقوال في المذهب باسم "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف"، وجعل الراجح من الروايات ما قاله الأكثر، وصار بهذا للمذهب مجددا، ولشمله جامعا، ولرواياته وتخاريجه منقحا ومصححا.

١٢، ١٣- "المحرر"، "بلغة الساغب وبغية الراغب"، كلاهما للمجد ابن تيمية[3]. و"البلغة" على نمط "الوجيز" للغزالي.

١٤- "الوجيز" للدجيلي[4].

١٥- "الفروع"[5]، للشمس ابن مفلح. كتاب حافل لا يعرف له نظير في المذهب، معتمد لدى

١- هو إبراهيم بن محمد الأكمل بن عبد الله بن محمد بن مفلح بن مفرج الراميني. (ت: ٨٨٤هـ) وجده عبد الله هو أخو الشمس ابن مفلح المتقدم.

٢- هو علي بن أحمد بن سليمان بن أحمد، العلاء المرداوي، ثم الدمشقي الصالحي. (ت: ٨٨٥هـ)

٣- هو عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم، أبو البركات ابن تيمية الحراني. (ت: ٦٥٢هـ)

٤- هو الحسين بن يوسف بن أبي السري الدجيلي، ثم البغدادي، الفقيه سراج الدين. (ت: ٧٣٢هـ) و"الدجيلي": -بضم المهملة، وفتح الجيم، وسكون التحتية- نسبة إلى دجيل، نهر ببغداد.

٥- لقبت الحنبلية هذا الكتاب "مكنسة المذهب"؛ لأن صاحبه كنس المذهب فيه كنسا: جمع الروايات في المذهب جمعا، ثم نقحها ورجح بينها، وخرج تخريجا.

الحنبلية في تصحيح المذهب وتنقيحه، لا يستغني مشتغل بالمذهب عن النظر فيه. وعليه "النهاية في تصحيح الفروع" لأبي المحاسن جمال الدين المرداوي[١]. وقالوا: "المرداوي جد فروعه ومصحح فروعه"[٢].

١٦، ١٧- "الإقناع لطالب الانتفاع"، "زاد المستقنع في اختصار المقنع"، كلاهما لأبي النجا الحجّاوي[٣].

أما "الإقناع" فقد استمده الحجاوي عن "المستوعب" للسامرّي، وشرحه الشيخ منصور البهوتي[٤] بشرح فريد سماه "كشاف القناع عن متن الإقناع".

وأما "الزاد" فلم يؤلف متن مشبع بالمسائل والمهمات مثله، بَلهَ أن يفوقه في كثرتها واحتوائها.

وكما انفرد المنصور البهوتي بشرحه الماتع النافع "كشاف القناع" كذلك انفرد بشرح الزاد في كتابه "الروض المربع في شرح زاد المستقنع".

١٨- "منتهى الإرادات في الجمع بين المقنع والتنقيح وزيادات"، لأبي النجار الفتوحي[٥].

هذا الكتاب اعتمد عليه المتأخرون من عصر المؤلف، حتى كان والد المؤلف يقرئه للطلاب، ويثني عليه.

وكاد الكتاب لشهرته ينسي ما قبله من متون المذهب، فعكف الناس عليه شرحا وتحشية واختصارا وجمعا له مع غيره، فمن شروحه:

١- هو يوسف بن ماجد، أبو المحاسن، المرداوي. (ت: ٧٨٣هـ)

٢- بمعنى: أن ابن مفلح تزوج ابنة أبي المحاسن المرداوي، فصار أبو المحاسن جدا لأولاد ابن المفلح، وألف أبو المحاسن كتابه "النهاية" في تصحيح كتاب "الفروع" لابن المفلح.

قلت: هذا كما قالوا عن سيدنا الكاساني صاحب "البدائع" -رحمه الله-: "شرح تحفته وتزوج ابنته". وقد مر.

٣- هو موسى بن أحمد بن موسى المقدسي الصالحي. (ت: ٩٦٨هـ) و"الحجا": -بفتح الحاء- نسبة إلى "حجة" من قرى نابلس.

٤- هو منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي. (ت:١٠٥١هـ)

٥- هو أبو بكر تقي الدين محمد بن أحمد ابن عبد العزيز الفتوحي، المصري، الشهير بابن النجار. (ت: ٩٧٢هـ) و"الفتوحي": نسبة إلى باب الفُتوح بالقاهرة.

١- "شرح منتهى الإرادات"، للمؤلف نفسه، ويطلق عليه اسم "معونة أولي النهى في شرح المنتهى".

٢- "شرح المنتهى"،للبهوتي.

٣- "بغية أولي النهى في شرح المنتهى"، لابن العماد صاحب الشذرات[١].

٤- "شرح المنتهى"، للعوفي[٢].

وقد جمعه مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي[٣] مع "الإقناع"، وسماه "غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى"، متن مهم في المذهب.

١٩- "دليل الطالب لنيل المطالب"، لمرعي بن يوسف صاحب "غاية المنتهى"، اختصره من "منتهى الإرادات"، وقد اعتنى به الأصحاب شرحا وتحشية ونظما.

٢٠- "عمدة الطالب"، للشيخ منصور بن يونس البهوتي.

٢١، ٢٢- "كافي المبتدي"، "أخصر المختصرات"، كلاهما لابن بلبان[٤]، وبهما أقفل باب المتون في المذهب، وأسدل الحجاب.

فأما "كافي المبتدي" فقد شرحه الفقيه الفرضي أحمد بن عبد الله الدمشقي[٥] وسماه "الروض الندي شرح كافي المبتدي".

وأما "أخصر المختصرات" فهو متن مختصر جدا، اختصر فيه "كافي المبتدي"، وقد شرحه عبد الرحمن بن عبد الله البعلي الدمشقي[٦]، وسماه "كشف المخدرات والرياض المزهرات في شرح أخصر المختصرات".

١- هو عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد، أبو الفلاح العُكري الصالحي المؤرخ الكبير. (ت: ١٠٨٩هـ)

٢- هو إبراهيم بن أبي بكر الذنابي العوفي، تلميذ منصور البهوتي. (ت: ١٠٩٤هـ)

٣- (ت: ١٠٣٣هـ)

٤- هو محمد بن بدر الدين بلبان، البعلي الأصل الدمشقي، الشهير بالبلباني الخزرجي، الأنصاري. (ت: ١٠٨٣هـ)

٥- (ت: ١١٨٩هـ)

٦- (ت: ١١٩٢هـ) وهو أخو صاحب "الروض الندي" أحمد المتقدم. -

....

المصادر المقتبس منها في هذا الفصل السادس -مع التصرف-:

- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني.
- أحمد بن حنبل، لعبد الغني الدقر.
- طبقات الحنابلة، للقاضي ابن أبي يعلى الحنبلي.
- ذيل طبقات الحنابلة للقاضي ابن أبي يعلى، لابن رجب الحنبلي.
- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، لعبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي.
- المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل، لبكر بن عبد الله أبي زيد.
- الدر المنضد في أسماء كتب مذهب الإمام أحمد، للعلامة عبد الله بن علي السبيعي المكي الحنبلي.
- رفع النقاب عن تراجم الأصحاب، لإبراهيم بن محمد بن ضويان.

الفصل السابع

في بعض المصطلحات الفقهية المقارنة[١]

ويضم مباحث:

المبحث الأول

في ما يتعلق من المصطلحات بذكر الرجال في الفقه

يحسن بنا أن نعرِّف بشيء من المصطلحات التي استخدمها الفقهاء في عباراتهم، وما أودعوه في طي إشاراتهم، فنعرف ما أرادوا منها، فحيث قالوا:

"**الإمام**": يريدون به الإمام الأعظم أبا حنيفة -رضي الله عنه-، والمالكية يريدون به الإمام المأزري، والشافعية إمام الحرمين أبا المعالي الجويني. والإمام في أصول الدين وعلم الكلام: هو الفخر الرازي[٢]. وكثيرا ما يريدون بالإمام السلطان وخليفة الوقت، ويعلم ذلك من سياق العبارة.

"**الإمام الأعظم**": الإمام أبو حنيفة -رضي الله عنه-.

"**الأئمة الأربعة**": أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين-.

الأئمة الثلاثة": هم أبو عبد الله، وأبو عبد الله، وأبو عبد الله. -أعني: مالكا، والشافعي، وأحمد-رضوان الله تعالى عليهم-.

"**أئمتنا الثلاثة**": أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد -رضوان الله تعالى عليهم-.

"**الشيخان**": هما في الصحابة: الصديق الأكبر، والفاروق الأعظم -رضوان الله تعالى عليهما-،

١- الاصطلاح: اتفاق طائفة على أمر مخصوص بينهم.

٢- هو محمد بن عمر بن الحسين، أبو عبد الله الرازي، التيمي الشافعي، سلطان المتكلمين، ذو التصانيف الكثيرة، منها: "التفسير الكبير"، و"المحصول"، أخذ عن البغوي، وكان إذا ركب يمشي في خدمته نحو ثلاث مائة تلميذ فقهاء وغيرهم. (ت: ٦٠٦هـ) ر: طبقات المفسرين، مفسر رقم: ٥٥٠.

وفي المحدثين: محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري -رحمهما الله تعالى-، وهما في الفقه الحنفي: أبو حنيفة وأبو يوسف، وفي الفقه المالكي: ابن أبي زيد القيرواني وأبو بكر الأبهري[١]، وفي الفقه الشافعي: الرافعي والنووي، وفي الفقه الحنبلي: الموفق ابن قدامة صاحب المغني والمجد ابن تيمية صاحب المحرر جد شيخ الإسلام ابن تيمية.

"الشيوخ": هم الرافعي، والنووي، والتقي السبكي[٢] من الشافعية.

"المشايخ": هم أصحاب أبي يوسف ومحمد -رضي الله عنهما-، وأصحاب أصحابهما وهلم جرا.... ممن سبق ذكرهم من المجتهدين في المذهب.

"عامة المشايخ": كقولهم: "به قال عامة المشايخ" أو "هو قول العامة"، يريدون به قول الأكثر.

"القاضي": الإمام قاضي خان، أو القاضي الدبوسي من فقهاءنا. وإذا أطلق "القاضي" في الفقه المالكي فالمراد به القاضي عياض اليحصبي[٣]، وكذلك إذا أطلق في كتب الحديث، وإذا أطلق في كتب المتقدمين من الشافعية فالمراد به القاضي أبو حامد المَرْوَرُّوْذِي[٤] وإذا أطلق في كتب

١- هو محمد بن عبد الله بن محمد، التميمي المالكي، سكن بغداد، له تصانيف في شرح مذهب مالك، والاحتجاج له، والرد على من خالفه. (ت: ٣٧٥هـ) ر: الديباج المذهب، ترجمة رقم: ٤٧٢ .

٢- هو علي بن عبد الكافي بن علي السبكي المصري، تفقه على ابن الرفعة، وأخذ عنه الحفاظ: أبو الحجاج المزي والذهبي وأبو محمد البرزالي وغيرهم، له: "التحبير المذهب في تحرير المذهب" شرح على المنهاج، وغيره. (ت: ٧٥٦هـ) انظر: طبقات ولده تاج الدين السبكي، ترجمة رقم: ١٣٩٣.

٣- هو عياض بن موسى بن عمرون، القاضي أبو الفضل، سبتي الدار والميلاد، أندلسي الأصل، المفسر المحدث الفقيه الحافظ لمذهب مالك، أخذ عن المازري وغيره، له تصانيف مقبولة. (ت: ٥٤٤هـ) ر: طبقات المفسرين، مفسر رقم: ٣٩٨، والديباج المذهب. قلت: ناهيك من تصانيفه بـ"الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم"، و"ترتيب المدارك وتقريب المسالك".

٤- هو أحمد بن بشر بن عامر العامري المرورذي، صنف "الجامع"، وشرح مختصر المزني. (ت: ٣٦٢هـ) ر: طبقات السبكي، ترجمة رقم: ٧٧، ومختصر طبقات الفقهاء، ترجمة رقم: ٩٦.

المتأخرين منهم فالمراد به القاضي حسين بن محمد المرورذي[١] صاحب التعليقة. وإذا أطلق في كتب الأصول والكلام فالمراد به القاضي أبو بكر الباقلاني[٢].

"**القاضيان**": هما القاضي عبد الوهاب، وأبو الحسن ابن القصار[٣] من المالكية. وهما من الشافعية: الرؤياني والماوردي.

"**الصاحبان**": هما أبو يوسف ومحمد السابقان الأولان من أصحاب الإمام أبي حنيفة -رضي الله عنهم-.

"**الأصحاب**": هم جل أعلام المذهب وفقهائه -أيّ مذهب كان-.

"**أصحابنا**": علمائنا الثلاثة، وقد يريدون به علماء المذهب مطلقا.

أصحاب الوجوه": في مصطلح الشافعية هم المجتهدون في المسائل التي لا نص فيها عن صاحب المذهب، كأبوي بكر القفالين: الكبير الشاشي[٤]، والصغير المروزي[٥]، وأمثالهما.

١- هو حسين بن محمد بن أحمد، أبو علي القاضي، الإمام الجليل أحد رفعاء الأصحاب، جبل الفقه المنيع، تفقه على القفال المروزي، وتفقه عليه إمام الحرمين وغيره. (ت: ٤٦٢هـ) ر: طبقات السبكي، رقم الترجمة: ٣٩٤.

٢- هو محمد بن الطيب بن محمد، القاضي المعروف بالباقلاني، البصري المتكلم المشهور، كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، سكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة في علم الكلام وغيره، وكان موصوفا بسرعة الجواب. (ت: ٤٠٣هـ) ر: وفيات الأعيان. قلت: كان الباقلاني مالكي المذهب، تربو مؤلفاته على ٣٠ كتابا في شتى العلوم. و"الباقلاني": نسبة إلى الباقلاء، كالفاكهاني إلى الفاكهة، نسب إليه لأنه كان يبيعه.

٣- هو علي بن عمر بن أحمد، أبو الحسن الفقيه المالكي، تفقه بالأبهري، كان أصوليا نظارا، ولي قضاء بغداد، له: كتاب في مسائل الخلاف. (ت: ٣٩٨هـأو ٣٩٧هـ) ر: تاريخ بغداد، وترتيب المدارك.

٤- هو محمد بن علي بن إسماعيل تفقه على ابن سريج، وكان إمام عصره بما وراء النهر، وأعلمهم بالأصول، من أجل مصنفاته: "محاسن الشريعة"، و"شرح الرسالة للشافعي". (ت: ٣٦٥هـ) ر: تهذيب الأسماء واللغات، اسم رقم: ٩١٩.

٥- هو عبد الله بن أحمد بن عبد الله، القفال المروزي، أحد أئمة الدنيا شيخ طريقة خراسان، وحامل لوائها، (ت: ٤١٧هـ) ر: طبقات السبكي، ترجمة رقم: ٤٢٧.

قلت: قد ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان" عند ذكره "مرو الشاهجان" فأخطأ في اسمه وسماه عبد الرحمن بن أحمد، وقال: "حدثني بعض فقهاء مرو بفنين -من قراها- أن القفّال الشاشي صنع قفلا ومفتاحا وزنه دانق واحد، فأعجب الناس به جدّا، وسار ذكره، وبلغ خبره إلى القفّال هذا، فصنع قفلا مع مفتاحه وزنه طسّوج، وأراه الناس فاستحسنوه، -

"**الأول**": الإمام أبو حنيفة -رضي الله عنه-.

"**الثاني**": الإمام أبو يوسف -رضي الله عنه-.

"**الثالث**": الإمام محمد بن الحسن -رضي الله عنه-.

"**المحمدان**": هما محمد بن سحنون ومحمد بن المواز المالكيان.

"**المحمدون الأربعة**": هم: محمد بن نصر المروزي(١)، ومحمد بن إبراهيم بن المنذر(٢)، ومحمد بن جرير الطبري(٣)، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة(٤) الشافعيون.

"**الربيعان**": هما الربيعان، ابنا سليمانين، أبوا محمد المصريان، صاحبا الشافعي وراويا الجديد عنه، والامتياز بينهما في النسبة وتاريخ الوفاة، فأحدهما أزدي مولاهم الجيزي، المتوفى سنة ٢٥٦هـ . والثاني مرادي مولاهم، المتوفى ٢٧٠ هـ، فإذا أطلق في الكتب يراد به المرادي، وإذا أرادوا الجيزي قيدوه بالجيزي.

-ولم يشع له ذكر، فقال يوما لبعض من يأنس إليه: ألا ترى كلّ شيء يفتقر إلى الحظ؟ عمل الشاشي قفلا وزنه دانق وطنّت به البلاد، وعملت أنا قفلا بمقدار ربعه، ما ذكرني أحد! فقال له: إنما الذكر بالعلم لا بالأقفال، فرغب في العلم واشتغل به وقد بلغ من عمره أربعين سنة، وجاء إلى شيخ من أهل مرو وعرّفه رغبته فيما رغب فيه، فلقّنه أول كتاب المزني، وهو: "هذا كتاب اختصرته"، فرقي إلى سطحه وكرّر على هذه الثلاثة ألفاظ من العشاء إلى أن طلع الفجر، فحملته عينه فنام، -

ثم انتبه وقد نسيها، فضاق صدره وقال: أيش أقول للشيخ؟

وخرج من بيته فقالت له امرأة من جيرانه: يا أبا بكر لقد أسهرتنا البارحة في قولك: "هذا كتاب اختصرته"، فتلقنها منها، وعاد إلى شيخه وأخبره بما كان منه، فقال له: لا يصدّنّك هذا عن الاشتغال، فإنك إذا لازمت الحفظ والاشتغال صار لك عادة، فجدّ ولازم الاشتغال حتى كان منه ما كان، فعاش ثمانين سنة أربعين جاهلا وأربعين عالما.

هذا كلام ياقوت.

١- الإمام الجليل، أبو عبد الله. (ت: ٢٩٤هـ)

٢- الإمام أبو بكر النيسابوري، صاحب "الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف" في ١٥ مجلدا. (ت: ٣٠٩هـ)

٣- هو محمد بن جرير بن يزيد الإمام الجليل المجتهد. (ت: ٣١٠هـ)

٤- إمام الأئمة أبو بكر السلمي، سمع إسحاق بن راهويه وخلائق، روى عنه البخاري ومسلم في غير الصحيح، وعدد. (ت: ٣١١هـ) ر: طبقات السبكي، ترجمة رقم: ١٢٠.

"**القفالان**": أبوابكر: محمد بن علي الشاشي القفال الكبير، وعبد الله بن أحمد المروزي القفال الصغير[١]، وعند الإطلاق في كتب الفقه يراد الصغير المروزي، وعند الإطلاق في كتب التفسير والحديث يراد به القفال الكبير الشاشي.

"**المدنيون**": في الفقه المالكي هم: ابن كنانة[٢]، وابن مسلمة[٣]، وابن نافع[٤]، وابن الماجشون ونظرائهم.

"**المصريون**": من المالكية هم: ابن القاسم، وأشهب، وابن وهب، وأصبغ، وابن عبد الحكم وأمثالهم.

"**القرويون**": من المالكية هم: سحنون، وابنه محمد، وابن عبدوس، وابن أبي زيد، وابن اللباد[٥] وغيرهم.

"**المغاربة**": من المالكية: ابن أبي زيد، وابن القابسي[٦]، والباجي، وابن اللباد، واللخمي، وابن رشد ونظرائهم.

١- مر التعريف بهما قريبا.

٢- هو عثمان بن عيسى بن كنانة، جلس في حلقة مالك بعد وفاته، لم يكن عند مالك أضبط منه. (ت: ١٨٦هـ/ ١٨٥هـ) ر: ترتيب المدارك.

٣- هو محمد بن مسلمة بن محمد، أحد فقهاء المدينة من أصحاب مالك وكان من أفقههم، له كتب أخذت عنه. (ت: ٢١٦هـ) ر: الانتقاء، وترتيب المدارك.

٤- هو عبد الله بن نافع الصائغ، مفتي المدينة برأي مالك، سمع منه سحنون، سماعه مقرون بسماع أشهب في "العتبية" ويعرف مع أشهب بالقرينين. (ت: ١٨٦هـ) ر: ترتيب المدارك.

٥- هو أبو بكر، محمد بن وشاح المعروف بابن اللباد، كان رجلا صالحا فقيها، عالما باختلاف أهل المدينة واجتماعهم، له "كتاب الآثار والفوائد". (ت: ٣٣٣هـ) ر: الديباج المذهب، علم رقم: ٤٦٤.

٦- هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري، كان أعمى لا يرى شيئا، وهو مع ذلك من أصح الناس كتبا، وأجودهم ضبطا يضبط كتبه بين يديه ثقات أصحابه، له تواليف بديعة. (ت: ٤٠٣هـ) ر: الديباج المذهب، علم رقم: ٣٨٨.

"**العراقيان**": هما الإمامان: أبو حنيفة وابن أبي ليلى الفقيه[1].

"**العراقيون من مشايخنا**" -نحن الحنفية-: هم محمد بن شجاع الثلجي، وأبو سعيد البردعي، وأبو الحسن الكرخي، وأبو بكر الجصاص، والحسين بن علي الصميري، وأبو الحسين القدوري، وأبو عبد الله الدامغاني الكبير[2] ونظرائهم -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين-.

"**العراقيون أو البغداديون من المالكية**": هم القضاة: إسماعيل صاحب "المبسوط"، وابن القصار، وعبد الوهاب صاحب "التلقين"، وابن الجلاب صاحب "التفريع"[3]، والأبهري ونظرائهم.

"**العراقيون -الخراسانيون/ طريقة العراق- طريقة خراسان**": هما من أهم المصطلحات الشافعية، ليس بشافعي من لم يعرفهما حق المعرفة.

وهما طريقتان انتشرتا في القرن الرابع الهجري والخامس الهجري، ثم جمع بينهما، وانقرضتا وأصبحتا في ذمة التاريخ.

فطريقة العراق كانت بزعامة أبي حامد الأسفرائيني[4]. وهو شيخ العراقيين، وتبعه جماعة لا يحصون، من رؤوسهم: الماوردي صاحب "الحاوي الكبير"، والقاضي أبو الطيب الطبري[5]، وأبو إسحاق الشيرازي صاحب "المهذب" وغيرهم.

١- ابن أبي ليلى اثنان: عبد الرحمن ابن أبي ليلى، وابنه محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، وللتمييز يسمى الوالد بابن أبي ليلى الكبير المحدث، والابن بابن أبي ليلى الصغير الفقيه. والمراد هنا الصغير، وقد عقد الإمام الشافعي في "الأم" كتاب اختلاف العراقيين، يعني أبا حنيفة وابن أبي ليلى.

٢- هو محمد بن علي بن محمد الدامغاني، انتهت إليه رئاسة العراقيين، وولي القضاء بعد موت ابن ماكولا، تفقه على الصيمري، وفي "سير أعلام النبلاء": "وكان يورد في درسه من الملاعبات والنوادر نظير ما يورد الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، فإذا اجتمعا كان اجتماعهما نزهة". آهـ، له شرح "مختصر الحاكم". (ت: ٤٧٨هـ) ر: الفوائد البهية.

٣- هو عبيد الله بن الحسين بن الحسن، أبو القاسم بصري، تفقه بالأبهري، كان من أحفظ أصحاب الأبهري وأنبلهم، له "التفريع". (ت: ٣٧٨هـ) ر: الديباج المذهب، ترجمة رقم: ٣٠١.

٤- هو أحمد بن محمد بن أحمد الأسفرائيني، شيخ طريقة خراسان، حافظ المذهب وإمامه، تفقه على ابن المرزبان والداركي، وكان يحضر مجلسه سبع مائة متفقه، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لفرح به، وكان أبو الحسين القدوري [من الحنفية] يعظمه، ويفضله على كل أحد. (ت: ٤٠٦هـ) ر: طبقات السبكي، ترجمة رقم: ٢٧١.

٥- هو طاهر بن عبد الله بن طاهر. (ت: ٤٥٠هـ)

أما طريقة الخراسانيين، فكانت بزعامة القفال الصغير، إمام الخراسانيين وشيخهم. وتبعه خلق لا يحصون، منهم: أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين[١]، وأبو القاسم الفوراني[٢]، والقاضي حسين صاحب التعليقة" وغيرهم. ويقال لهم: "المراوزة" أيضا[٣].

قال شيخ المذهب النووي: "اعلم أن نقل أصحابنا العراقيين لنصوص الشافعي -رضي الله عنه- وقواعد مذهبه، ووجوه متقدمي أصحابنا أتقن وأثبت من نقل الخراسانيين غالبا، والخراسانيون أحسن تصرفا وبحثا وتفريعا وترتيبا غالبا. ثم جاء بعض الفقهاء فجمعوا بين الطريقين، منهم: الرؤياني، وإمام الحرمين الجويني"[٤]. آهـ

"**العراقيون**": إذا أطلق في كتب المذاهب الفقهية في الخلاف العالي فالمعنيون بهم الحنفية.

"**علمائنا - فقهاءنا**": هم علماءنا الثلاثة: أبو حنيفة الإمام وصاحباه -رضوان الله تعالى عليهما-.

"**المتقدمون - المتأخرون**": المتقدمون في مذهبنا هم: أصحاب أبي يوسف ومحمد -رضي الله عنهما- وأصحاب أصحابهما، وهلم جرا إلى شمس الأئمة الحلواني.

والمتأخرون هم: من جاء بعد الحلواني إلى حافظ الدين الكبير البخاري[٥][٦].

والمتقدمون من المالكية: هم من أصحاب مالك -رضي الله عنه- إلى طبقة ابن أبي زيد

١- هو عبد الله بن يوسف الجويني، شارح "الرسالة" و "المزني"، شيخ الشافعية. (ت: ٤٣٨هـ)

٢- هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران، تلميذ القفال الصغير، صاحب "الإبانة". (ت: ٤٦١هـ)

٣- اعلم أن نسبة العراقي أو الخراساني لا علاقة لها بالعرق والميلاد، وإنما تأتي هذه النسبة من الشيوخ والتلقي وموطن المدارسة، فقد يكون الصاحب خراساني الأصل والعرق، لكنه سمع من شيوخ العراق فهو حينئذ عراقي، وأوضح المثال على ذلك الشيخ أبو حامد الأسفرائيني، شيخ العراقيين، فهو أسفرائيني المولد بل والنشأة ، تفقه على شيوخ العراق فصار بهذا عراقيا.

٤- مقدمة "المجموع": فصل في بيان القولين والوجهين والطريقين.

٥- هو محمد بن محمد بن نصر، أبو الفضل، كان شيخا كبيرا حافظا ثقة متقنا، أخذ عن حسام الدين السغناقي وشمس الدين الكلاباذي وغيرهما. (ت: ٦٩٣هـ) ر: الفوائد البهية.

٦- وقيل: المتقدمون هم: الإمام أبو حنيفة وأصحابه، والمتأخرون هم: أصحاب أبي يوسف ومحمد، وأصحاب أصحابهما، وهلم جرا.

صاحب الرسالة"، ومن طبقة ابن أبي زيد ومن جاء بعدهم هم المتأخرون.

والمتقدمون من الشافعية: هم أصحاب الوجوه من القرن الرابع. والمتأخرون من جاء بعدهم، وأما أهل القرن الثالث -وهم أصحاب الشافعي- فهم المجتهدون في المذهب، لا يصفونهم بالتقدم والتأخر.

والمتقدمون من الحنبلية: هم من أصحاب الإمام أحمد إلى الحسن بن حامد، ثم المتوسطون: وهم من تلامذة ابن حامد -وعلى رأسهم القاضي أبو يعلى- إلى البرهان ابن مفلح، صاحب "المبدع"، ثم المتأخرون: وهم من العلاء المرداوي إلى الآخر.

"**شمس الأئمة**": يحمل هذا اللقب عدة من فقهاءنا، وعند الإطلاق يراد به شمس الأئمة السرخسي -رضي الله عنه-، وفيما عداه يطلق مع ذكر الاسم أو النسبة أو كليهما، كشمس الأئمة الحلواني، وشمس الأئمة الكردري، وشمس الأئمة الزرنجري[١]، وشمس الأئمة محمود الأوزجندي[٢] وغيرهم.

"**صدر الشريعة**": اشتهر بهذا اللقب اثنان من فقهاءنا، أحدهما: أحمد بن عبيد الله المحبوبي، والثاني: حفيده عبيد الله المحبوبي. وللتمييز يوصف الأول بصدر الشريعة الأكبر، والثاني بصدر الشريعة الأصغر.

"**فخر الإسلام**": يحمل جماعة من فقهاءنا لقب "فخر الإسلام"، وعند إطلاقه في كتب الفقه أو الأصول يراد به غالبا علي بن محمد البزدوي صاحب "الأصول" -رحمه الله-.

"**أبو حنيفة الصغير**": هو أبو جعفر الهندواني، صاحب "ترتيب الجامع الصغير".

"**مالك الصغير**": هو ابن أبي زيد القيرواني صاحب "الرسالة".

"**الشافعي الصغير**": هو شمس الدين الرملي، صاحب "نهاية المحتاج".

"**ابن حنبل الثاني**": هو الموفق ابن قدامة، صاحب "المغني".

١- هو بكر بن محمد بن علي، الإمام المتقن الذي يضرب به المثل في حفظ المذهب، تفقه على شمس الأئمة الحلواني. (ت: ٥١٢هـ) و"الزرنجري": نسبة إلى "زرنجر" -بفتح الزاي والراء وسكون النون وفتح الجيم وفي آخرهاراء- معرب زرنكر، قرية من قرى بخارى. ر: الفوائد البهية.

٢- هو محمود بن عبد العزيز الأوزجندي، تفقه على شمس الأئمة السرخسي.

"**الحسن**": إذا أطلق في كتب التفسير أو الحديث فالمراد به الحسن البصري -رحمه الله- وإذا أطلق في كتب أصحابنا فالمراد به الحسن بن زياد اللؤلؤي -رحمه الله-.

"**عنده**": إذا قالوا: "هذا الحكم عنده"، أو "هذا مذهبه" ولم يكن مرجعه مذكورا سابقا يرجع الضمير إلى الإمام أبي حنيفة -رضي الله عنه-؛ لكونه مذكورا حكما، وكذا "له" وما أشبه ذلك.

"**عندهما**": يرجع ضميره إلى الإمامين الصاحبين -رضي الله عنهما- إذا لم يسبق مرجعه، وقد يراد به أبو يوسف وأبو حنيفة، ومحمد وأبو حنيفة إذا سبق لثالثهما ذكر في مخالف ذلك الحكم، مثلا إذا قالوا: "هذا عند محمد وعندهما كذا"، يراد به أبو يوسف وأبو حنيفة، وإذا قالوا: "هذا عند أبي يوسف وعندهما كذا" يراد به أبو حنيفة ومحمد -رضوان الله تعالى عليهم-.

المبحث الثاني

في ما يرجع منها إلى الأحكام التكليفية وما يتصل بها

"**الأحكام التكليفية الخمسة**": هي الفرض والواجب والسنة والحرام، والمكروه.

وقد يذكرون الأحكام الخمسة ويريدون الفرض والسنة والمباح، والحرام، والمكروه[١].

الفرض: يطلق على معنيين:

أ) ما ثبت بدليل قطعي من ركن أو شرط، كالصلوات الخمس، والطهارة لها، والزكاة، والصيام، والحج وغيرها.

ب) ما يفوت بفواته الشيء -من شرط أو ركن- فهو فرض لذلك الشيء، وإن كان ثابتا بدليل غير قطعي.

ثم الفرض يتنوع إلى نوعين:

الفرض العيني: هو ما يفترض القيام به على كل مكلف بعينه، ولا يسقط بفعل بعض الناس عن بعض، كأداء الصلوات المكتوبة، وصيام رمضان، وأداء الزكاة، وكتعلم ما يحتاج إليه العبد في إقامة دينه وإخلاص عمله لله تعالى.

والفرض الكفائي: هو ما يُلْزَم به جماعة المكلفين، فإذا قام به بعضهم سقط عن الباقين، وفاعله هو الذي يختص بالثواب دون الأخرين، وبتركه أصلا يعصي المتمكنون منه كلهم، مثل تعلم الفقه وسائر العلوم الشرعية والتبحر فيها، ومثل صلاة الجنازة، ورد السلام وغير ذلك.

الركن: ما به قيام الشيء -الحكم الشرعي ونحوه- ووجوده، ويفوت بفواته، كالقيام والقراءة والركوع والسجود في الصلاة.

١- وجه انحصار الأحكام الشرعية في هذه الأقسام الخمسة: أن أفعال المكلفين قسم منها رضيه الله تعالى، وقسم سخطه، وقسم لا رضا فيه ولا سخط، فالأول يشمل الفرض والواجب والمندوب، والثاني المحرم والمكروه، والثالث المباح والحلال.

الشرط: ما يتوقف عليه وجود الشيء، وكان خارجا عنه مقدما عليه أو مقارنا له، غير مؤثر في وجوده، كالطهارة للصلاة، وستر العورة، واستقبال القبلة ونحوها.

العلة: ما يكون مؤثرا في وجود الشيء، كالقدر والجنس علة في تحريم الربا.

السبب: هو الطريق المفضي إلى الشيء في الجملة، كحفر البير في الطريق سبب مفض في الجملة إلى الهلاك، فيضمن الحافر التالف فيها.

وقد ينعكس الإطلاق بين العلة والسبب والشرط فيستعمل كل واحد منها بمعنى الأخر، فإنهم -رحمهم الله- يقولون: الوقت سبب وجوب الصلاة، ودخول رمضان سبب وجوب الصوم، مع أنهما علتان مؤثرتان في الوجوب.

الواجب: يطلق على معان:

أ) ما يكون لازما، وبهذا المعنى يشمل الفرض القطعي وغير القطعي، والشرط والركن، وما ينتقص به الشيء ولا يفوت، فهذا إطلاق عام.

ب) ما ثبت لزومه بدليل غير قطعي.

ج) ما ينتقص به الشيء نقصا عظيما ولا يبطل.

وهذه الدرجة إنما أدركها الإمام أبو حنيفة وأصحابه -رضي الله عنهم-، وغيرهم من الأئمة لا يفرقون بين الفرض والواجب.

السنة: تطلق على عدة معان:

أ) الحكم الشرعي فرضا كان أو واجبا أو مندوبا.

ب) ما هو مطلوب شرعا بالتأكيد، ولا يكون واجبا أو فرضا، كسنن الصلوات والسنن في الصلوات، وسنة الشيء على هذا المعنى ينتقص بتركه الشيء دون نقص الواجب.

ج) ما رغب فيه الشرع الشريف وندب إليه، ولم يوجبه. وعلى هذا يتناول المستحبات -أي السنن غير المؤكدة-.

د) الحديث الشريف من قوله أو فعله أو تقريره -صلى الله عليه وسلم-.

هـ) طريقة وعادة مسلوكة، حسنة أو سيئة. قال -صلى الله عليه وسلم-: «من سن في الإسلام

سنة حسنة ...» الحديث[١].

المندوب: ما رغب فيه الشرع الشريف من غير أن يعزم عليه ويؤكد فيه.

المباح: يطلق إطلاقين:

أ) ما خير فيه الشرع بين فعله وتركه، فيجوز فعله وتركه. كالاصطياد ونحوه.

ب) ما لا يكون مملوكا لأحد.

الجائز: يطلق إطلاقات:

أ) المنعقد الصحيح، مقابل الفاسد. يقال: جاز البيع، أي صح وانعقد.

ب) غير اللازم، مقابل اللازم. كالبيع بالوفاء يقال له: البيع الجائز، بمعنى غير لازم.

ج) النافذ، مقابل الموقوف، يقال: جاز عليه، أي نفذ عليه.

د) المباح الحلال، مقابل الحرام والمكروه التحريمي.

هـ) الجواز بمعنى الإمكان والاحتمال، يقال: جاز أن يكون كذا، أي يحتمل ويمكن.

الحرام: يطلق إطلاقين:

أ) الممنوع شرعا بدليل قاطع.

ب) الممنوع شرعا مطلقا، وإن كان بدليل غير قاطع.

ويرادف الحرام ألفاظ أخرى، كـ: المحظور، والمعصية، والذنب، والممنوع، والقبيح، والفاحشة، والإثم.

المكروه: يطلق غالبا عند الحنفية على المكروه تحريما، وأحيانا على المكروه تنزيها -خلاف الأولى -. وعند غيرنا يطلق المكروه غالبا على خلاف الأولى. والجواز يجامع الكراهة التنزيهية، ولا يجامع الكراهة التحريمية.

الإساءة: درجة بين الكراهة التحريمية والكراهة التنزيهية. ذكرها في "رد المحتار".

١- أخرجه مسلم برقم:٢٣٥١، وتمامه: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

العزيمة: ما كان العبد مطالبا به ابتداء غير مبني على الحاجة أو الضرورة.

الرخصة: ما كانت مشروعيته مبنية على الضرورة والحاجة وإن كان واجبا في نفسه، كالقصر حالة السفر، أو كان مباحا، كالإفطار حالة السفر.

قال الإمام البزدوي -رحمه الله-: "العزيمة: حكم أصلي غير متعلق بالعوارض [من أعذار الإنسان] والرخصة: اسم لحكم بني على أعذار العباد". آهـ[1]

فالعزيمة عامة لجميع العباد وجميع الأحوال، وهي الأحكام الأصلية، من الفرائض والواجبات والسنن. والرخصة تشمل أربعة أحكام شرعية، فتكون واجبة ومندوبة ومباحة ومكروهة تنزيها.

١- أصول البزدوي مع شرحه "الكافي" للسغناقي: باب العزيمة والرخصة: ١١٥٣/٣.

المبحث الثالث

في ما يرجع منها إلى التعليل والتدليل والتصحيح والترجيح في الفقه

التعليل: -علل المسألة- ذكرالعلة المؤثرة فيها.

التدليل: ذكر الدليل للمسألة.

لقوله تعالى: يستدل بالكتاب الكريم الذي هو أهم مصادر التشريع الإسلامي، وأول ينبوع من ينابيع الأحكام، بل هو ينبوع جميع الينابيع.

لقوله عليه الصلاة والسلام: يستدل بالسنة التي هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

التخريج: وهو أنواع:

أ) تخريج الأصول من الفروع، وهذا عمل علماء أصول الفقه.

ب) تخريج الفروع على الأصول، وقد أفردت فيه مؤلفات، مثل: "تخريج الفروع على الأصول" للزنجاني الشافعي وغيره.

ج) تخريج الفروع على الفروع.

د) تخريج الحكم من مفهوم كلام الإمام دون المنطوق.

هـ) توضيح رواية مبهمة بتعيين أحد الاحتمالات فيها. وهذا كله من أعمال المجتهدين في المذهب.

النقل والتخريج: من مصطلحات الشافعية، وهو: أن يجيب الشافعي -رضي الله عنه- بحكمين مختلفين في صورتين متشابهتين، ولم يظهر ما يصلح للفرق بينهما، فينقل الأصحاب جوابه في صورة إلى الأخرى فيحصل في كل صورة منهما قولان: منصوص ومخرج، ويقال: "فيهما قولان بالنقل والتخريج". والغالب في مثل هذا عدم إطباق الأصحاب على التخريج، بل منهم من يخرج ومنهم من يبدي فرقا بين الصورتين.

والأصح أن القول المخرج لا ينسب للشافعي؛ لأنه ربما روجع فيه فذكر فارقا[١].

وكذلك المالكية يطلقون التخريج بهذا المعنى.

وقد يقع لمشايخنا -الحنفية- أيضا في الصورتين المتشابهتين حكمان مختلفان، ولم يعهد عنهم استعمال هذا المصطلح، إلا أننا لو استعملناه لكان أحسن لكونه مصطلحا حسنا جامعا. والله أعلم.

والتخريج عند الحنبلية: نقل الحكم من مسألة إلى ما يشبهها والتسوية بينهما فيه.

الرواية -الروايتان- الروايات: يطلق هذا كله على ما نقل عن أئمتنا الثلاثة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد -رضي الله عنهم-، وفي سائر المذاهب على ما نقل عن إمام المذهب فقط.

القول - القولان - الأقوال: رأي إمام المذهب -أي مذهب كان من المذاهب الأربعة- في مسألة من المسائل. ثم قد يكون للإمام قولان وقد يكون أقوال، منها الراجح والمرجوح، ومنها المرجوع عنه، ومنها المفتى المعمول به والمتروك.

النص: عندنا: نص الكتاب أو السنة. وفي مصطلح الشافعية: القول المنصوص عليه في كتب الشافعي -رضي الله عنه-، سمي بذلك لأنه مرفوع إلى الإمام، أو لأنه مرفوع القدر لتنصيص الإمام عليه. وكذلك عند الحنبلية النص هو المنقول عن الإمام أحمد -رضي الله عنه-.

النقل: -في الفقه الحنبلي- يطلق على ما نقل عن الإمام أحمد -رضي الله عنه-.

الطريق - الطريقان - الطرق: هي اختلاف مشايخ المذهب في حكاية المذهب، فيقول بعضهم مثلا: في المسألة قولان، أو وجهان. ويقول الأخر: لا يجوز قولا واحدا، أو وجها واحدا. أو يقول أحدهما: في المسألة تفصيل. ويقول الآخر: فيها خلاف مطلق. وعلى هذا اصطلاح المالكية والشافعية. والأولى الجمع بين الطرق مهما أمكن.

الوجه - الوجهان - الوجوه: هي آراء أصحاب الإمام الشافعي المنتسبين إلى مذهبه، يخرجونها على أصوله.

١- ذكره الخطيب الشربيني في أوائل "مغني المحتاج" نقلا عن النووي في شرح المهذب و"الروضة" في القضاء.

وقد يكون الوجهان لشخصين، أو لشخص. والذي لشخص ينقسم كانقسام القولين. وكذلك "الوجه" أو "الوجوه" في الفقه الحنبلي يطلق على تخريجات الأصحاب.

الصحيح: هو الحكم الفقهي الذي صحت نسبته إلى الإمام، أو الذي صح دليله، أو عند من صححه، ويكون ما خالفه خطأ أو في غاية الضعف.

الأصح: هو الحكم الفقهي الراجح في المذهب من بين آراء الأصحاب، ويكون مقابله أيضا صحيحا.

الأظهر: هو الرأي الراجح الأظهر دليلا أو ثبوتا عن الإمام من القولين أو الأقوال، ومقابله أيضا يكون ظاهرا.

الظاهر: ما يكون مقابله خفيا دليلا أو ثبوتا عن الإمام. وقد يذكره أصحابنا ويعنون به ظاهر الرواية.

المشهور: هو القول الأكثر شهرة عند مشايخ المذهب من القولين أو الأقوال لأئمة المذهب – رضوان الله عليهم-.

المعتمد في المذهب: هو ما رجحه المتأخرون واعتمدوا عليه.

المذهب: مصدر ميمي، لغة: مكان الذهاب، والطريقة. وهو عند الفقهاء: ما ذهب إليه إمام من الأئمة من الأحكام الشرعية، ومات قائلا به. ويطلق عند المتأخرين: على ما به الفتوى.

الراجح - المرجوح: الأول ما قوي دليله، والثاني ما ضعف دليله.

الشاذ: ما ضعف دليله وقل القائلون به.

الأوجه: الأقوى وجها ودليلا من القولين أو الأقوال للأئمة أو المشايخ.

الأشبه: هو الأقرب إلى المنصوص المنقول، أو إلى الدراية والتعليل.

الأقرب: الأقرب إلى نصوص الشريعة، أو إلى أصولها، أو إلى نصوص الأئمة. وفي مصطلح الشافعية: الوجه الأقرب إلى نص الشافعي.

المختار: هو ما اختاره المشايخ أو بعضهم -رحمهم الله- لدليل رجحوه به، وقد يكون ذلك المختار خلاف المشهور، وقد يكون المختار هو المشهور.

الاحتمال: في الفقه الحنبلي: هو كون المسألة صالحة لأن يقال فيها بخلاف الحكم الذي قيل فيها، بدليل مرجوح بالنسبة إلى دليل الحكم الأول، أو مساوٍ له.

بالجملة: كلمة تدل على عموم الحكم، ويذكر بعدها الضابط والكلية.

في الجملة: كلمة تدل على وجود الحكم في جملة المسائل لا جميعها، كما تقول الفقهاء: "للقاضي ولاية الإنكاح في الجملة". أي: لا مطلقا في جميع الأحوال، بل عند عدم وجود الأولياء.

الجُمهور: -بضم الجيم- إذا أطلق في الخلاف العالي فالمراد به أكثر الفقهاء والعلماء -رضي الله عنهم- وإذا أطلق في الخلاف الداخلي -أي بين أصحاب مذهب ما- فالمراد به أكثر فقهاء المذهب ومشايخه.

تنبيه

قال الشيخ الوالد -لا زال ذابا عن الدين وأعلامه-: مصطلحان قد لبسا على الناس كثيرا:

الأول: مصطلح "الصحاح الستة"، فإن كثيرا من الناس قد التبس عليهم أن جميع ما ورد فيها من الأحاديث صحيحة، وأن ما حوته هذه الكتب الستة من الأحاديث هي الصحيحة فقط ولا يصح شيء من ما في غيرها من كتب القوم من الأحاديث. والحق أن هناك كتبا تربو هذه الست أو بعضها صحة وفضلا، فإن لنا كتاب شمس العلماء شيخ الكل مالك -رضي الله عنه- "الموطأ" الذي قد تواطأ الناس على صحته وفضله، فيه الأحاديث المصطفاة المنتقاة، وكذلك كم من كتب أخرى تنطوي على أحاديث صحيحة، خلا الكتب الستة[١].

وكم من روايات في الكتب الستة قد تُكُلِّمَ فيها، بل بعضها ضعيفة بالإجماع، بل بعضها موضوعة. وإن كان أصحابها الأجلاء الأتقياء المخلصين لله تعالى.

هذا وإن كان وضع من وضع هذا الاصطلاح لا ليُفهم منه ما يوهِم.

الثاني: مصطلح "الجمهور"، يطلقون الجمهور فيقولون: "هذا هو الحكم عند الجمهور -للأئمة الثلاثة، رضي الله تعالى عنهم- وعند الحنفية الحكم كذا."

ولكن الحقيقة على خلاف هذا؛ لأنك إن قلت : هم الجمهور؛ لأنهم أئمة ثلاثة أصحاب مذاهب. قلنا: أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر فقهاء أربعة أصحاب مذاهب، فالثلاثة بالثلاثة وزيادة -رضوان الله على السبعة الفقهاء-، وقد يوافقهم المجتهدون الآخرون كسفيان الثوري وغيره وإن خالفهم الثلاثة. ثم الشأن أن الكل عيال على أبي حنيفة -كما قال الشافعي-، وأن الشافعي ربيب محمد وتلميذه الذي حمل منه وقري بختي، وأن أول شيخ اختلف إليه أحمد هو أبو يوسف، فالكل مذعنون لفقههم وفضيلتهم وسبقهم، مع تفاضل في العدد.

وإن قلت: هم الجمهور لأنهم أكثر أتباعا. قلنا: ليس كذلك لأن الحقيقة أن ثلثي المسلمين أو أكثر على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه، والثلث الباقي متوزع على مذاهب الثلاثة -رضي الله عنهم-. والله -جل وعلا- أعلم.

١- كـ"مسند" الإمام أحمد -الذي قال فيه الشيخ الوالد: "صحيح مسلم" أم السنة، و"مسند أحمد" إمام السنة- وغيره من أسفار السنة الكبار.

الفصل الثامن

ويحوي مباحث:

المبحث الأول

في وجوه الاستدلال من النصوص للأحكام

اعلم أن الاستدلال من النصوص للأحكام على وجوه:

ووجه الحصر أن لفظ النص يدل عليه أو معناه -أي مدلوله-، فإن دل عليه اللفظ فإما أن يدل عليه ظاهرا وصراحة، وإما إشارة. فإن دل عليه اللفظ ظاهرا وصراحة -سواء سيق الكلام لأجله أولا- فهو ظاهر النص[1]. وإن دل عليه اللفظ من غير صراحة بل إشارة فهو "إشارة النص". وإن دل عليه معنى النص ومدلوله فإن كان وجه الدلالة أن المعنى والمدلول لا يصح إلا بتقدير أمر آخر، وقد أمكن تقديره -يعني: يتوقف تحقق مدلول اللفظ ومعناه على تحقق ذلك الأمر الآخر، لا يترتب إلا عليه- فهذا "اقتضاء النص". وإما أن يكون ذلك الأمر الآخر من لوازم مدلول اللفظ ومعناه، بحيث ينتقل الذهن من بعد وقوع مدلول اللفظ إلى ذلك الأمر الآخر من غير احتياج إلى تأمل -يعني: يترتب ذلك الأمر الآخر على مدلول اللفظ ومعناه- فهذا "دلالة النص".

مثال الأول والثاني -وهما ظاهر النص وإشارته- في قوله -جل وعلا-: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾[2] فإن الآية ظاهرة في إيجاب النفقة، وفي التعبير بـ"المولود له" إشارة إلى أن النسب إلى الآباء.

ومثال الثالث -وهو اقتضاء النص-: قول الرجل لغيره: "أعتق عبدك عني بألف درهم". فقال: "أعتقت". يقع العتق عن الآمر ويكون المأمور به بائعا عبده من الآمر، ووكيلا عنه في الإعتاق؛

١- تدخل فيه عبارة النص أيضا.

٢- البقرة: ٢٣٣.

لأنه أمره بالعتق عنه، ووقـوع العتق عـن الآمر يقتضي ثبوت الملك له، إذ لا عتق فيما لا يملكه ابن آدم، فيثبت الملك بإثبات البيع بطريق الاقتضاء، وقد أمكن؛ لذكر العوض، فكأنه قال: "بعه مني بألف ثم كن وكيلي بالإعتاق فأعتقه عني".

ومثال الرابع -وهو دلالة النص-: قوله -عز اسمه-: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾[1] يفهم من مدلول اللفظ -وهو حرمة التأفيف- حرمة الأذى، فيحرم الضرب والشتم وغيرهما من وجوه الأذى؛ إذ التأفيف يحرم لأجل الأذى الذي يدل عليه.

١- الإسراء: ٢٣.

المبحث الثاني

في علل الأحكام

اعلم أن علل الأحكام على أقسام:

١-معنى دلالة النص.

٢-علة القياس، وتسمى جامع القياس.

٣-علة الاستحسان.

فعلة القياس والاستحسان هو الوصف الذي يؤثر في الحكم وعليه مدار الحكم، ولا يوقف عليه إلا بعد تأمل واجتهاد. ثم إن كان حاصلا للمجتهد بالتأمل الأول، أي لم يكن مخالفا لتأمل آخر سبقه، فهو "علة القياس".

وإن كان حصل له بالتأمل الثاني المخالف لتأمل سبقه، فهو "علة الاستحسان"[١].

ومعنى "دلالة النص" هو الوصف الذي يدل عليه مدلول اللفظ بحيث يكون من لوازمه، ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إليه من غير تأمل. ويسمى هذا الوصف "معنى الإلحاق" أيضا.

ثم إن القياس والاستحسان المذكورين إنما يعتبران في النصوص التي لم ترد بخلاف القياس، وما وردت من النصوص بخلاف القياس لا يجري فيها القياس والاستحسان، بل حكمها يكون مقتصرا على مورده. أما الإلحاق لأجل "معنى دلالة النص" فيعتبر في جميع النصوص مطلقا وردت بوفاق القياس أو بخلافه.

١- سيأتيك الكلام عن القياس والاستحسان في المباحث التالية، إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث

في القياس الشرعي

القياس: هو تعدية حكم المنصوص إلى غير المنصوص لعلة جامعة بينهما. وهو المصدر الرابع من مصادر الشرع الإسلامي، عبر عنه صاحب "الهداية" بـ"الاعتبار". وللقياس الشرعي أصول وشروط مبسوطة في كتب القوم في أصول الفقه، فهو من صنعة الرجال الكاملين، ولا يعتد بقياس كل أحد، فإن إبليس -لعنه الله- قاس فأخطأ.

وقد أجمع أئمة المسلمين على كون القياس حجة شرعية، وهناك من شذ من الذين لا يعتد بخلافهم حيث نفوا حجيته، فكان أول من نفى القياس والاجتهاد في أحكام الحوادث إبراهيم النظام[١] وطعن على الصحابة من أجل قولهم بالقياس، ونسبهم بتهوره وقلة علمه بهذا الشأن إلى ما لا يليق بهم، وإلى ضد ما وصفهم الله -عز وجل- به وأثنى به عليهم.

ثم تبعه على هذا القول نفر من المتكلمين البغداديين، إلا أنهم لم يطعنوا في السلف كطعنه. وتبعهم على ذلك دواد بن علي[٢] وابن حزم[٣] الظاهريان[٤]. وقد بسط الكلام في إقامة الحجة على حجية القياس أبو بكر الجصاص والإمام السرخسي وغيرهما من الأئمة -رضوان الله عليهم- في كتبهم في أصول الفقه.

١- سلفت ترجمته.

٢- هو أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني المعروف بالظاهري، أخذ العلم عن إسحاق بن راهويه وغيره. وأتباعه يعرفون بالظاهرية. (ت: ٢٧٠هـ) ر: وفيات الأعيان، ترجمة رقم: ٢٢٣.

٣- هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، كان صاحب حديث وجدل، وله كتب في المنطق والفلسفة لم يخل فيها من غلط، وكان شافعي المذهب، ثم صار ظاهريا فوضع الكتب في هذا المذهب، وكان له تعلق بالأدب، وفيه قال أبو العباس بن العريف: "كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين". لكثرة وقوعه في الأئمة، وكانت بينه وبين أبي الوليد الباجي مناظرات وماجرايات يطول شرحها. (ت: ٤٥٦هـ) ر: نفح الطيب: ٢/٢٣٨، ووفيات الأعيان، ترجمة رقم: ٤٤٨.

٤- قيل لهم الظواهر؛ لأنهم يعولون في النصوص على ظاهرها، وينكرون حقائق التأويل ودقائق الاجتهاد والقياس.

المبحث الرابع

في الاستحسان

الاستحسان: هو كل دليل شرعي مقتضاه بخلاف القياس الجلي. وعرفه ابن الحاجب: "العدول إلى خلاف النظير بدليل هو أقوى منه"[١].

والأصل في هذا قوله -جل وعلا-: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[٢]

ثم الاستحسان على أقسام:

أ- استحسان النص: وهو أن يرد الحديث المرفوع بخلاف القياس، فيؤخذ بالحديث ويترك القياس، كجواز السلم والإجارة -مع أن المسلم فيه والمنافع معدومة وقت العقد- ومشروعية خيارالشرط -مع أنه يخالف قضية العقد- فالقياس يأبى جواز هذه العقود، لكنهم استحسنوا وحكموا بجوازها؛ لنصوص السنة.

ب- استحسان الأثر: وهو أن يروى قول الصحابي بخلاف القياس، فنأخذ بالأثر ونترك القياس، كمنع شراء ما باع بأقل مما باع قبل نقد الثمن، فالقياس يقتضي الجواز اعتبارا بالشراء بمثل الثمن الأول، وبالبيع من غير البائع، إلا أنا تركنا القياس لأثر عائشة -رضي الله عنها- فإن امرأة دخلت عليها وقالت: كانت لي جارية وإني بعتها من زيد بن أرقم الأنصاري بثمانمائة درهم إلى عطائه، وإنه أراد بيعها فابتعتها منه بستمائة درهم نقدا، فقالت "بئسما شريت وما اشتريت"[٣].

ج- استحسان العرف وتعامل عامة المسلمين: وهو أن يكون العرف والتعامل بخلاف القياس، وحكم هذا التعامل والعرف حكم الإجماع، ومثاله: الاستصناع في ما فيه للناس

١- وفسره الكرخي بأنه أدق القياسين، ذكره البدر الزركشي في "البحر المحيط" عن ابن القطاب عن الكرخي -رحمه الله-، وفيه: وقال في "المنخول": الصحيح في ضبطه قول الكرخي.

٢- الزمر: ١٧، ١٨.

٣- أخرجه الدار قطني، برقم: ٢٩٨٢، والبيهقي، برقم: ١٠٧٩٨ - ١٠٧٩٩.

تعامل، فإن القياس يأبى جوازه إلا أننا تركنا القياس للإجماع على التعامل به فيما بين الناس من لدن عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا.

د- استحسان الضرورة: اعتبار الضرورة في مقابلة القياس مستند إلى النصوص الرافعة للحرج، مثاله: طهارة الآبار إذا تنجست بنزح الماء مع أنها لا تغسل كما تغسل الثياب والأواني، فينبغي أن تُطَمّ إذا تنجست لعدم إمكان غسلها.

هـ- استحسان القياس: وهو القياس الخفي بخلاف القياس الجلي، مثاله: سؤر سباع الطير، فالقياس يقتضي النجاسة لكنه غير نجس استحسانا. وجه القياس أن سباع الطير مما لا تؤكل، كسباع البهائم، فلحمها محرم، والسؤر يتبع اللحم في الطهارة والنجاسة. ووجه الاستحسان: أنها تأخذ الماء بمناقيرها، والمنقار عظم جاف طاهر ليس عليه اللعاب النجس، بخلاف سباع البهائم فإنها تأخذ بألسنتها المبتلة باللعاب النجس المتولد من اللحم المحرم. ووجه الاستحسان أقوى لما بينا من الفرق، ويتأيد أيضا بالضرورة وعموم البلوى.

و- استحسان الاحتياط: أي الاستحسان الذي يكون سنده الاحتياط في الدين. قال -صلى الله عليه وسلم-: «إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ... » الحديث[1].

ومثاله: رفع اليدين في الصلاة قبل الركوع وبعده، فإن روايات الترك وروايات الفعل قد تعارضت، فالاحتياط في ترك الرفع. قال في البدائع: "ترك الرفع عند تعارض الأخبار أولى؛ لأنه لو ثبت الرفع لا تربو درجته على السنة، ولو لم يثبت كان بدعة، وترك البدعة أولى من إتيان السنة"[2].

١- أخرجه البخاري، برقم: ٥٢ - ٢٠٥١، ومسلم، برقم: ٤٠٩٤.

٢- بدائع الصنائع: فصل في سنن الصلاة.

إيقاظ

هل الاستحسان الذي اعتبره الحنفية هو الحكم بالتشهي؟

ظن أناس -ممن لم يمارس العلم ولم يؤتى الفهم- أن الاستحسان عند الحنفية هو الحكم بما يشتهيه الإنسان ويهواه ويلذه، خطأ كان أو صوابا.

ومن المعلوم أنه لم يقل بمثل هذا الاستحسان فقيه من الفقهاء، فلو كان مراد الحنفية بالاستحسان هذا المعنى لكان للمخالفين ملء الحق في تقريعهم والرد عليهم، إلا أنهم ساءت ظنونهم وطاشت أحلامهم، ففوقوا سهاما إليهم ترتد إلى أنفسهم، وما ذلك إلا لتقاصر أفهامهم عن إدراك مرامهم، ودقة مدارك هذا البحث في حد ذاته. وليس بين القائلين بالقياس من لا يستحسن بالمعنى الذي يريده الحنفية، بل الخلاف بين أهل القياس لفظي بحت[1]، فإن الاستحسان يرجع إلى الأصول الأربعة سموه به تمييزا بين الدليلين المتعارضين. قال محمد بن الحسن الصغير: "..... وهو نظير عبارات أهل الصناعات في التمييز بين الطرق لمعرفة المراد، فإن أهل النحو يقولون: هذا نصب على المصدر وهذا نصب على الظرف ..... وما وضعوا هذه العبارات إلا للتمييز بين الأدوات الناصبة .... فكذلك استعمال علمائنا عبارة القياس والاستحسان للتمييز بين الدليلين المتعارضين، وتخصيص أحدهما بالاستحسان لكون العمل به مستحسنا ولكونه مائلا عن سنن القياس الظاهر، فكان هذا الاسم مستعارا لوجود معنى الاسم فيه. وقال الشافعي في نظائر هذا: "أستحب ذلك". وأي فرق بين من يقول: أستحسن كذا، وبين من يقول: أستحبه؟ بل الاستحسان أفصح اللغتين وأقرب إلى موافقة عبارة الشرع في هذا المراد .... ولكن في اعتبار

١- فقد جعل الخلاف في الاستحسان أبو المظفر السمعاني من الشافعية في "القواطع" وابن التلمساني من المالكية في "شرح المعالم في أصول الفقه" لفظيا، وقال التلمساني: "والاستحسان عند القوم ما قاله الكرخي". آهيعني تفسير الكرخي للاستحسان وهو: العدول بالمسألة عن نظائرها لدليل خاص يقتضي العدول عن الحكم الأول فيه إلى الثاني، سواء كان قياسا أو نصا. وحمل التلمساني المحذور من الاستحسان ما يرجع إلى محض ميل النفس. قلت: ولعل الشافعي -رضي الله عنه- أراد هذا بقوله: "من استحسن فقد شرع". والله تعالى أعلم.

هذه العبارة اتباع الكتاب والسنة والعلماء من السلف. وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن»[١] وكثيرا ما كان يستعمل ابن مسعود -رضي الله عنه- هذه العبارة، ومالك بن أنس في كتابه ذكر لفظ الاستحسان في مواضع[٢]. وقال الشافعي رحمه الله: أستحسن في المتعة ثلاثين درهما[٣]. فعرفنا أنه لا طعن في هذه العبارة. ومن حيث المعنى هو قول بانعدام الحكم عند انعدام العلة، وأحد لا يخالف هذا، فإنا إذا جوزنا دخول الحمام بأجر بطريق الاستحسان، فإنما تركنا القول بالفساد الذي يوجبه القياس لانعدام علة الفساد، وهو أن فساد العقد بسبب جهالة المعقود عليه ليس لعين الجهالة بل لأنها تفضي إلى منازعة مانعة عن التسليم والتسلم، وهذا لا يوجد هنا وفي نظائره .... "[٤] انتهى كلامه -رضي الله عنه-.

وقال صفي الدين الحنبلي في كتابه "قواعد الأصول ومعاقد الفصول": "قال القاضي[٥]:

١- الحديث أخرجه أحمد -رضي الله عنه- في "المسند" -برقم: ٣٦٠٠- والطبراني في "الكبير" -برقم: ٨٥٠٤- وأبو داود الطيالسي في مسنده -برقم: ٢٤٣- كلهم موقوفا على ابن مسعود -رضي الله عنه- وقد ذكره كثير من الفقهاء عن النبي-صلى الله عليه وسلم- منهم الإمام محمد بن الحسن في "الموطأ"، ومثل هذا لا يعرف إلا سماعا من صاحب الشرع -عليه السلام- فكان مرفوعا حكما.

٢- فقد نقل الشاطبي في "الموافقات" (٤/٩٩٨-٩٩٩) عن الأصبغ أنه قال: سمعت ابن القاسم يقول ويروي عن مالك أنه قال: "تسعة أعشار العلم الاستحسان". ونقل عن الأصبغ أنه قال: "إن الاستحسان عماد الدين". آه

٣- وقال في باب الشفعة "أستحسن أن يثبت للشفيع الشفعة ثلاثة أيام". وقال في باب المكاتب: "أستحسن ترك شيء للمكاتب من نجوم الكتابة". وقال: "إذا اخرج السارق يده اليسرى بدل اليمنى، فالاستحسان أن لا تقطع". وأمثال ذلك كثيرة في كتبهم. ر:"المحصول" للفخر الرازي مع شرحه "نفائس الأصول" للقرافي، و"البحر المحيط" للبدر الزركشي.

٤- أصول السرخسي: باب القياس، فصل في بيان القياس والاستحسان.

٥- القاضي هنا القاضي يعقوب، من تلاميذ القاضي أبي يعلى، عرّفت به لأن القاضي إذا أطلق في كتب الحنبلية يراد به القاضي أبو يعلى.

الاستحسان مذهب أحمد، وهو أن يترك حكما إلى حكم هو أولى منه، وهذا لا ينكره أحد"[١].

قالت الأمة الضعيفة -لطف الله تعالى بها-: لا يطمئن قلبي إلى أن يستتب فقه أحد بدون الأخذ بالاستحسان، فإن لم يقل به عن قصد قال به عن غير قصد، وإلا عاد على مقصود الشارع بالنقض، علا أن من قال بالقياس يلزمه القول بالاستحسان، ومن أنكر الاستحسان يلزمه التبري من القياس[٢]. والله تعالى أعلم.

١- قواعد الأصول: ٣١.

وقد استعمل الإمام أحمد -رضي الله عنه- لفظة الاستحسان في مواضع، فقال: "أستحسن أن يتيمم لكل صلاة، والقياس أنه بمنزلة الماء حتى يحدث، أو يجد الماء". وقال فيمن غصب أرضا وزرعها: "الزرع لرب الأرض وعليه النفقة، وليس هذا بشيء موافق للقياس، ولكن أستحسن أن يدفع إليه نفقته". ر: التمهيد في أصول الفقه، لأبي الخطاب الكلوذاني الحنبلي.

٢- فقد قال أبوبكر الجصاص الرازي في "الفصول" في أوائل كلامه عن الاستحسان: "وقد حدثني بعض قضاة مدينة السلام [يعني بغداد] ممن كان يلي القضاء بها أيام المتقي لله، قال: سمعت إبراهيم بن جعفر -وكان إبراهيم هذا رجلا كثير العلم، قد صنف كتبا مستفيضة في اختلاف الفقهاء، وكان يقول بنفي القياس بعد أن كان يقول بإثباته-، قال: فقلت له: ما الذي أوجب عندك القول بنفي القياس بعد ما كنت قائلا بإثباته؟ فقال: قرأت إبطال الاستحسان للشافعي، فرأيته صحيحا في معناه، إلا أن جميع ما احتج به في إبطال الاستحسان هو بعينه يبطل القياس، فصح به عندي بطلانه". آهـ

المبحث الخامس

في العرف والاحتياط والاستصحاب

أولا:

العرف – العادة – التعامل[١]

العرف هو: ما اعتاده جمهور الناس وألِفوه من فعل شاع بينهم، أو لفظ تعارفوا إطلاقه على معنى خاص، بحيث لا يتبادر عند سماعه غيره. والأول يسمى عرفا عمليا، ويخصه البعض باسم "العادة"، ومثاله: تعارف الناس البيع بالتعاطي في كثير من الأشياء من غير صيغة لفظية. والثاني يسمى عرفا قوليا، ومثاله: تعارف الناس إطلاق لفظة اللحم على غير السمك مع أن اللغة لا تمنع إطلاقه على السمك، وقد سماه الله تعالى لحما في قوله -سبحانه-: ﴿لِتَأْكُلُوْا مِنْهُ لَحَماً طَرِيّاً﴾[٢].

والعرف بنوعيه نوعان: عام وخاص.

أما العام: فهو الذي يتعارفه أهل البلاد جميعا في زمن من الأزمنة، كتعارفهم الاستصناع ودخول الحمامات من غير بيان مدة المكث وقدر ما يصب من الماء، وأن دخول المساجد بالأحذية يخالف الأدب والتعظيم.

وأما الخاص: فهو الذي يتعارفه أهل بلد معين أو طائفة معينة من الناس، كتعارف أهل العراق إطلاق لفظ الدابة على الفرس، وتعارف التجار إثبات الديون التي على عملائهم في دفاتر خاصة من غير إشهاد عليها ويجعلون هذا حجة في ما بينهم.

١- العرف والعادة والتعامل ثلاثتها بمعنى واحد من حيث المصداق، وإن اختلفت من حيث المفهوم، انظر: "نشر العرف"، لابن عابدين الشامي.

٢- النحل: ٤.

حجية العرف

للعرف في الشرع الشريف مكانة أساسية عظيمة، أحال الشرع عليه في مسائل لا تحصى، واعتبره حجة في تطبيق القواعد، واعتد به كاشفا ومعينا لاقتضائات النصوص، تدور معه أينما دار صحة وبطلانا.

قال الله -جل وعلا-: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿بِالْمَعْرُوْفِ﴾ في كثير من الآيات[٢].

ومن جهة السنة: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «خذي أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف»[٣].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن»[٤].

وقد اعتبر الفقهاء على اختلاف مذاهبهم العرف الصالح، وجعلوه أصلا من الأصول، فقد بنى الإمام مالك -رضي الله عنه- كثيرا من أحكامه على عمل أهل المدينة[٥].

وكان الإمام محمد -رضي الله عنه- يذهب إلى الصباغين يسأل عن معاملتهم وما يديرونها في ما بينهم[٦].

والشافعي -رضي الله عنه- رجع عن شطر مذهبه لما قدم مصر؛ لتغير أعرافهم وعوائدهم، فلذا صار له مذهبان: قديم، وجديد.

وقال الموفق ابن قدامة الحنبلي: "إن الله تعالى أحل البيع ولم يبين كيفيته فوجب الرجوع فيه

١- الأعراف: ١٩٩.

٢- أنظر: البقرة: ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، النساء: ٦، ١٩، ٢٥، الطلاق: ٢، ٦.

٣- أخرجه البخاري، برقم: ٢٠٩٧.

٤- تقدم تخريجه.

٥- ولكثرة المسائل التي بنيت على ما جرى عليه عمل أهل المدينة لقبتها المالكية بـ"الماجَرَيات".

٦- البحر الرائق: كتاب القضاء، فصل الفاسق يصلح مفتيا.

إلى العرف"[1]. آهـ

ولذا قالوا: الجاهل بعرف الناس وعاداتهم لا يصلح مجتهدا، ولا مفتيا، ولا قاضيا.

ثم إن العرف العام يثبت بتوسطه الحكم العام، ويخص به القياس، بخلاف العرف الخاص، فإنه يثبت بتوسطه الحكم الخاص -أي لأهله فقط- ولا يخصص به القياس.

هل تعتبر كل الأعراف والعادات في الشرع الشريف؟

اعلم أنه لا يعتبر في الشرع الشريف كل عرف وعادة، بل المعتبر إنما هو العرف الذي لا يخالف دليلا من الأدلة الشرعية، ولا حكما من أحكامه الثابتة التي لا تتغير باختلاف البيئات والعادات.

أما العرف الذي يكون مخالفا لما ذكرناه فلا نزاع بين أهل العلم في أنه لا يلتفت إليه، ولا يعتد به بل يجب إلغاءه، كتعارف الناس شرب الخمور، والتعامل بالربا وغير ذلك من الأمور التي حرمها الشرع -لما يترتب عليها من المفاسد الدينية والاجتماعية- حرمة ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والعادات.

ألا ترى أن الشارع الحكيم كما أقر كثيرا من الأمور التي تعارفها العرب قبل الإسلام، بعد أن نظمها لهم، كالبيع، والرهن، والسلم، والقسامة، والزواج، ومراعاة الكفاءة بين الزوجين، وفرض الدية على العاقلة، وبناء الإرث والولاية على العصوبة، فكذلك أبطل كثيرا من عاداتهم مما لا يصلح للبقاء، كالربا، والميسر، ووأد البنات، وحرمان النساء من الميراث. وذلك لأن الشرع إنما اعتبر ما اعتاده الناس وعرفه أهل العقول الرشيدة والطباع السليمة؛ لإصلاح حالهم، وإقامة العدل بينهم، ورفع الحرج والضيق عنهم، فلو اعتبرتَ كل عرف وعادة من غير تمييز لكان هذا عودا على مراد الشرع بالنقض. ع هذا تصب إن شاء الله تعالى.

١- المغني: كتاب البيوع، البيع على ضربين: خيار المتبايعين: ٤/٤.

الدين كامل مكمل

ثم اعلم أن تفويض الشرع بعض الأحكام إلى أفهام الرجال -وهم الفقهاء- حتى قاسوا واستحسنوا وأحالوا على الأعراف والعادات لا ينبئ عن نقص في الدين، بل الدين كامل مكمل ليس فيه من النقص شيء، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[١] ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٢] بل ذلك غاية لطف من الله تعالى بهذه الأمة أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- ونهاية تفضيلهم، وغاية تسهيل لهم منه -جل جلاله.

فلو كان كل حكم من الأحكام مسطورا ومصرحا إذا لشقّ على الناس، ولقصروا في الامتثال[٣].

وما يستنبطه الفقهاء -رحمهم الله تعالى- من المسائل لا يكون تغييرا ولا تبديلا[٤] بل يكون من الشرع الشريف حتى يكون العادل عنه عادلا عن الشرع. وذلك لأن الله -سبحانه وتعالى شأنه- جعل علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل، وجعلهم خلفاء نبيه -صلى الله عليه وسلم- الذي لا نبي بعده، ونزّل آراءهم في الأحكام حجة. فهم يحكمون بما أراهم الله تعالى -من الكتاب والسنة- إلى قيام الساعة، وبه يعدلون.

١- المائدة: ٣.

٢- الأنعام: ٣٨.

٣- وهذا التسهيل من الله تعالى على الأمة ثمرة غاية امتثال الصحابة -رضوان الله عليهم- لأنهم كما نهوا في القرآن عن السؤال انتهوا، وكفّوا، ولم يسألوا بعد ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن كل شيء، وكانوا يتمنون أن يجيء الأعرابي العاقل فيكفيهم السؤال، لا كما كانت بنوا إسرائيل، فإنهم كانوا يسئلون نبيهم و يسئلون و يسئلون، حتى فتح عليهم ما سألوا، فشدد عليهم بما كانوا يسئلون، وتركوا الامتثال فحل عليهم السخط و استحقوا النكال، من العزيز المتعال.

٤- ومن الخطأ الواضح ما زعم بعض الناس أن دوران بعض الأحكام مع مناطاتها هو تبديل و تغيير لجوهرها، بل الحكم في كل الأحوال واحد معنى، كما أن الطهارة التي تؤدى بالماء تارة وبالتراب أخرى واحد، فافهم.

نموذج من القواعد الفقهية المبنية على العرف

ومما بني على العرف والعادة من القواعد:

١- العرف قاض.

٢- العادة محكّمة.

٣- الثابت بالعرف كالثابت بالنص.

٤- المعروف عرفا كالمشروط شرطا.

٥- قال والدي الشيخ في مبحث "الاستصناع": تعامل المسلمين من غير نكير أصل من الأصول كبير[1].

١- ثم لا يعبأ بنكير كل منكر من خطير و حقير، بل المعتبر نكير الجم الغفير من أئمة الزمن والعصر، كما لا معتبر في التقرير -أي تقرير العرف-تقرير كل مقرر.

ثانيا:

الاحتياط

الاحتياط لغة: طلب الحوط، وهو الأخذ بأوثق الوجوه. قال أحمد الجصاص -رحمه الله تعالى-: "الاحتياط: الامتناع مما لا يأمن استحقاق العقاب به"[١]. فالاحتياط في الحقيقة: الأخذ بالأبرء إلى الله عند الله تعالى.

قال الله -عز اسمه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢] منع الأمر المباح احتياطا.

وهذه الآية من أهم أدلة الاحتياط وسد الذرائع الذي هو أصل من أصول الفقه -المذهب المالكي خاصة- وهي الوسائل التي يتوسل بها إلى أمر محظور.

وقال الله -جل وعلا-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٣]

وقد لقن النبي -صلى الله عليه وسلم- الأمة بالاحتياط بأقواله وأفعاله، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: لعقبة بن الحارث: «كيف وقد قيل»[٤] أمره بفراق امرأته احتياطا[٥]. وقال -صلى الله عليه وسلم-: «الحلال بين والحرام بين وبينهما المشتبهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه»[٦]

وقد اعتمد الفقهاء الاحتياط مسلكا شرعيا في استنباط الأحكام والترجيح بين الأدلة المتعارضة. قال سيدنا الإمام السرخسي -رضي الله عنه- في أصوله: "الأخذ بالاحتياط أصل في الشرع". آه[٧]

ومنه: قاعدة تغليب الحرام على الحلال عند اجتماعهما.

١- أحكام القرآن: ١٣١/٢.

٢- البقرة:١٠٣.

٣- الحجرات: ٦.

٤- أخرجه البخاري، برقم: ٨٨.

٥- مع أن شهادة امرأة واحدة لا تقبل في الرضاع.

٦- تقدم تخريجه.

٧- أصول السرخسي: باب الكلام في قبول أخبار الأحاد.

ثالثا:

الاستصحاب

هو في اللغة: مأخوذ من المصاحبة، وهي الملازمة وعدم المفارقة. وعند الأصوليين: الحكم بثبوت أمر في الزمن الثاني بناء على ثبوته في الزمن الأول ما لم يقم الدليل المزيل. مثاله: أن المتوضئ يحكم ببقائه متوضئا ما دام ذاكرا وضوئه وإن شك في نقضه، والمحدث يحكم ببقائه محدثا ما دام ذاكرا حدثه وإن شك في طهارته.

و"الاستصحاب" عندنا حجة للدفع لا للإثبات في المختار. وقال المالكية وأكثر الشافعية والحنبلية بحجيته مطلقا، أي في الدفع والإثبات.

وعلى "الاستصحاب" تبتني القاعدة الفقهية: "الأصل بقاء ما كان على ما كان، حتى يقوم الدليل على خلافه". والقاعدة: "ما ثبت بيقين لا يزول بالشك".

شبهة وإزالتها

فإن قيل: الحجج الشرعية إنما هي الأربعة باتفاق الأصوليين: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، فالقول بحجية الاستحسان والاحتياط والعرف والاستصحاب زيادة في الحجج الشرعية، ومخالفة للقول بحصر الأدلة في الأربعة.

قلنا: الحجج الشارعة للأحكام هي الأربعة، وما عداها مما عددتَ آيلة إليها. وإليك تفصيل ذلك : أما الاستحسان فهو كما عرفت إما قياس خفي قوي الأثر، أو أثر، أو تعامل المسلمين -وهو الإجماع-. وأما الاحتياط -وهو الأخذ بدليل الحرمة في مقابلة دليل الجواز- فدليل الحرمة إما أن يكون من الكتاب أو من السنة أو من الإجماع أو من القياس فيرجع إلى دليل من الأدلة الأربعة.

وأما العرف فهو من الحجج المشروعة دون الشارعة، بمعنى: أن الشرع قد اعتبر العرف حجة، فإن حجية العرف ثابتة من النصوص، كما أن الشرع قد جعل كلا من البينة والإقرار حجة، مع أنه لم يزدد به عدد الأدلة الشرعية. وكذلك الاستصحاب قرينة من قرائن الدفع المعتبرة شرعا، فهو

أيضا من الحجج المشروعة دون الشارعة.

فالحاصل: أنها ترجع تارة إلى الكتاب، وتارة إلى السنة، وتارة إلى غيرهما من الأدلة، كقواعد الشرع الشريف ومقاصدها، فتأمل. والله تعالى أعلم.

الفصل التاسع

في التعريف بصاحب الهداية الإمام المرغيناني رضي الله عنه

ويتناول عدة مباحث:

المبحث الأول

في اسمه ونسبه ومولده ووفاته

هو شيخ الإسلام برهان الدين أبو الحسن، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني -رضي الله عنه-[١] من أولاد سيدنا أبي بكر الصديق -رضوان الله تعالى عليه-.

ولد -في ما نقله اللكنوي- عقيب صلاة العصر من يوم الإثنين في الثامن من رجب، سنة إحدى عشرة وخمسمائة من الهجرة النبوية.

وتوفي ليلة الأربعاء في الرابع عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة من الهجرة النبوية -صلى الله على صاحبها- ودفن بسمرقند.

المبحث الثاني

في طلبه العلم

نشأ المرغيناني -رحمه الله- وترعرع في بيت سليل بالعلم والفضل، ومكانة اجتماعية، فحثه أبـوه وجده لأمه على طلب العلم، فتلقى العلم من أبيه في بلده وهو صغير، وعلمه جده لأمه عمر

١- الفرغاني: نسبة إلى "فرغانة" -بالفتح ثم بالسكون، وغين معجمة، بعد الألف نون- كورة واسعة بما وراء النهر متأخمة لبلاد تركستان، و المرغيناني: نسبة إلى "مرغينان" -بالفتح ثم بالسكون، وغين معجمة مكسورة- بلدة بما وراء النهر، من أشهر بلاد فرغانة، و تسمى الآن "مرغيلان الحديثة" انظر: معجم البلدان، والأنساب.

بن حبيب[١] مسائل الفقه في وقت مبكّر، وبدأ يلقنه مسائل الخلاف في نعومة شبابه، وأوصاه بالجد والمثابرة والاجتهاد في الطلب، وأن يكون ذا همة عالية. سمع الحديث من بعض علماء بلده، كصاعد بن أسعد المرغيناني[٢] وغيره أولا، ثم ارتحل في طلب العلم[٣] وسمع من مشايخ مختلفي البلدان والأقاليم، وأخذ من علومهم ومعارفهم وأخلاقهم، وسافر إلى مرو، وإلى بخارى، وإلى مدينة نسف وغير ذلك.

المبحث الثالث

في منزلته بين فقهاء المذهب في الفقه والتقوى

وصف -رحمه الله تعالى- بالزهد والورع وكثرة العبادة، ووصف بكثرة الصوم فقد حكي أنه ألف "الهداية" في ثلاث عشرة سنة وكان صائما في تلك المدة لا يفطر أصلا، وكان يحاول أن لا يطلع على صومه أحد، فإذا جاء الخادم بالطعام تصدق به سرا على الطلبة، فكان الخادم يظن أنه أكله بنفسه، ولكن من سنة الله -جلت قدرته- أن العمل وإن كان في صخرة يظهره ويخرجه للناس[٤]. فببركة إخلاصه وزهده وورعه صار كتابه "الهداية" مقبولا بين العلماء.

اعترف له بالفقه والفضل وأثنى عليه كثير من الفقهاء وأهل الفضل ممن عاصره -ولا يعرف الفضل لذويه إلا ذووه-، فمنهم:

١- سيأتي التعريف به في مبحث مشايخ المرغيناني.

٢- سيأتي التعريف به في مبحث مشايخ المرغيناني.

٣- والرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال، والسبب في ذلك -كما قال ابن خلدون- أن البشر يأخذون علومهم ومعارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا [لعل الصحيح: تلقيا]، وحصول الملكات عن المباشرة والتلقين [لعل الصحيح: التلقي] أشد استحكاما وأقوى رسوخا من غيره، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها". آهـ (مقدمة ابن خلدون: الباب السادس، الفصل الحادي والثلاثون)

٤- فقد أخرج أحمد -رحمه الله- في مسنده عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لو أن أحدكم يعمل في صخرة صمّاء ليس لها باب ولا كُوّة لخرج عمله للناس كائنا ما كان» (حديث رقم: ١١٢٣٠)

الإمام الفقيه الحسن بن منصور المعروف بقاضي خان، وهو ممن عاصره وتوفي قبله بسنة. والإمام أحمد بن محمد بن عمر المشهور بالعتابي، وصاحب "المحيط"، وصاحب "الذخيرة" محمود بن أحمد بن عبد العزيز الملقب ببرهان الدين، وصاحب "الفتاوى الظهيرية" و"الفوائد الظهيرية" القاضي ظهير الدين البخاري. وأثنى عليه العلامة أنور شاه الكشميري -رحمه الله-[١] فقال: "لا يدرك شأو صاحب "الهداية" في فقهه ألف فقيه مثل صاحب "الدر المختار"، فإن صاحب الهداية فقيه النفس، علمه علم الصدر، وعلم صاحب "الدر المختار" علم الصحف والأسفار، وإن البون بينهما لبعيد ... "آه

ووصفه الذهبي فقال: "العلامة، عالم ما وراء النهر، برهان الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر، كان من أوعية العلم -رحمه الله-". آه[٢]

وهو -رضي الله عنه- من المجتهدين في المذهب. وجعله ابن كمال باشا دونهم، وليس بصحيح -كما قدمنا-[٣]. فإنه جعل قاضي خان-رحمه الله- من طبقة المجتهدين في المسائل،

١- هو الشيخ الفاضل العلامة محمد أنور شاه بن معظم شاه الحسيني الكشميري، أحد كبار فقهاء الحنفية و علماء الحديث الأجلاء، ولد بـ "وُدوَان" -من أعمال كشمير- أخذ عن أبيه وعن شيوخ بلاده حتى فاق أقرانه في زمن يسير، ورأى بعض أعلام عصره تعليقاته على كتبه الدراسية، فتفرس فيه أنه سيكون غزالي عصره ورازي دهره، انتهت إليه رياسة تدريس الحديث بهند، يتنصر للمذهب الحنفي، وكان نادرة عصره في قوة الحفظ، وسرعة المطالعة ودقة النظر، قال عنه تلميذه العلامة محمد يوسف البنوري -رحمه الله- في "نفحة العنبر من حياة إمام العصر الشيخ أنور" أنه: طالع "فتح القدير" لابن الهمام مع التكملة في بضع وعشرين يوما، وكتب تلخيصه إلى كتاب الحج وأجاب عن إيراداته التي أوردها على صاحب الهداية، ثم استغنى عن المراجعة إليه مدة عمره، وكان -رحمه الله- حكى لنا هذه الواقعة سنة ۱۳٤۷ تحديثا بنعمة ربه، وحثا للطلبة، ولفظه بالهندية: "چھبیس سال ہوئی پھر مراجعت کی ضرورت نہیں پڑی اور جو مضمون اس کا بیان کرونگا اگر مراجعت کروں تفاوت کم پاؤنگا". آه

من تصانيفه: "فيض الباري بشرح صحيح البخاري"، و"العرف الشذي على جامع الترمذي" و "نيل الفرقدين في مسئلة رفع اليدين" وغير ذلك، وأكثر كتبه أمالٍ أُخِذَت عنه. (ت: ١٣٥٢هـ) ر:نثر الجواهر والدرر: ١٠٧٥/٢، وتراجم ستة من فقهاء العالم الاسلامي في القرن الرابع عشر، لعبد الفتاح أبي غدة، ترجمة رقم:١.

٢- سير أعلام النبلاء: ١١٣/٢٣، علم رقم: ٨٦.

٣- انظر المبحث الثاني من الفصل الثالث.

وشأن صاحب "الهداية" في نقد الدلائل واستخراج المسائل أعلى وأدق منه. وكما تقدم أن قاضي خان والعتابي وغيرهما شهدوا له بالفضل والتقدم في العلم والفقه، بل قد فاق مشايخه وخاصة بعد تأليفه "الهداية" و"كفاية المنتهي"، فكان مقتضى هذا الاعتراف والشهادة أن يكون صاحب "الهداية" أعلى منهم درجة أو على الأقل مثلهم، لا أن يكون دونهم، ويشهد لما قلنا اعتناء علماء المذهب بكتابه "الهداية" اعتناء لا مثيل له في كتب المذهب، وسيأتي الكلام عليه في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

المبحث الرابع

في مشايخه

حرص صاحب الهداية -رضي الله تعالى عنه- كل الحرص على طلب العلم ولقاء المشايخ، فلم يفتر مرة، حتى إنه قال: "إنما غلبت شركائي بأني لا تقع لي فترة في التحصيل"[١].

وقد جمع لنفسه مشيخة وسماها: "مشيخة الفقهاء"، وجلهم من أعلام مذهب الإمام أبي حنيفة -رضي الله عنه- والمتبحرين فيه.

نذكر منهم ههنا عدة أسماء:

١- والده -رحمه الله- وهو أبو بكر بن عبد الجليل، كان يوقف بداية الدرس على يوم الأربعاء، فكان صاحب "الهداية" يقفو أثره ويقول: "هكذا كان يفعل أبي".

٢- جده لأمه: عمر بن حبيب أبو حفص القاضي الإمام، قال صاحب "الهداية" -رضي الله عنه-: "علق جدي هذا لأي مسائل الأسرار[٢] على القاضي الإمام أحمد بن عبد العزيز الزوزني، وكان من كبار أصحابه، قال: ثم درس الفقه بعد وفاته على الإمام الزاهد شمس الأئمة السرخسي، قال: وتلقيت منه مسائل الخلاف، وكان من جلة العلماء والمتبحرين في فن الفقه والخلاف صاحب النظر في دقائق الفتوى والقضاء". آهـ

١- تعليم المتعلم طريق التعلم: ١١١.

٢- أي: أسرار الشريعة، أو "كتاب الأسرار" للقاضي الدبوسي، والله أعلم.

٣- أحمد بن عبد الرشيد بن الحسين قوام الدين البخاري، والد صاحب "الخلاصة"، أخذ العلم عن أبيه، وتفقه عليه ابنه وصاحب "الهداية".

٤- أحمد بن عبد العزيز بن مازه الصدر السعيد، أخو الصدر الشهيد، تفقه عليه صاحب "الهداية" وروى كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن -رحمه الله- من طريقته.

٥- أحمد بن عمر بن محمد أبو الليث، أبوه عمر أبو حفص النسفي، تعلم على أبيه، وكان من الفقهاء الكبار في زمنه بسمرقند، وولده هذا يعرف بالمجد النسفي، وهو وأبوه من مشايخ صاحب "الهداية".

٦- الحسن بن علي بن عبد العزيز أبو المحاسن ظهير الدين المرغيناني، تفقه على الفقهاء: عبد العزيز بن عمر بن مازه -والد أحمد الصدر السعيد المتقدم-، وعلى شمس الأئمة محمود الأوزجندي وغيرهما.

وتفقه عليه صاحب "الهداية"، وابن أخته افتخار الدين طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد، صاحب "الخلاصة"، وقد روى عنه صاحب الهداية بالإجازة كتاب الترمذي، وكان جامعا بين الفقه والحديث.

٧- زياد بن إلياس أبو المعالي ظهير الدين، تلميذ البزدوي، قال صاحب الهداية في مشيخته: اختلفت إليه بعد وفاة جدي، وقرأت عليه أشياء من الفقه والخلاف، وكان مع غزارة العلم ووفور الفضل متواضعا، جوادا، حسن الخلق، ملاطفا لأصحابه، وكان من كبار المشايخ بفرغانة.

٨- سعيد بن يوسف الحنفي القاضي، ذكره في مشيخته، وروى عن طريقه حديثا مرفوعا، متنه: "من ستر عورة مسلم ستر الله عليه في الدنيا والأخرة ...." الحديث[1].

٩- صاعد بن أسعد بن إسحاق المرغيناني ضياء الدين، تقدم أنه من أوائل مشايخ صاحب الهداية، وقرأ عليه جامع الترمذي في بلده، ذكره في مشيخته، وذكر له حديثا بسنده، وأبوه وجده من الفقهاء من أسرة مشهورة بالعلم والفضل والفتوى والتدريس وغيرها(ت: ٥٩٣هـ)

١- أخرج الشيخان بمعناه، خ رقم: ٢٤٤٢، م رقم: ٦٥٢١.

١٠- عبدالله بن أبي الفتح الخانقاهي[١] المرغيناني ذكره في مشيخته ووصفه بالإمامة والزهد والعبادة والكرامة، وأنه جاوز المائة سنة.

١١- عبدالله بن محمد بن الفضل أبو البركات، الملقب بصفي الدين ذكره في مشيخته، وقال: إنه أجازه إجازة مطلقة مشافهة بنيسابور.

١٢- عثمان بن إبراهيم بن علي الخواقندي[٢] أحد مشايخ فرغانة، وتلميذ لبرهان الأئمة عبد العزيز بن عمر، ذكره صاحب الهداية في "مشيخته" وقال: قرأت عليه أشياء من الفقه وغيره، وأجازني مشافهة.

١٣- عثمان بن علي بن محمد، أبو عمر البيكندي[٣] من أهل بخارى، ووالده من أهل بيكند، تفقه على شمس الأئمة السرخسي، وسمع الإمام خواهرزاده بكرا، ذكره صاحب الهداية في مشيخته. (ت ٥٢٢هـ)

١٤- علي بن محمد بن إسماعيل الإسبيجابي[٤] السمرقندي أبو الحسن، المعروف بشيخ الإسلام، سكن سمرقند وصار المفتي والمقدم بها، ولم يكن فيما وراء النهر في زمانه أحفظ بمذهب أبي حنيفة منه، عاش طويلا نشر العلم، وكان له تلاميذ كثيرون، منهم السمعاني صاحب الأنساب. وقال صاحب الهداية في مشيخته: "اختلفت إليه مدة مديدة، وحصلت من فوائده ومحافل النظر نصابا وافيا، وتلقفت من فلق فيه: "الزيادات" وبعض "المبسوط" وبعض "الجامع"[٥]......وتوفي بسمرقند سنة ٥٣٥هـ.

١- بفتح الخاء المعجمة و فتح القاف، بينهما نون مكسورة وفي أخرها الهاء، نسبة إلى "خانقاه" وهي رباط أهل الخير والصوفية. ر: الأنساب: ٣١٣/٣، ولب اللباب، رقم: ١٣٠٣.

٢- الخُواقندي: بضم الخاء المعجمة والقاف المفتوحة، بينهما الواو والألف، ثم النون الساكنة، وفي أخرها الدال المهملة نسبة إلى "خواقند": بلدة من بلاد فرغانة. الأنساب: ٤١٢/٢، ولب اللباب رقم: ١٤٧٩.

٣- نسبة إلى "بِيْكَنْد" -بالكسر وفتح الكاف وسكون النون-: بلدة بين بخارى وجيحون على مرحلة من بخارى. ر: معجم البلدان، والفوائد البهية: ١٤١.

٤- مر ضبطه.

٥- أي: الجامع الكبير.

١٥- عمر بن عبدالعزيز بن عمر بن مازة برهان الأئمة حسام الدين، المعروف بالصدر الشهيد، تفقه على والده، وله كتب معتبرة في المذهب كـ"الفتاوى الصغرى" و"الفتاوى الكبرى" و"الجامع المطول" و"المبسوط في الخلافيات".

وكان يكرم صاحب الهداية ويقدمه، ويجعله من خواص تلامذته في الدروس الخاصة، (ت: ٥٣٦هـ)

١٦- عمر بن عبد المؤمن بن يوسف البلخي أبو حفص شيخ الإسلام، الملقب بصفي الدين، اجتمع به صاحب الهداية، وكان رفيقه في سفر الحج، وقرأ عليه أحاديث، وتناظرا في المسائل الفقهية. (ت: ٥٥٩هـ)

١٧- عمر بن محمد بن أحمد نجم الدين أبو حفص النسفي السمرقندي، قال السمعاني: إمام فقيه فاضل، عارف بالمذهب والأدب، صنف التصانيف في الفقه والحديث، ونظم "الجامع الصغير" وجعله شعرا، وقال القرشي: وله نحو من مائة مصنف، وهو صاحب "طلبة الطلبة" في الألفاظ الحنفية، صدر صاحب الهداية مشيخته به، وثنى بذكر ولده أحمد بن عمر-وقد تقدم- وقال: "سمعت نجم الدين عمر يقول: "أنا أروي الحديث عن خمسمائة وخمسين شيخا". وقال: "قرأت عليه بعض تصانيفه". (ت: ٥٣٧هـ)

١٨- عمر بن محمد بن عبدالله البسطامي[1] أبو شجاع ضياء الإسلام، كان فقيها إماما على مذهب أبي حنيفة -رضي الله عنه- ذكره في مشيخته وقال: "من كبراء المشايخ ببلخ، وكانت له أسانيد عالية، ويد باسطة في أنواع من العلوم". كان موجودا سنة ٥٣٠هـ

١٩- قيس بن إسحاق بن محمد أبو المعالي المرغيناني ثم السمرقندي، قال صاحب الهداية: "بيننا وبينه قرابة قريبة". (ت: ٥٢٧هـ)

٢٠- محمد بن أحمد بن عبدالله الخطيبي الجادكي، الإمام الخطيب الزاهد، قال صاحب الهداية: "قرأت عليه الأحاديث".

١- نسبة إلى "بَسْطَام" -بفتح الباء الموحدة التحتية، وسكون السين، وفتح الطاء- قرية بقومس مشهورة. ر: الأنساب: ٣٥١/١.

٢١- محمد بن أبي بكر بن عبدالله، أبو طاهر الخطيب، البوشنجي[١] الإمام الزاهد، ذكره في مشيخته.

٢٢- محمد بن الحسن بن مسعود، عرف أبوه بابن الوزير، سمع منه وذكره في مشيخته.

٢٣- محمد بن الحسين بن ناصر، ضياء الدين، البندنيجي[٢] تفقه على العلاء السمرقندي صاحب التحفة، سمع منه "صحيح مسلم" -رحمه الله- وأجازه رواية "صحيح مسلم" عنه.

٢٤- محمد بن سليمان أبو عبد الله الأوشي[٣] شيخ الإسلام نصر الدين، أحد الزهاد، ذكره في مشيخته.

٢٥- محمد بن عبد الرحمن بن أحمد أبو عبد الله البخاري، الملقب بالعلاء الزاهد، صاحب "محاسن الإسلام"[٤]، قال السمعاني: "كان إماما فاضلا مفتيا مذكرا أصوليا متكلما حسن الكلام في الوعظ والتفسير، وقيل: إنه صنف في التفسير كتابا أكثر من ألف جزء". آهـ. ذكره في مشيخته. (ت: ٥٤٦هـ)

٢٦- محمد بن عبد الله بن أبي بكر الخطيب الكُشمِيهَنِّي[٥] المروزي أبو الفتح، من أهل مرو، أجاز لصاحب الهداية، ومن طريقه روى "صحيح البخاري".

١- نسبة إلى "بُوْشَنْج" -بضم الموحدة التحتية، وفتح الشين المعجمة، وسكون النون، في أخرها جيم-: بلدة على سبعة فراسخ من هراة في خراسان. ر: الأنساب: ٤١٣/١، والإكمال: ٤٢٤/١.

٢- البندنيجي-بفتح أوله والمهملة وسكون النون الأولى، وكسر الثانية، ثم تحتية وجيم- نسبة إلى "بَنْدَنِيجَيْن" بلفظ المثنى، بلد قرب بغداد. ر: لب اللباب، رقم: ٦٥٠.

٣- نسبة إلى "أُوش" -بضم الألف- من بلاد فرغانة معروفة. ر: الأنساب: ٢٢٨/١، ولب اللباب، رقم النسبة: ٢٧٦.

٤- وكتابه هذا كتابه جيد في محاسن الشريعة وأسرارها، عديم النظير، مؤثر في القلوب، مذرف للعيون، وهو من الكتب الدراسية في جامعتنا.

٥- نسبة إلى "كُشْمِيْهَنْ" -بضم الكاف وسكون الشين المعجمة، وكسر الميم، وسكون الياء، وفتح الهاء-: قرية بمرو، وهي قرية قديمة خربت، خرج منها جماعة من العلماء، منهم: محمد بن مكي بن محمد أبو الهيثم، من أواخر من روى عن البخاري "صحيحه". ر: الأنساب: ٥/٧٥- ٧٦، ولب اللباب، رقم النسبة: ٣٤١٩.

٢٧- محمد بن عمر بن عبد الملك البخاري أبو ثابت المستملي، قال السمعاني: كان فقيها حسن السيرة جميل الأمر". آهـ. ذكره في مشيخته. (ت: ٥٥٤هـ)

٢٨- محمد بن محمد بن الحسن منهاج الشريعة، تفقه عليه، وقال: "لم ترعيني أغزر منه فضلا ولا أوفر علما ولا أوسع منه صدرا ولا أعم منه بركة لم يتلمذ له أحد إلا برز على أقرانه، وصار أوحد زمانه، قرأت عليه في بدء أمري وحداثة سني، فلم أزل أغترف من بحاره، وأقتبس من أنواره إلى سنة خمس ثلاثين وخمسمائة، فعلقت عليه "الجامعين"، و"الزيادات"، و"طريقة الخلاف"، ومعظم الكتب المبسوطة، وكتاب "أدب القاضي" للخصاف، والأخبار والأثار المسندة التي اشتملت عليها.

٢٩- محمد بن محمود بن علي العلامة أبو الرضا الطرازي سديد الدين، أحد مشايخ بخارى، تلميذ عبدالعزيز بن عمر بن مازه، وشمس الأئمة الزرنجري، كان فاضلا ومميزا، ذكره في مشيخته. مات في حدود سنة ٥٧٠هـ.

المبحث الخامس

في تلاميذه رضي الله عنهم

لقد تلمذ عليه -رضي الله عنه- الجم الغفير، وتخرج على يديه الكثيرون من فقهاء المذهب ممن لهم شأن عظيم في ما بعد في مجال العلم والعمل. وآتي هنا بعدد منهم بدأً بأبنائه الثلاثة الفقهاء ثم براوي "الهداية" عنه.

١- ابنه عماد الدين بن علي بن أبي بكر الفرغاني المرغيناني، تفقه على أبيه -صاحب الهداية- وعلى القاضي ظهير الدين البخاري، وله ولد اسمه عبد الرحيم، برع في الفقه، وألف كتابا سماه بـ"الفصول العمادية"، نسبة إلى أبيه عماد الدين هذا، ويكثر ذكره في كتب المذهب.

٢- ابنه عمر أبو حفص الملقب بنظام الدين، له: "جواهر الفقه" و"الفوائد".

٣- ابنه محمد جلال الدين أبو الفتح، تفقه الثلاثة على أبيهم -صاحب الهداية- وبرعوا في الفقه وأفتوا، وصاروا مرجوعا إليهم في الفقه في زمانهم كأبيهم.

٤- محمد بن عبد الستار بن محمد العمادي الكردري شمس الأئمة أبو الوجد، كان من كبار الفقهاء في زمنه، يَفِد إليه الطلبة من الآفاق، تعلم بخوارزم على برهان الدين المطرزي صاحب "المغرب"، وتفقه بسمرقند على صاحب الهداية، وانتفع بعلمه كثيرا وروى "الهداية" للناس، وسمع أيضا فخر الدين قاضي خان، وبرع في معرفة المذهب حتى أحيا علم أصول الفقه في المذهب بعد اندراسه من زمن القاضي أبي زيد الدبوسي وشمس الأئمة بدر الدين. (ت: ٦٤٢هـ)

٥- برهان الإسلام الزرنوجي[١] صاحب كتاب "تعليم المتعلم طريق التعليم"، وقد أكثر من ذكر شيخه صاحب الهداية في هذا الكتاب، ونقل عنه كثيرا في عدة مواضع، منها: في "فصل في النية حال التعلم"، وفي "فصل في تعظيم العلم وأهله" في موضعين، وذكره في "فصل في الجد والمواظبة والهمة" في موضعين، وفي "فصل في بداية السبق وقدره وترتيبه"، وفي "فصل في الشفقة والنصيحة"، وفي "فصل الاستفادة واقتباس الأدب".

٦- الحسين بن علي بن الحجاج، تفقه على صاحب الهداية وحافظ الدين محمد بن محمد بن نصر، وفوض إليه الفتوى وهو شاب. (ت: ٧١٠هـ)

٧- عمر بن محمود بن محمد القاضي الإمام، قدم على صاحب الهداية للتفقه، وواظب على درسه مدة.

٨- محمد بن أبي بكر زين الدين، عم محمود بن أبي بكر بن عبد القاهر، والد سراج الدين عمر.

٩- محمد بن علي بن عثمان القاضي السمرقندي كان حافظا للرواية، مفتيا، مشارا إليه.

١٠- محمد بن محمود بن الحسين مجد الدين الأُسترُوشَني، تقدم أباه في العلم، وكان من المجتهدين، تعلم من أبيه ومن أستاذ أبيه صاحب الهداية، ومن ناصر الدين السمرقندي، وهو صاحب الكتب المعتبرة في المذهب، مثل "الفصول الأستروشنية"، جعله على ثلاثين فصلا، اختار

١- نسبة إلى زرنوج -بفتح أوله وسكون ثانيه، ونون، وأخر ه جيم-: بلد مشهور بماء وراء النهر، بعد خوجند من أعمال تركستان. ر: معجم البلدان.

فيها مسائل القضاء والدعاوى، و"جامع أحكام الصغار". (ت: ٦٣٢هـ)

١١- محمود بن الحسين، جلال الدين الأُستروشني، والد صاحب الفصول الأستروشنية، المذكور آنفا.

المبحث السادس

في كتبه وآثاره الباقية

لقد ترك سيدنا المرغيناني -رحمه الله- من بعده ثروة عظيمة ننتفع بها ونرجع إليها التي تعد مراجع أصيلة أساسية داخل المذهب وخارجه. ولا يستغرب ذلك إذا علمنا أنه نشأ في بيت علم ومدرسة شيخه فيها أبوه وجده، ينهل من علمهما ليلا ونهارا. ومن جملة كتبه التي ألفها وذكرت له:

١- "بداية المبتدي" في الفقه، وقد ذكرها في مقدمة الهداية فقال: "وقد جرى علي الوعد في مبدأ "بداية المبتدي" أن أشرحها بتوفيق الله تعالى". آهـ جمع فيه مسائل "الجامع الصغير" لسيدنا محمد بن الحسن الشيباني، و"مختصر القدوري" -رضي الله عنهما-.

٢- "كفاية المنتهي"، ذكرها في مقدمة "الهداية" فقال: "وقد جرى علي الوعد في مبدأ "بداية المبتدي" أن أشرحها بتوفيق الله تعالى شرحا أرسمه بـ"كفاية المنتهي" فشرعت فيه، والوعد يسوغ بعض المساغ ... "

فهو شرح طويل لـ"بداية المبتدي" السابق، في نحو ثمانين مجلدا، وقد صار مفقودا.

قال أبي –أدام الله توفيقه-: يعلم من عبارات المرغيناني أنه كان صاحب كشف، فربما كشف له أن كتابه "كفاية المنتهي" سيهجر ويصبح مفقودا، ولذا قال: "وخشيت أن يهجر لأجله الكتاب". وكان كما قال، ووقع ما خشي منه، فإن الكتاب قد هجر واختطف من بين أيدي القوم لا يعرف له أثر، ولو علمنا أنه يوجد في ناحية من العالم لبذلنا جهودنا في سبيل الوصول إليه ولنلناه بجميع ما نملك. أما كتابه "الهداية" فما زال باقيا بين القوم والكل ينتفع به. ولله الحمد.

٣- "الهداية"، وهو أشهر مصنفاته، وبه اشتهر فصار يقال له: "صاحب الهداية"، وهو الذي نحن

بصدد خدمته ودرسه -تقبل الله عن الجميع- وسيأتي الكلام عنه إن شاء الله تعالى[١].

٤-"عدة الناسك في عدة من المناسك" في مناسك الحج.

٥- "كتاب الزيادات".

٦-"التجنيس والمزيد" وهو في الفتاوى. وهذه الخمسة هي التي ذكرت في الهداية. ومن كتبه:

٧- "المنتقى"، ويقال: "منتقى المرفوع".

٨- "مختارات النوازل"[٢].

٩- "المزيد في فروع الحنفية"، وذكره ملا علي القاري باسم "التحقيق والمزيد"، وذكر بأن صاحب الهداية ذكره هكذا[٣].

١٠- "مشيخة الفقهاء" وهو كتابه الذي جمع فيه أسماء مشايخه وبعض مناقبهم.

١١- "شرح الجامع الكبير".

١٢- "نشر المذهب"، ويقال: اسمه "نشر المذاهب".

١٣- كتاب في الفرائض ذكره حاجي خليفة باسم "فرائض العثماني". وله شروح لغير صاحب الهداية.

١- في الفصل التالي.

٢- ذكره اللكنوي بهذا الاسم، وذكره حاجي خليفة باسم: "مختارات مجموع النوازل" وذكره ابن قطلوبغا وطاش كبري زاده باسم "مختار مجموع النوازل" والصواب ما ذكره اللكنوي. والله أعلم.

٣- فيحتمل أن يكون هذا نفس الكتاب السابق، ويحتمل أن يكون كتابا أخر له، والله أعلم.

الفصل العاشر

في التعريف بكتاب الهداية

ويضم عدة مباحث:

المبحث الأول

في كتاب الهداية ومكانته في المذهب

لما استوى علم الفقه على سوقه، واستقامت مناهج الأئمة، ودونت المذاهب المتبوعة، وصار لكل إمام تلاميذ ورواة يحملون علمه، ويروون نصوصه، وانتشرت هذه النصوص، وصار الفقهاء أتباع إمام يلتزمون نصوصه، ويجعلونها أساس استنباطهم وبحثهم، وموضع تفصيلهم وتفريعهم.

فجرى في هذا المضمار الإمام المرغيناني -رضي الله عنه- وجعل الأساس لنفسه في هذا المضمار الأصلين الأغرين: "الجامع الصغير" للإمام محمد بن الحسن، و"المختصر" لأبي الحسين القدوري -رضي الله عنهما-، فجمع بينهما على ترتيب "الجامع". ووسمه بـ"بداية المبتدي"، وإنما اختار هذين الأصلين من بين سائر كتب المذهب لما أنهما من أوفرها حظا، وأعظمها نفعا، وأكثرها قبولا لدى العلماء وأئمة المذهب، وكان علماء زمانه يرغّبون الكبير والصغير بحفظ "الجامع الصغير".

وشرحه أولا بشرح طويل موسوم بـ"كفاية المنتهي"، فما أن فرغ منه إلا وقد شعر بالإطناب، والتطويل فيه، فاختصره وسماه "الهداية"، فجاء بحيث لا يكاد يوجد له نظير، ولِم لا يكون هكذا؟ وقد أكمله في ثلاث عشرة سنة صائما.

جمع فيه بين الرواية والدراية، وذكر أصول المسائل وترك الزوائد في كل باب، فمن أراد الاختصار اكتفى بـ"الهداية"، ومن رغب في الأطول ذهب إلى "الكفاية"، ومن قصد ضبط المذهب أخذ بـ"البداية". فقد راعى في تأليف كتبه الثلاثة طبقات التلقي والطلب -فللّه دره ورحمه الله-.

ثم العلماء يختلفون في طريق تأليفهم في الفقه فبعضهم يذكر أقوال فقهاء المذاهب الأخرى كما يذكر أقوال فقهاء مذهبه، وبعضهم يهتم بذكر أقوال فقهاء مذهبه فحسب، على طرق لهم في ذلك. وعلى كلا الطريقين بعضهم يذكر الروايات المختلفة، وبعضهم يقتصر على الرواية الراجحة أو المشهورة في المذهب.

فسيدنا المرغيناني -رضي الله عنه- جمع في كتابه "الهداية" بين الحسنيين، حيث اهتم بذكر خلاف المذاهب الأخرى في كثير من مسائله مما يجعل لكتابه مكانة ومنزلة بين كتب الفقه بعامة، فهو في عداد كتب الفقه المقارن، كما اهتم -رضي الله عنه- بذكر الاختلاف بين الإمام وصاحبيه -رضي الله عنهم- وما فيه من اختلاف الروايات عنهم. وكذلك يذكر أقوال مشايخ المذهب المعتبرين في كثير من المسائل مما يجعل للكتاب مكانة علمية بين كتب المذهب بخاصة.

وقد وصفه كثير من المشايخ، منهم: ابن صاحب الهداية عماد الدين، قال:

كتاب الهداية يهدي الهدى   إلى حافظيه ويجلو العمى
فلازمه واحفظه يا ذا الحجى   فمن ناله نال أقصى المنى [1]

ومنهم: محمود بن عبيد الله المحبوبي، قال: "كتاب فاخر لم يكتحل عين الزمان بثانيه"[2].

ومنهم: العلامة البدر العيني، شارح الهداية، قال في مطلع شرحه "البناية": "إن كتاب الهداية قد تباهجت به علماء السلف، وتفاخرت به فضلاء الخلف، حتى صار عمدة المدرسين في مدارسهم، وفخر المصدرين في مجالسهم، فلم يزالوا مشتغلين به في كل زمان، ويتدارسونه في كل مكان، وذلك لكونه حاويا لكنز الدقائق، وجامعا لرمز الحقائق، ومشتملا على مختار الفتاوى، ووافيا بخلاصة أسرار الحاوي، كافيا في إحاطة الحادثات، وشافيا في أجوبة الواقعات، موصولا في قواعد عجيبة، ومفصلا على قواعد غريبة، وماشيا على أصول مبنية، وفصول رصينة، ومسائل غريزة، وترتيب أنيق، وتركيب حقيق ....." انتهى.

١- البيتان في مفتاح السعادة: ٢/٢٣٩.

٢- مفتاح السعادة: ٢/٢٣٨.

وأختم ذلك بكلام الشيخ العلامة أنور الكشميري -رحمه الله-، قال: "ليس في أسفار المذاهب الأربعة كتاب بمثابة كتاب "الهداية" في تلخيص كلام القوم، وحسن تعبيره الرائق، والجمع للمهمات في تفقه نفس، بكلمات كلها درر وغرر".

وقال أيضا: "وسألني بعض الفضلاء هل تقدر على أن تؤلف كتابا مثل "فتح القدير" في الدقة والتحرير؟ قلت: نعم. قال: ومثل الهداية؟ قلت: كلا! ولو عدة أسطر".

وذكره طاش كبري زاده من الكتب المعتبرة المشهورة في المذهب بعد كتب محمد بن الحسن وأبي يوسف -رحمهما الله- والمبسوط للإمام السرخسي -رحمه الله- وأطال الكلام في مدحه ومدح صاحبه[1].

١- انظر: مفتاح السعادة: ٢/٢٣٨.

المبحث الثاني

في الكتب المصنفة على الهداية

هذا الكتاب جاء ليسد نقصا عظيما في المكتبة الإسلامية في وقت هي أشد ما تكون بحاجة إليه. وبعد أن وضع سيدنا المرغيناني -رضي الله عنه- هذا الكتاب لقي قبولا كبيرا داخل المذهب خصوصا، ولدى أصحاب المذاهب الأخرى عموما.

هذا الكتاب يمتاز عن الكتب التي سبقته بأنه أوضح منها إشارة، وأسلس عبارة، وأجمع تقسيما وتنويعا على توسط حجمه. فلم يخدم كتاب في الفقه من المذاهب الأربعة مثل كتاب "الهداية"، ولم يتفق على شرح كتاب في الفقه من الفقهاء الماهرين والحفاظ المتقنين مثل ما اتفقوا على كتاب "الهداية"، ولم يزل الأكابر منذ تأليفه مكبين عليه. وذكر صاحب الكشف من شروح "الهداية" والتعليقات عليها والتخاريج لأحاديثها ما يجاوز ستين كتابا، ولو ضممنا ما صنف بعد صاحب الكشف لصار العدد أزيد بكثير. وقبل أن نسرد هنا بعضها ينبغي أن تنتبه إلى كلام طاش كبري زاده حيث قال: "ثم إن العلماء اعتنوا بشرحه كثير اعتناء، إلا أن من اجترأ على شرحه إنما هو واحد من الأفراد". آهـ[1]

من شروح الهداية وحواشيها

١- "خلاصة النهاية في فوائد الهداية"، لعلاء الدين أبي القاسم محمود بن عبد الله بن صاعد المروزي الفقيه الحنفي. (ت: ٦٠٦هـ)

٢- "الفوائد الفقهية"، لحميد الدين علي بن محمد بن علي الضرير البخاري الرامشي. (ت: ٦٦٦هـ) أول من شرح "الهداية".

١- مفتاح السعادة: ٢/٢٤٠.

٣- "نهاية الكفاية في دراية الهداية"، لتاج الشريعة عمر بن صدر الشريعة الأول المحبوبي. (ت: ٦٧٣هـ)

٤- "شرح الهداية"، لعلي بن محمد بن الحسن علاء الدين الخلاطي. (ت: ٧٠٨هـ)

٥- "الغاية شرح الهداية"، للشيخ القاضي شمس الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي. (ت: ٧١٠هـ) من أوسع شروح "الهداية"، وصل إلى كتاب الإيمان وتوفي قبل إكماله، وأكمله سعد الدين بن محمد بن الديري.

٦- "النهاية في شرح الهداية"، لحسام الدين حسين بن علي بن حجاج السغناقي الحنفي. (ت: ٧١٠هـ) الملقب بشارح الهداية.

٧- "شرح الهداية"، لحافظ الدين النسفي عبد الله بن أحمد بن محمود. (ت: ٧١٠هـ)، وقيل: لا يعرف له شرح على "الهداية".

٨- "شرح الهداية"، لنجم الدين أبي الطاهر إسحاق بن علي بن يحي الحنفي (ت: ٧١١هـ) وهو حاشية في مجلدين مشحونة بالفوائد النفيسة.

٩- "شرح الهداية"، لشمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الحسن، المعروف بابن الحريري. (ت: ٧٢٨هـ)

١٠- "شرح الهداية"، لأحمد بن الحسن شهاب الدين، المعروف بابن الزركشي. (ت: ٧٣٧هـ)

١١- "شرح الهداية"، لإبراهيم بن علي بن أحمد، المشهور بابن عبد الحق الواسطي الفقيه المحدث. (ت: ٧٤٤هـ) وضع شرحا على "الهداية" ضمنه الآثار ومذاهب السلف.

١٢- "شرح الهداية"، لأحمد بن الحسن التبريزي الجار بردي الشافعي. (ت: ٧٤٤هـ)

١٣- "شرح الهداية"، لتاج الدين أبي محمد أحمد بن عبد القادر بن أحمد، المشهور بابن مكتوم. (ت: ٧٤٩هـ) لم يكمله.

١٤- "معراج الدراية إلى شرح الهداية"، لمحمد بن محمد بن أحمد بن قوام الدين الكاكي، تلميذ علاء الدين البخاري، والسغناقي. (ت: ٧٤٩)

١٥- "الغاية في شرح الهداية"، للمؤلف السابق.

١٦- "شرح الهداية"، لعلاء الدين علي بن عثمان ابن إبراهيم، الشهير بابن التركماني. (ت: ٧٥٠هـ) لم يكمله، فأكمله ابنه جمال الدين من حيث وقف أبوه.

١٧- "شرح الهداية"، لنجم الدين إبراهيم بن علي بن أحمد أبي إسحاق الطرسوسي الدمشقي. (ت: ٧٥٨هـ)

١٨- "غاية البيان ونادرة الأقران"، لأمير كاتب بن أمير عمر العميد بن العميد الأتقاني. (ت: ٧٥٨هـ)

١٩- "الكفاية شرح الهداية"، لجلال الدين بن شمس الدين الخوارزمي الكرلاني، تلميد السغناقي. (ت: ٧٦٧هـ)

٢٠- "التوشيح"، لعمر بن إسحاق بن أحمد الغزنوي، القاضي سراج الدين أبي حفص الهندي. (ت: ٧٧٣هـ) وهو في ست مجلدات كبار على طريق الجدل.

٢١- "النهاية على الهداية"، لمحي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد القرشي الحنفي، صاحب "الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية". (ت: ٧٧٥هـ)

٢٢- "التكملة في فوائد الهداية"، لمحمود بن أحمد القونوي. (٧٧٧هـ)

٢٣- "العناية في شرح الهداية"، لمحمد بن محمد بن محمود الرومي، أكمل الدين البابرتي. (ت:٧٨٦)

٢٤- "شرح الهداية"، للسيد الشريف، علي بن محمد بن علي الجرجاني الحنفي. (ت: ٨١٦)

٢٥- "شرح الهداية"، للشيخ تقي الدين أبي بكر بن محمد الحصني الشافعي. (ت: ٨٢٩)

٢٦- "البناية في شرح الهداية"، للعلامة الفقيه المحدث بدرالدين محمود بن أحمد بن موسى القاضي العيني المصري. (ت: ٨٥٥)

٢٧- "حاشية على الهداية"، لمجد الدين محمد بن أحمد، المدعو بمولانا زاده الخطائي. (ت: ٨٥٩هـ)

٢٨- "فتح القدير للعاجز الفقير"، لكمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد السيواسي، العلامة المشهور بابن الهمام. (ت: ٨٦١هـ) وصل فيه إلى كتاب الوكالة ولم يكمله،

وأكمله قاضي زاده (ت: ٩٨٨هـ) وسماه "نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار".

٢٩- "حواشي على الهداية"، لحميد الدين بن أفضل الدين الحنفي المفتي. (ت: ٩٠٨هـ)

٣٠- "الدراية شرح الهداية"، لمحمد بن مبارك شاه بن محمد الهروي ثم الرومي، المشهور بحكيم شاه القزويني. (ت: ٩٢٨هـ)

٣١- "شرح الهداية"، للعلامة أحمد بن سليمان بن كمال باشا. (ت: ٩٤٠هـ) شرح الهداية من كتاب الطهارة إلى بعض النكاح والبيوع.

٣٢- "حاشية على شرح الهداية لابن شحنة"، لمصلح الدين مصطفى بن شعبان السروري. (ت: ٩٦٢هـ)

٣٣- "عدة الفتاوى في تعريف مسائل الهداية"، لأحمد بن مصطفى بن خليل، المعروف بطاش كبري زاده. (ت: ٩٦٨هـ)

٣٤- "شرح الهداية"، لعلي بن القاسم المرغيناني الزيتوني. (ت: ٩٧٩هـ)

٣٥- "شرح الهداية"، لصاري كرز زاده محمد المرغيناني. (٩٩٠هـ)

٣٦- "شرح الهداية"، لزكريا بن بيرام الأنقروي، مفتي الإسلام الرومي. (ت: ١٠٠١هـ)

٣٧- "شرح الهداية"، لعبد الحليم بن محمد، المشهور بأخي زاده القاضي الرومي. (ت: ١٠١٣هـ)

٣٨- "شرح الهداية"، لعلي بن سلطان محمد القاري الهروي نور الدين الفقيه الحنفي المحدث. (ت: ١٠١٤هـ)

٣٩- "إتحاف أرباب الدراية لفتح باب الهداية"، لأحمد بن محمد الحموي الحسيني. (ت: ١٠٩٨هـ)

٤٠- "إعانة طالبي الكفاية في حل ألفاظ الهداية"، للشيخ إسماعيل بن عبد الباقي بن إسماعيل الدمشقي. (ت: ١١٢١هـ)

٤١- "شرح الهداية"، لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي. (ت: ١١٤٣هـ)

٤٢- "ترغيب اللبيب إلى تخليص شروح الهداية عن جروح العلامة ابن الكمال"، لمؤلف مجهول.

٤٣- "روضة الأخيار"، لمصنف مجهول.

٤٤- "شرح الهداية"، لحميد الدين مخلص بن عبد الله الهندي الدهلوي، شرح الهداية شرحا حسنا ولم يكمله.

٤٥- "العناية بشأن الهداية"، لجلال الدين أحمد بن يوسف السباطي، وهي نكت على الهداية.

خذها خمسة وأربعين وناهيك بها عن ذكر غيرها.

من مختصرات الهداية

١- "سلالة الهداية"، لإبراهيم بن أحمد بن بركة الموصلي الفقيه الحنفي. (ت: ٦٥٢هـ)

٢- "الكفاية مختصر الهداية"، لعلي بن عثمان الإمام المعروف بابن التركماني. (ت: ٧٥٠هـ)

٣- "خلاصة النهاية في فوائد الهداية"، لمحمود بن أحمد بن مسعود القونوي. (ت: ٧٧١هـ)

٤- "الرعاية في تجريد مسائل الهداية"، لمحمد بن عثمان بن موسى، المعروف بابن الأقرب، المكنّى بأبي المليح. (ت: ٧٧٤هـ)

٥- "عدة أصحاب البداية والنهاية في تجريد مسائل الهداية"، لمحمد بن أحمد بن مصطفى، المشهور بطاش كبري زاده الرومي. (ت: ١٠٣٠هـ) جمع المسائل وأشار إلى مواضع وجودها من "الهداية"، وجردها عن الأدلة إلا نادرا، وشرح بعض ألفاظها المفتقرة إلى الشرح.

من الكتب المخرجة لأحاديث الهداية

١- "التنبيه على أحاديث الهداية والخلاصة"، لمحمود بن عبيد الله بن صاعد، علاء الدين الحارثي المروزي، من كبار الأئمة في المذهب الحنفي، وفي معرفة الخلاف. (ت: ٦٠٦هـ)

٢- "الكفاية في معرفة أحاديث الهداية"، لعلي بن عثمان بن إبراهيم علاء الدين المارديني، المشهور بابن التركماني. (ت: ٧٥٠هـ)

٣- "نصب الراية لأحاديث الهداية"، لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، أو

يوسف بن عبد الله. (ت: ٧٦٢هـ)[١].

٤- "العناية في معرفة أحاديث الهداية"، لعبد القادر بن محمد أبي محمد القرشي. (ت:٧٧٥هـ)[٢]

٥- "منية الألمعي في ما فات من تخريج أحاديث الهداية للزيلعي"، لقاسم بن قطلوبغا بن عبد الله زين الدين أبي العدل، صاحب "التصحيح والترجيح" على مختصر القدوري. (ت: ٨٧٩)

ونظم "البداية" -أصل الهداية- أبو بكر بن علي الهاملي اليمني (ت: ٧٦٩هـ) وسماه "درر المهتدي وذخر المقتدي في نظم بداية المبتدي". وشرح هذه المنظومة أبو بكر بن علي الحداد اليمني (ت: ٨٠٠هـ) وسماه "سراج الظلام وبدر التمام شرح درر المهتدي".

١- اعلم أن تخريج الزيلعي لأحاديث الهداية من أجود ما صنف في بابه، استمد منه كل من خرج أحاديث كتب الفقه بعده، فالمخرِّجون بعد الزيلعي عيال على الزيلعي.

٢- هو صاحب "الجواهر المضيئة" أول كتاب صنف في طبقات الحنفية.

المبحث الثالث

في بعض ملامح منهج سيدنا المرغيناني في الشرح

ويحتوي على ثلاث مطالب:

المطلب الأول

في منهجه في تحرير المسائل وأسلوبه في التعليل والتدليل

من المعلوم أن لكل مؤلف أن يصطلح على ألفاظ أو اختصارات يستخدمها في تأليفه، ونهج ينهجه ولا ينازعه في ذلك أحد.

ومن خلال صحبة الشيخ الوالد -زاده الله تعالى توفيقا وجعلني ممن يترسمون خُطاه- مع المؤلف السنين ذوات العدد، اطلع من ذلك على ما يمكن أن يوجز في ما يلي:

أولا: براعاته في المقدمة:

افتتح -رضي الله عنه- كتابه بمقدمة جليلة، ذات إشارات غريبة، وتنبيهات غريزة[١]، بيّن فيها عظمة العلم والفقه، ونبه على عظمة أهله، ثم بين السبب الباعث على التصنيف في الفقه في مرحلتين، ثم ذكر منهجه في كيفية شرحه بإيجاز، ثم ختم المقدمة بالدعاء والتضرع إلى الله -جلت قدرته-.

ثانيا: أسلوبه في الشرح وعاداته:

أ- ابتعد سيدنا المرغيناني -رضي الله عنه- في كتابه عن الألفاظ المعقودة وحشو الكلام، واعتمد على سهولة الأسلوب وجزالة العبارة، وكتب الكتاب بعبارة سهلة ميسرة، وحافظ على ذلك في كتابه كله. وابتعد -رحمه الله- عن النقد والطعن في أحد من العلماء، أو ذكره بسوء[٢].

١- وستطلع على تلك الإشارات والتنبيهات في شرح الوالد -وفقه الله تعالى لإتمامها- إن شاء الله تعالى.

٢- وكذلك طريقة الوالد في التدريس، حيث يصونه عن تجريح أحد من الناس، عالم أو أمي أو من أية طبقة، أو ذكره بسوء، فقد وافق شنٌّ طَبَقَه -سلك الله بنا مسلك سيدنا المرغيناني وسيدي الوالد-

ب- إنه -رضي الله عنه- من حفاظ الأحاديث، وكتابه الهداية مشتمل على آثار كثيرة من المرفوعات والموقوفات.

ج- إنه -رضي الله عنه- يذكر أخوات المسائل وأضدادها.

د- يذكر -رضي الله عنه- الفروق بين المسائل بأحسن وألطف عبارة.

هـ- من عاداته -رضي الله عنه- أنه يستشهد بالمختلف للمختلف، نقلا للكلام إلى ما هو الأوضح، كما أنه عادة محمد -رضي الله عنه- ذكره الشيباني الصغير[1] وقاضي خان[2] -رضي الله عنهما-.

و- من خصوصياته -رضي الله عنه- أنه يصرح بمواضع الإيهام، فيكون ذلك تنبيها لا تقييدا للمسألة، كما في قوله في البيع الفاسد: "ولا بيع لبن امرأة في قدح"، يعني: وإن كان في قدح.

ز- يصرح -رضي الله عنه- أو يشير إلى الأصول والقواعد بأحسن تعبير وتحرير، وهذا من أسراره.

ثالثا:منهجه في عرض المسائل والخلاف:

طريقة سيدنا المرغيناني -رضي الله عنه- بعد ذكره المسألة بلفظ "الجامع الصغير" أو "الكتاب": إن كان فيها خلاف يريد بيانه ذكره مباشرة بقوله: خلافا لزفر ... أو للشافعي... مثلا. وإن لم يذكر الخلاف أو لم تكن المسألة خلافية فإنه يدلل المسألة أو يعلل لها مباشرة بقوله: لقوله تعالى ... أو لما روي... أو لأنه .... وهكذا، ثم بعد ذلك يفصل الفصول المتعلقة في ثنايا شرحه، المنسحبة على ما أصّل لما علل؛ إتماما وإحاطة، ويسوق ما فيها من الخلاف إن كان، سواء كان الخلاف بين أئمة المذهب أو بين أئمة المذاهب. ثم منهجه الغالب في سوق الخلاف -في مسائل المتن أو المسائل التي يذكرها في ثنايا شرحه- ما يلي:

١- المبسوط: كتاب البيوع، باب العيوب في البيوع: ١٣/١٤٠.

٢- شرح الزيادات: كتاب البيوع، باب من البيع والشراء في ما إذا كان المبيع معيبا فيزول عيبه قبل القبض أو بعده.

أ- منهجه في نقل الخلاف بين أئمة المذهب:

١) يذكر -رضي الله عنه- الاختلاف بين علمائنا الثلاثة، ويرجح أحد الأقوال بأنه ظاهر الرواية، أو هو الصحيح، أو الأصح، أو عليه الفتوى، أو اختاره المشايخ، أو هو الأشبه وغير ذلك من ألفاظ الترجيح، أو بتأخير دليل الراجح وتعليله، مع دفع دليل القول المرجوح، وكذلك إن كانت في المسألة روايات مختلفة عن الأئمة فيذكرها، ويرجح الراجح بما ذكرنا.

٢) يذكر -رضي الله عنه- خلاف زفر -رضي الله عنه- أيضا، ويرجح بما ذكرنا. وإن كان الاختلاف بين مشايخ المذهب في نفس المسألة أو في ترجيح أقوال الأئمة فيذكره كذلك ويرجح بما قلنا.

٣- يذكر -رضي الله عنه- أصل المسألة الخلافية إن كان الخلاف بنائيا لا ابتدائيا.

٤- يذكر -رضي الله عنه- ثمرات الاختلاف في مواضع الضرورة.

ب- منهجه في نقل الخلاف بين أئمة المذاهب:

غالبا ما يذكر -رضي الله عنه- خلاف الشافعي في المسألة، وربما ذكر قوليه، كما ذكر خلاف مالك -رضوان الله تعالى عليهما- في كثير من المسائل. وطريقته في ذلك: أنه يذكر المذهب الحنفي ثم يذكر قول مالك أو الشافعي، ويسوق دليله بقوله: "له". ثم يذكر دليل المذهب بقوله: "ولنا".

وربما ذكر المسألة بدليلها، ثم يقول في نهايتها: وفيه خلاف الشافعي أو مالك، ولا يذكر دليله. وربما استدل لمذهبه من السنة ثم يقول: وهو حجة على الشافعي أو مالك.

رابعا:منهجه في التدليل والتعليل:

○ لقد تنوعت أدلة سيدنا المرغيناني -رحمه الله- بين القرآن الكريم والسنة المطهرة والآثار الشريفة عن الصحابة والتابعين -رضوان الله تعالى عليهم- والإجماع والقياس.

فيستدل أولا بالكتاب ثم بالسنة ثم بالإجماع ثم بالقياس، وهذا إذا كان يستدل للمسألة من

الأصول الأربعة وإلا فما تيسر.

واستدلاله بالقياس بعد الاستدلال بالنصوص إشارة إلى تعليل النص، وذكره بصورة دليل مستقل -بقوله: "ولأنه"- إشارة إلى أنه لو لم يدل عليه النص لكفى القياس دليلا في المسألة. وهذا لأن النصوص قد تكون غير قطعية الدلالة فيكون ذكر القياس على تقدير عدم دلالة النص على المسألة.

○ طرزه -رحمه الله- في ذكر القياس أنه قد يذكر ركن القياس ويترك المقيس عليه لكونه ظاهرا ومتعددا، وقد يعكس، وقد يذكر كليهما إذا دعت إلى ذلك ضرورة.

○ يبين وجه التأثير لجامع القياس وعدالته بقوله: "والفقه فيه"، أو بقوله: "وهذا لأن" وهو الأكثر. وهذا لأن العلل المؤثرة هي المعتبرة دون الطردية، وكذلك لا معتبر بالعرض على الأصول والإحالة. قال سيدنا الشيباني الثاني -رضي الله عنه- في أصوله ما ملخصه أنه: "لا بد في وصف القياس [علة القياس] من الملائمة والعدالة. فالملائمة الموافقة للعلل المنقولة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن أصحابه -رضي الله عنهم- غير نائية عن طريقهم في التعليل؛ لأن الكلام في العلة الشرعية، والمقصود إثبات حكم الشرع بها، فلا تكون صالحة إلا أن تكون موافقة لما نقل عن الذين ببيانهم عرفت أحكام الشرع الشريف. وعدالة الوصف أن يكون مؤثرا. فالملائمة كالأهلية في الشاهد [من الحرية والبلوغ والإسلام وغيرها] وكون الوصف مؤثرا بمنزلة عدالة الشاهد"[١].آه

○ يبين -رضي الله عنه- أثر الوصف المعتبر بقوله: "ولهذا" أو بقوله: "ألا ترى"، كما التزموا ذلك في علل الأقيسة.

○ يدفع -رضي الله عنه- ما يتوهم من موانع تأثير العلة. ومنه الجواب عن دليل الخصم.

○ يحتج -رضي الله عنه- بالاستحسان، وهو كل دليل يطلع عليه المجتهد في مقابلة القياس الجلي[٢].

١- أصول السرخسي: باب القياس، فصل في الركن.

٢- قد سبق الكلام عن الاستحسان بتمامه في المبحث الرابع من الفصل الثامن.

○ يقدم -رضي الله عنه- القول الراجح؛ اعتبارا لمعنى "الترجيح بالسبق"، ثم في ذكر الدلائل يؤخر دليل القول الراجح، ليكون كالناسخ، ويكون جوابا عن دليل القول المرجوح.

○ يذكر -رضي الله عنه- في غير الخلافيات دليل المسألة المؤخرة مقدما، والمقدمة مؤخرا؛ روما للاختصار والله سبحانه وتعالى شأنه أعلم.

المطلب الثاني

في بعض مصطلحاته واختصاراته التي استخدمها في كتابه

لما تلونا: يعبر به سيدنا المرغيناني -رحمه الله- عن الآية التي ذكرها من قبل.

لما روينا: يعبر به عن الحديث الذي رواه من قبل.

الخبر - الأثر: يعبر عن الحديث الشريف بالخبر، وعن قول الصحابي بالأثر، وقد لا يفرق بينهما.

لما ذكرنا: يشير به إلى مجموعة ما ذكر من آية الكتاب والسنة والتعليل.

لما بينا: يشير به إلى ما بينه من تعليل المسألة، فالفرق: أن "لما ذكرنا" عام بالنسبة إلى قوله: "لما بينا".

قال: إذا كان في أول المتن فمقولته ما في "الجامع الصغير" أو "الكتاب" للقدوري.

قال رضي الله عنه: -بعد المتن- مقولته رأي المؤلف -رحمه الله-. وإنما كان أصل قوله: "قال العبد الضعيف عفى الله عنه"، ولكن تلامذته ألحقوا "رضي الله تعالى عنه"، وإنما لم يقل: "قلت" أو شبهه؛ احترازا عن شبهة الأنانية.

قالا: يريد به الإمامين الصاحبين إذا ذكر قبله مذهب الإمام -رضوان الله تعالى عليهم-.

قالوا: قد يريد به الأئمة الثلاثة: أبا حنيفة وصاحبيه، فيكون إشارة إلى الإجماع في الفصل المذكور. وقد يريد به المشايخ، فإشارة إلى الاختلاف فيه.

مشايخنا: يريد به مشايخ ما وراء نهر جيحون.

ديارنا: يريد به ديار ما وراء النهر[1].

عند فلان: يريد به أنه مذهبه.

عن فلان: يريد أنها رواية عنه.

١- سيأتي الكلام عن ديار ما وراء النهر ومشايخها في المطلب الثالث، إن شاء الله تعالى.

الأصل: يعني به "المبسوط" لسيدنا محمد بن الحسن -رضي الله عنه-.

الكتاب - المختصر: يعني به مختصر القدوري -رحمه الله تعالى-.

هذا هو الصحيح - هو الصحيح: يشير به إلى الاختلاف مع التصريح بتصحيح المذكور.

هذا كله هو الصحيح: يشير به إلى الاختلاف في المواضع العديدة.

اعتبارا بكذا - وصار ككذا: إشارة إلى القياس لكن المقيس عليه في الأول يكون قريبا إلى الفرع، وفي الثاني يكون بعيدا.

هذا في معناه - ليس في معناه - يلحق به - لا يلحق به: يشير بهذه الصيغ إلى دلالة النص أو إلى نفيها.

ومعناه: يريد به تقييد المطلق أو توضيح المبهم.

غير أن: يستدرك به الفرق في موضع إيهام عدم الفرق، وقد يستدرك بـ "إلا" كما يستدرك بـ"أما" بمعنى "لكن" الاستدراكية، فلا تستدعي الفاء في الجواب، بخلاف "أما" الشرطية فإنها تقتضي الفاء في الجواب.

ألا ترى: يذكره لبيان الأثر، وربما يذكره لبيان المعنى المؤثر.

ولهذا: يورده لبيان الأثر.

وأصل هذا: يورده في شتى المواضع لشتى المعاني التي قرّرت للفظة "الأصل":

أ) المبنى عليه للمسألة.

ب) القاعدة الكلية، والضابطة.

ج) أول الشيء ووضعه، كما في قوله -رضي الله عنه- في البيع الفاسد في مسألة الانتفاع بشعر الخنزير: "ويوجد مباح الأصل، فلا ضرورة إلى البيع" أي مباحا في الابتداء. وكقوله في أول باب الاستحقاق: "فيظهر بها ملكه من الأصل". أي من الابتداء.

د) الدليل، كقوله: "الأصل فيه قوله عليه السلام" أي الدليل فيه.

هـ) المتبوع، كقوله -رحمه الله- في باب دعوى النسب: "الأصل في هذا الباب الولد، والأم تابعة له". أي الولد متبوع والأم تبع

و) المقيس عليه، كما في قوله في أول الشفعة: "لأن مؤونة القسمة تلزمه في الأصل". أي المقيس عليه[1].

١- وجل المعاني راجعة إلى الأول تقريبا.

المطلب الثالث

في التعريف بديار ما وراء النهر وما أخرجت من فقهاء مذهب أبي حنيفة البحر

المراد بالنهر نهر جيحون الذي يسمى الآن "آمور داريا"[١] بخراسان، فما في شرقيه يقال له: "بلاد الهياطلة"، وفي الإسلام سموه بـ"ما وراء النهر"، وما في غربيه فهو خراسان.

من أشهر ديار ما وراء النهر -التي طالما تجد نسبة الفقهاء إليها- هي: بخارى، وسمرقند، وفَرغانة، ونَسَف، والشاش، والسغد، والتِّرمِذ، وأُسروشنة، وخجند، والقواديان، والصغانيان، وبابات، وكلساوان. فأما بلخ وطخارستان، والباميان، وخُوارزم وما يتصل بها فهي ما دون النهر.

أهل ما وراء النهر ومبادرتهم إلى الخيرات

قال أبو عبيد البكري في "المسالك والممالك" ما ملخصه: "وما وراء النهر أخصب الأقاليم، والصلاح على أهله غالب، والخير فيهم فاش، ولهم الغناء والثروة والوفرة والجدة، وليس بينهم في شيء من ذلك تنافس، ولا يتحرّفون به تحرّف أهل زمانهم ممن همّته الدنيا ينالها أو لذّة يبلغها. بل يصرفونها إلى قري الأضياف، ومواساة النّاس، وسبل الخيرات، وعمارة الطّرق والمنازل، وتعاهد المراحل والمناهل". انتهى[٢].

وقال ياقوت الحموي -أعلم البلدانيين بالبلدانيات- في معجمه: "...... وأمّا سماحتهم فإنّ الناس في أكثر ما وراء النهر كأنّهم في دار واحدة، ما ينزل أحد بأحد إلّا كأنّه رجل دخل دار صديقه، لا يجد المضيف من طارق يطرقه كراهة بل يستفرغ مجهوده في غاية من إقامة أَوَده من

١- نهر طوله: ٢٥٨٠ كم، بوسط آسيا، يصب في بحر آرال، اسمه القديم: "أوجزوس" وعرفه العرب باسم جيحون. ر: الموسوعة العربية الميسرة: ٣٢٠/١.

٢- المسالك والممالك: ذكر ما وراء النهر.

غير معرفة تقدّمت، ولا توقّع مكافأة، بل اعتقادا للجود والسماحة في أموالهم، وهمّة كلّ امرئ على قدره فيما ملكت يده، والقيام على نفسه ومن يطرقه[1]، .... ولم تزل ما وراء النهر على هذه الصفة وأكثر إلى أن ملكها خوارزم شاه محمد بن تَكَش بن ألب أرسلان بن أَتْسُزْ في حدود سنة ٦٠٠ ... وقتل ملوك ما وراء النهر المعروفين بالخانية، ..... وأجلوا الناس عنها فبقيت تلك الديار التي وصفت كأنها الجنان بصفاتها، خاوية على عروشها، وبساتينها ومياهها متدفقة، خالية لا أنيس بها، ثم أعقب ذلك ورود التتر -لعنهم الله- في سنة ٦١٧ فخرّبوا الباقية، وبقيت مثل ما قال بعضهم[2]:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصّفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

انتهى كلام ياقوت[3].

ما أنبتت أرض ما وراء النهر من الرجال العظام

أنبتت أرض ما وراء النهر من رجال الإسلام، والعلماء الأعلام، والفقهاء العظام، المتغلغلين في الفنون العلمية، وكان الأغلب عليهم الفقه، ما لم تنبته أرض غيرها، كانت ترحل إليها القوافل لتحصيل العلم والفقه من الأصقاع النائية.

وهي الأرض التي أنبتت سيدنا المرغيناني -رضي الله عنه-، يحيل على مشايخها، وعلى عوائدها وأعرافها، فلذا لزام علينا أن نعرّف بها وبفقهائها ومشايخها، ونذكر عددا منهم.

١- قال الإصطخري: ولقد شهدت منزلا بالصغد قد ضربت الأوتاد على بابه، فبلغني أن ذلك الباب لم يُغلق منذ زيادة على مائة سنة، لا يمنع من نزوله طارق، وربما ينزل بيتا من غير استعداد المائة والمائتان والأكثر بدوابهم، فيجدون من علف دوابهم وطعامهم، ودثارهم من غير أن يتكلف صاحب المنزل بشيء من ذلك؛ لدوام ذلك منهم. كذا في معجم البلدان: ٢٠٠/٧.

٢- القائل هو: مضاض بن عمرو الجرهمي، كان من ملوك العرب في الجاهلية، وقيل: كان يحكم أعلى مكة، ويأخذ العشور ممن يدخلها، قال هذا البيت لما أجْلَتْهم خزاعة عن مكة؛ تأوها لمفارقته وقومه إياها، كأنهم لم يسكنوها. والحَجُون: جبل بأعلى مكة، فيه مدافن أهله، والأنيس: المؤنس، وأراد به الإنسان، السامر: المتحدث ليلا.

٣-معجم البلدان: ٢٠٠/٧.

فمن فقهاء بخارى[١]

وكفى بخارى أن فيها بحر بخار بخور البخاري -رحمه الله-.

١- أبو حفص الكبير البخاري.

٢- أبو حفص الصغير، ابن أبي حفص الكبير[٢].

٣- أبو عصمة ابن أبي الليث البخاري[٣].

٤- أبو بكر محمد بن الفضل الكماري البخاري[٤].

٥- أبو عمر البيكندي البخاري، شيخ سيدنا المرغيناني.

١- تقع بخارى الآن في أوزبكستان، وتعد من أهم مدنها، وتضم بخارى ١٤٠ أثرا معماريا، أشهرها قبة السامانيين، التي شيدها إسماعيل الساماني عام ٨٩٢، وقلعة بخارى.

٢- هو محمد بن أحمد بن حفص، عالم ما وراء النهر، شيخ الحنفية، تفقه بوالده أبي حفص الكبير، رحل وسمع أبا داود الطيالسي ويحي بن معين وغيرهما، ورافق البخاري في الطلب مدة، له: كتاب الرد على أهل الأهواء، والرد على اللفظية. (ت: ٢٦٤هـ).

٣- من أقران القاضي إسحاق الحكيم السمرقندي، أخذ عن أبي منصور الماتريدي.

٤- الفضلي، كان إماما كبيرا، وشيخا جليلا، معتمدا في الرواية، مقلَّدا في الدراية، رحل إليه أئمة البلاد، ومشاهير كتب الفتاوى مشحونة بفتاواه ورواياته، أخذ الفقه عن الأستاذ عبدالله السبذموني عن أبي حفص الصغير عن أبيه أبي حفص الكبير عن محمد، له أولاد فقهاء مشهورون بالفضليين، وفي طبقات القاري: يحكى أن والده وعده بألف دينار عند تمام حفظه "المبسوط" وكذا لأخيه، فلما حفظه دفع المال لأخيه، وقال له: يكفيك حفظ "المبسوط"، فخرج مغاضبا، فانتهى به السفر إلى أن دخل بلاد فرغانة، فوجد قاضي خان يتكلم فوق المنبر، وبين يديه العلماء، وهم يكتبون ما يملي عليهم، فذكر قاضي خان مسألة خلافية بين أبي يوسف ومحمد، فعكس قول أبي يوسف وجعله قول محمد، وقول محمد قول أبي يوسف، فقال له أبوبكر: اعكس، فقال قاضي خان: وإن لم أعكس؟ فقال أبوبكر: إن لم تعكس يرد على قول أبي يوسف كذا وكذا، ويرد على قول محمد كذا وكذا، وذكره عدة مسائل، فترك قاضي خان المنبر واعتنقه، وقال: يا سيدي لعلك تكون محمد بن الفضل الكماري، قال: نعم، فقال: أنت أحق بهذا المجلس مني. توفي ببخارى سنة ٣٧١هـ، قال اللكنوي: لا يمكن ملاقاة أبي بكر الفضلي مع قاضي خان؛ فإن وفاة قاضي خان سنة ٥٩٢هـ ووفاة الفضلي سنة ٣٧١هـ وأظن أن الملاقي لقاضي خان هو أبوبكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن صاحب الترجمة المتوفى سنة ٥٤٩، آهـ ملخصا. و"الكُمَاري" -بضم الكاف وتخفيف الميم-: اسم قرية ببخارى.

٦- الصدر الكبير عبد العزيز بن عمر بن مازه، برهان الأئمة، أبو الصدور البخاري.

٧- الصدر الشهيد حسام الدين عمر.

٨- الصدر السعيد تاج الدين أحمد، وهذان الصدران ابنا الصدر الكبير برهان الأئمة المتقدم، وكل واحد منهما شيخ الإمام المرغيناني، والثاني والد البرهان صاحب "المحيط البرهاني".

٩- شمس الأئمة الحلواني[١].

١٠- شمس الأئمة الزرنجري، بكر بن محمد البخاري.

١١- شيخ الإسلام عبدالرشيد البخاري، جد صاحب الخلاصة.

١٢- مجير الإسلام البخاري محمود بن قاضي خاصّة، من ذرية الإمام أبي يوسف -رحمه الله-[٢].

١٣- خواهر زاده بكر البخاري، صاحب المبسوط، ابن أخت القاضي أبي ثابت محمد بن أحمد البخاري.

١٤- إمام زاده محمد بن أبي بكر البخاري[٣] صاحب "شرعة الإسلام"[٤].

١٥- أبو نصر العتابي، أحمد بن محمد، زين الدين.

١- هو عبد العزيز بن أحمد بن نصر الحلواني، صاحب "المبسوط"، تفقه على أبي علي الحسين بن خضر النسفي، وتفقه عليه شمسا الأئمة: السرخسي والزرنجري، والصدران البزدويان، وجماعة. كان إماما كبيرا جليلا، وفي تعليم المتعلم للزرنوجي: كان أحمد بن نصر والد شمس الأئمة الحلواني فقيرا يبيع الحلواء، وكان يعطي الفقهاء من الحلواء ويقول: ادعوا لابني، فببركة جوده واعتقاده وشفقته وتضرعه لله تعالى نال ابنه ما نال. آه(ت: ٤٤٨هـ) والحلواني والحلوائي -بالنون وبالهمز- كلاهما يستعملان، نسبة إلى عمل الحلواء وبيعه، فأما نسبته إلى حُلْوان -بالضم: بلدة في أخر سواد العراق- فخطأ صريح.

٢- له "الطريقة" في الخلاف. (ت: ٦٤٦هـ)

٣- الواعظ، ركن الإسلام المعروف بإمام زاده الشرعي الجوغي-نسبة إلى "جوغ" بضم الجيم الفارسية ثم الواو ثم الغين المعجمة، قرية من قرى سمرقند- كان إماما فاضلا، أديبا كاملا، يفتي ببخارى، صاحب بيان، فصيح اللسان، صوفيا، أخذ عن شمس الأئمة بكر الزرنجري، وتفقه عليه الزرنوجي -صاحب "تعليم المتعلم"-، وله: "شرعة الإسلام". (ت: ٥٧٣هـ)

٤- شرعة الإسلام كتاب نفيس، حاو للمسائل الفقهية، و الآداب الصوفية، وهو من الكتب الدراسية في جامعتنا.

١٦- أبو محمد عبدالله السبذموني[١]، صاحب "كشف الأثار الشريفة في مناقب أبي حنيفة".

١٧- جمال الدين محمود بن أحمد الحصيري البخاري، صاحب "التحرير" و"الوجيز" شرحي "الجامع الكبير" للإمام محمد بن الحسن-رحمه الله-.

١٨- فخر الدين المايْمَرْغي البخاري محمد بن محمد[٢].

١٩- أبو عبدالله الزاهد العلاء محمد بن عبدالرحمن البخاري، صاحب "محاسن الإسلام" وشيخ الإمام المرغيناني.

٢٠- القاضي أبو جعفر البخاري البركدي، محمد بن أحمد بن موسي، تلميذ أبي حفص الصغير[٣].

٢١- أبو محمد الخيزاخَزي، عبدالله بن الفضل[٤].

٢٢- أحمد بن عبدالله بن الفضل الخيزاخزي.

٢٣- عبد الكريم بن أبي حنيفة بن العباس الأندقي[٥].

١- هو عبدالله بن محمد بن يعقوب بن الحارث، المعروف بالأستاذ السبذموني البخاري، أخذ عن أبي حفص الصغير عن أبي حفص الكبير عن محمد، وعنه ابن منده وجماعة، له "كشف الأثار" و"مسند أبي حنيفة". (ت: ٣٤٠هـ) "والسبذموني" -بضم السين أو فتحها وفتح الباء، وسكون الذال المعجمة-:قرية من قرى بخارى.

٢- كان شيخا كاملا، تفقه على شمس الأئمة الكردري، وأخذ عنه عبدالعزيز البخاري وغيره، والمايمرغي: نسبة إلى "مَايْمَرْغ" -بسكون الياء المثناة التحتية بين الميمين المفتوحتين، وسكون الراء المهملة، في أخره الغين المعجمة-: قرية كبيرة على طريق بخارى.

٣- كان قاضيا على مظالم بخارى. (ت: ٢٨٩هـ) والبركدي -بفتح الموحدة وسكون المهملة، وفتح الكاف، أخره دال مهملة-: قرية من قرى بخارى.

٤- تفقه الخيزاخَزي على أبي بكر محمد بن الفضل، وتفقه عليه ابنه أحمد، وهو إمام كبير فقيه متورع، والخَيْزاخَز-بفتح الخاء المعجمة، ثم الياء الساكنة، ثم الزاي المعجمة المفتوحة، ثم الألف الساكنة، ثم الخاء المعجمة المفتوحة، ثم الزاي المعجمة- قرية من قرى بخارى.

٥- كان فقيها فاضلا، تفقه على شمس الأئمة الحلواني وسمع الحديث منه. (ت: ٤٨١هـ) و"الأندقي" نسبة إلى أَندَق-بفتح الألف و سكون النون، ثم الدال المهملة المفتوحة بعدها قاف-: قرية من قرى بخارى.

٢٤- أبو محمد المنغي[١].

٢٥- القاضي أبو نصر الرِيْغَدْمُوْنِي[٢].

ومن فقهاء سمرقند[٣]

١- مقاتل بن حفص بن سهيل الفزاري، أدرك مشايخ الإمام كأيوب السختياني وهشام بن حيان وغيرهما-رضي الله عنهم-.

٢- إسحاق بن إبراهيم الشاشي السمرقندي[٤].

٣- أبو علي نصر السمعاني السمرقندي[٥].

٤- عبدالكريم بن موسى بن عيسى البزدوي[٦]، جد والد الصدرين البزدويين: أبي اليسر وأبي العسر الأتي ذكرهما.

٥- أبو اليسر صدر الإسلام البزدوي السمرقندي[٧].

١- هو عبدالكريم بن محمد بن موسى المنغي، كان إماما زاهدا ورعا مفتيا، لم يكن مثله، أخذ الفقه عن الأستاذ السبذموني. (ت: ٣٩٠هـ) والمنغي: نسبة إلى "منغ" قرية من قرى بخارى.

٢- هو أحمد بن عبدالرحمن بن إسحاق، جمال الدين القاضي أبو نصر الريغدموني، أخذ العلم عن القاضي أبي زيد الدبوسي، وأبي نصر الخيزاخزي، كان إماما فاضلا، ولي قضاء بخارى، وهو جد صاحب "المحيط" من قبل الأم. (ت:٤٩٣هـ) والرِيْغَدْمون -بكسر الراء المهملة، وسكون الياء، وفتح الغين المعجمة، وسكون الدال المهملة-: قرية من قرى بخارى.

٣- تقع سمرقند اليوم في أوزبكستان، وتعد من أهم مدنها، واشتهرت سمرقند بكثرة القصور التي شيدها تيمور لنك، منها قصر "باغ بهشت" -قصر الجنة- ر: "الموسوعة الجغرافية" للدكتور سليم إلياس: جمهورية أوزبكستان.

٤- أبو إبراهيم الخطيبي، شيخ أصحاب أبي حنيفة وعالمهم في زمانه، وكان يروي "الجامع الكبير" عن زيد بن أسامة عن أبي سليمان الجوزجاني، وكان ثقة. (ت:٣٢٥هـ)

٥- (ت: ٣٨١هـ)

٦- أخذ عن إمام الهدى أبي منصور الماتريدي. (ت: ٣٠٩هـ) والبزدوي: نسبة إلى "بزده" قلعة حصينة على ستة فراسخ من نسف.

٧- هو محمد بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم البزدوي، أخذ عن إسماعيل بن عبدالصادق عن جد أبي اليسر عبدالكريم عن أبي منصور الماتريدي، انتهت إليه رياسة الحنفية بما وراء النهر، وكان إمام الأئمة على الإطلاق، ملأ بتصانيفه بطون الأوراق، تفقه عليه النجم النسفي، والعلاء السمرقندي-صاحب التحفة- وجماعة. (ت: ٤٩٣هـ)

٦- أبو العسر فخر الإسلام البزدوي[١]، صاحب "الأصول" وأخو صدر الإسلام البزدوي المتقدم.

٧- أبو المعالي صدر الإسلام البزدوي، أحمد ابن أبي اليسر البزدوي[٢].

٨- أبو القاسم بن يوسف السمرقندي، صاحب "الملتقط في الفتاوى".

٩- أبو القاسم الحكيم السمرقندي، إسحاق بن محمد، تلميذ أبي منصور الماتريدي[٣].

١٠- أبو زيد الدبوسي القاضي، صاحب كتاب "الأسرار" و"تقويم الأدلة".

١١- أبو الليث السمرقندي، المجد النسفي أحمد ابن أبي حفص شيخ سيدنا المرغيناني.

١٢- أبو الليث السمرقندي الفقيه نصر، صاحب "النوازل"، المعروف بإمام الهدى[٤].

١٣- أبو الليث السمرقندي الحافظ نصر[٥].

١- هو علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، فقيه ما وراء النهر، وأستاذ الأئمة، وصاحب الطريقة على مذهب أبي حنيفة بعد أخيه الكبير أبي اليسر، كان أحد من يضرب به المثل في حفظ المذهب، له تصانيف جليلة منها: شرح الجامع الكبير وشرح الجامع الصغير، وكتاب كبير في اصول الفقه، مشهور بـ"أصول البزدوي" و"المبسوط"، و"كتاب في تفسير القرآن"، يقال: إنه مائة وعشرون جزأ، (ت: ٤٨٢هـ) ودفن بسرقند.

فائدة زائدة:

قال في "الفوائد البهية": كني فخر الإسلام البزدوي بـ"أبي العسر" لأن تصانيفه دقيقة متعسرة الفهم على أكثر الناس، وكني أخوه بـ"أبي اليسر" ليسرة تصانيفه. آه

٢- هو أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم، تفقه على والده، وسمع أبا المعين ميمونا، وولي القضاء ببخاري، وكان إماما فاضلا مناظرا. (ت: ٥٤٢هـ)

٣- لقب بالحكيم لكثرة حكمته وموعظته، صحب أبا بكر الوراق ومشايخ بلخ في زمانه وأخذ عنهم التصوف، تولى قضاء سمرقند. (ت: ٣٤٢هـ)

٤- هو نصر بن محمد بن أحمد، أخذ عن أبي جعفر الهندواني، له تصانيف جليلة، منها: تفسير القرآن، و"النوازل"، و"العيون"، و"خزانة الفقه"، و"شرح الجامع الصغير"، و"تنبيه الغافلين". (ت: ٣٧٣هـ)

٥- (ت: ٢٩٤هـ)

١٤- أبو منصور الماتريدي السمرقندي محمد بن محمد بن محمود[١].

١٥- محمد بن عبد الحميد العلاء السمرقندي[٢]، صاحب "الميزان في أصول الفقه".

١٦- أبو بكر علاء الدين السمرقندي، محمد بن أحمد، صاحب "تحفة الفقهاء"، وشيخ ملك العلماء الكاساني صاحب "البدائع".

١٧- أبو علي السمرقندي الحسن بن داود بن رضوان[٣].

١٨- أبو نصر الدبوسي[٤].

١٩- أبو بكر السمرقندي محمد بن اليمان[٥].

٢٠- أبو المعالي محمد بن نصر بن منصور العامري الخطيب[٦]، تلميذ الصدرين البزدويين: أبي العسر، وأبي اليسر.

٢١- أبو نصر العياضي[٧].

١- إمام المتكلمين وقامع الفرق الباطلة بما وراء النهر، تفقه على أبي بكر أحمد الجوزجاني عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد، وتفقه عليه الحكيم القاضي إسحاق بن محمد السمرقندي، وعبد الكريم البزدوي وخلق، صنف التصانيف الجليلة، وردّ أكاذيب أقوال أصحاب العقائد الباطلة، منها: "كتاب التوحيد"، وكتاب "أوهام المعتزلة"، و"تأويلات القرآن"، ومآخذ الشريعة" في أصول الفقه وغير ذلك. (ت: ٣٣٣هـ) والماتريدي: نسبة إلى ماتريد -بفتح الميم، وضم التاء، وكسر الراء المهملة- ويقال: "ماتريت": محلة بسمرقند.

٢- هو أبو الفتح محمد بن عبد الحميد بن الحسن الأسمندي، يعرف بالعلاء العالم، أخذ عن عمر ابن مازه البخاري، وأخذ عنه في من أخذ عنه عمر ابن صاحب الهداية. (ت: ٥٥٢هـ) ر: مقدمة الدكتور يحي مراد لـ"الميزان في أصول الفقه" للمترجم. والأسمند -بالفتح قال ياقوت:- من قرى سمرقند.

٣- تفقه أبو علي على أبي سهل الزجاج عن أبي الحسن الكرخي، وكان أحد الفقهاء المتقدمين في النظر والجدل. (ت: ٣٩٥هـ)

٤- إمام كبير من أئمة الشروط.

٥- إمام جليل من طبقة أبي منصور الماتريدي، له: "معالم الدين"، و"الرد على الكرامية" وغير ذلك. (ت: ٢٦٨هـ)

٦- كان خطيبا بسمرقند، وعُمِّر حتى مات أقرانه. (ت: ٥٥٥هـ)

٧- هو أحمد بن العباس بن الحسين بن جبلة بن غالب بن جابر بن نوفل بن عياض بن قيس بن سعد بن عبادة الصحابي الأنصاري الخزرجي، الفقيه السمرقندي، أخذ الفقه مع أبي منصور الماتريدي عن أبي بكر الجوزجاني، وأخذ عنه ولداه: أبو أحمد وأبو بكر العياضيان، مات شهيدا، والعياضي: نسبة إلى جده عياض بن قيس.

٢٢- أبو أحمد العياضي[١].

٢٣- أبو بكر العياضي[٢]. كلاهما ابنا أبي نصر العياضي المتقدم ذكره.

٢٤- أبو الحسن الرُسْتُغفَني[٣].

٢٥- أبو علي الزاهد السمرقندي[٤].

٢٦- أبو عبد الله الفقيه السمرقندي، محمد بن الحسن بن محمد[٥].

٢٧- فاطمة ابنة العلاء السمرقندية، المهورة ببدائع الصنائع.

١- هو نصر بن أحمد بن العباس، تفقه على والده أبي نصر، وكان فائق أقرانه، ووحيد زمانه، ورحل إليه فقهاء البلاد في الواقعات والنوازل، حتى روي عن أبي حفص البجلي حفيد أبي حفص الكبير أنه قال: الدليل على صحة مذهب أبي حنيفة أن أبا أحمد العياضي كان على مذهبه، ولو لم يكن مذهبا مختارا لم يعتقده.

٢- هو محمد بن أحمد بن العباس العياضي، كان إليه المنتهى في علم الحساب وعلم الزِيج، وعمل الأشكال من كتاب "أقليدس"، مع حفظه للمذهب، وكان من رؤساء بلده.

و"الزِيج" -بكسر الزاي المعجمة والجيم، بينهما ياء ساكنة- في اصطلاح علماء الهيئة: عبارة عن جدول يستدل به على حركات السيارات لأجل تقويم مواقعها، أصله فارسي، وأشهر الأزياج زيج الشاه الفارسي. و"أقليدس": كتاب في أصول الهندسة والحساب، عرف باسم مؤلفه إقليدس الرياضي اليوناني، ألف منذ ٢٣ قرنا. ر: دائرة المعارف، والموسوعة العربية المعاصرة.

٣- هو علي بن سعيد، كان من أجل أصحاب أبي منصور الماتريدي، ومن كبار مشايخ سمرقند، له: كتاب "إرشاد المهتدي"، وكتاب "الزوائد والفوائد" في أنواع العلوم، قال: رأيت الماتريدي في النوم فقال: ألم تر أن الله غفر لامرأة لم تصل قط؟ فقلت: بما ذا؟ قال باستماع الأذان وإجابة المؤذن.

٤- هو محمد بن الوليد المعروف بالزاهد، له: "الجامع الأصغر"، وكان معاصرا لأبي عبد الله الدامغاني.

٥- الملقب ببرهان الدين، كان إماما فاضلا في الأصول والفروع، وكان في الحديث أحفظ زمانه، أخذ عن النجم عمر النسفي، وتفقه عليه شمس الأئمة محمد بن عبد الكريم التركستاني.

ومن فقهاء فرغانة[١]

١- حبيب بن عمر الفرغاني، شيخ سيدنا المرغيناني وجده لأمه.

٢- عبد العزيز بن عبد الرزاق المرغيناني[٢].

٣- ظهير الدين الكبير علي المرغيناني[٣].

٤- شمس الأئمة محمود الأوزجندي. ذان الفقيهان ابنا عبد العزيز بن عبد الرزاق المتقدم، والثاني جد شيخ الإسلام فخر الدين قاضي خان.

٥- شيخ الإسلام فخر الدين قاضي خان الأوزجندي الفرغاني.

٦- عثمان بن إبراهيم الخواقندي، شيخ سيدنا المرغيناني.

٧- سراج الدين الأوشي، علي بن عثمان التيمي، صاحب "الفتاوى السراجية" و"اللامية" في العقائد.

٨- عماد الدين اللامشي، الحسين بن علي أبو القاسم[٤].

١- تقع فرغانة الآن في أوزبكستان، وتعد ولاية برأسها منه. ر: الموسوعة الجغرافية: جمهورية أوزبكستان.

٢- هو عبد العزيز بن عبد الرزاق بن أبي نصر، سمع أبا الحسن نصر المرغيناني، روى عنه أولاده، وكان له ست بنين كلهم يصلح للفتوى والتدريس، فإذا خرج مع أولاده يقول الناس: خرج السبعة المفتون من دار واحدة. (ت: ٤٧٧هـ)

٣- هو علي بن عبد العزيز الإمام أبو الحسن، أحد الإخوة الستة الفقهاء. (ت: ٥٠٦هـ)

٤- كان إماما فاضلا ثقة ورعا، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، سمع من أبي بكر محمد بن الحسن بن منصور النسفي، حكي أنه قدم بغداد سنة خمس عشرة وخمس مائة في رسالة من جهة خاقان -ملك ما وراء النهر- إلى دار الخلافة، فقيل له: لو حججت ورجعت؟ فقال: لا أجعل الحج تبعا. وله: الواقعات والفتاوى. و"اللامشي": نسبة إلى "لامش" قرية من قرى فرغانة.

ومن فقهاء نسف[١]

١- مكحول بن الفضل النسفي[٢]، صاحب كتاب "اللؤلئيات" في الزهد، ووالد الفقهاء المكحوليين النسفيين.

٢- أبو المعالي معتمد بن محمد المكحولي النسفي[٣].

٣- أبو البديع أحمد بن محمد المكحولي[٤].

٤- أبو المعين ميمون بن محمد بن محمد بن المعتمد المكحولي، صاحب "تبصرة الأدلة"، وشيخ صاحب "التحفة". والثلاثة حفدة مكحول المذكور أولا.

٥- أبو إسحاق النَوقَدي النسفي محمد بن منصور بن مخلص[٥].

٦- أبو العباس النسفي جعفر بن محمد المستغفري[٦].

٧- القاضي أبو علي النسفي الحسين بن خضر[٧]، صاحب "الفوائد" و"الفتاوى".

٨- القاضي عبد العزيز بن عثمان النسفي[٨]، صاحب "كفاية الفحول في الأصول".

١- تقع "نسف" اليوم في أوزبكستان في آسيا الوسطى.

٢- كان يروي الفقه عن أبي سليمان الجوزجاني. (ت: ٣١٨هـ)

٣- روى عن جده أبي المعين محمد بن مكحول وغيره، مات سنة نيف وثلاثين وأربع مائة.

٤- سمع أباه أبا المعين وأبا سهل هارون بن أحمد الأسفريني. (ت: ٣٧٩هـ)

٥- كان إماما زاهدا صائم الدهر، مشتغلا بالتدريس والفتوى، أخذ عن أبي جعفر الهندواني. (ت: ٤٣٤هـ) والنوقدي: نسبة إلى نوقد -بفتح النون والقاف، بينهما واو ساكنة-: قرية من قرى نسف.

٦- كان فقيها فاضلا محدثا صدوقا، صنف التصانيف، ولم يكن بما وراء النهر في عصره من يجري مجراه في التصانيف وفهم الحديث، أخذ عن أبي علي النسفي. (ت: ٤٣٢هـ) والمستغفري: نسبة إلى "مستغفر" -بضم الميم وسكون السين المهملة، وفتح المثناة الفوقية، وسكون الغين المعجمة، وكسر الفاء-: اسم بعض اجداده.

٧- تفقه على محمد بن الفضل، وعليه شمس الأئمة الحلواني وغيره، كان إمام عصره. (ت: ٤٢٤هـ)

٨- هو عبد العزيز بن عثمان بن إبراهيم، إمام الدنيا في وقته ببخارى، تفقه على برهان الدين الكبير عبد العزيز عن السرخسي عن الحلواني، وله تصانيف، منها: كتاب "المنقذ من الزلل في مسائل الجدل"، و"الفصول في الفتاوى". (ت: ٥٦٣هـ)

٩- مفتي الثقلين أبو حفص عمر النسفي، شيخ سيدنا المرغيناني، وصاحب "القند" و"العقائد النسفية" التي شرحها السعد التفتازاني.

١٠- حافظ الدين أبو البركات النسفي، صاحب "المدارك" و"المنار" و"الكنز".

١١- البرهان النسفي محمد بن محمد بن محمد.

١٢- القاضي أبو جعفر النسفي[١].

ومن فقهاء شاش

١- أبو علي الشاشي أحمد بن محمد بن إسحاق[٢].

ومن فقهاء سغد

١- شمس الأئمة عطاء بن حمزة السُغدي[٣].

٢- شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن الحسين السُغدي، صاحب "النُتَف في الفتاوى"، وتلميذ شمس الأئمة السرخسي.

ومن فقهاء ترمذ

١- عبد العزيز بن خالد الترمذي[٤]، من أصحاب الإمام -رضي الله عنه-.

١- هو محمد بن أحمد بن محمود النسفي، كان من أعيان الفقهاء، أخذ عن أبي بكر الرازي عن الكرخي، له: "تعليقة" في الخلاف، وكان زاهدا ورعا متعففا، فقيرا قنوعا، يحكى أنه بات ليلة مهموما من سوء الحال، فوقع في خاطره فرع من فروع مذهبه فأعجب به، فقام يرقص في داره ويقول: أين الملوك وأبناء الملوك؟ فسألته زوجته، فأخبرها فتعجبت منه. (ت: ٤١٤)

٢- تقدمت ترجمته.

٣- كان إماما فاضلا عارفا بالمذهب بحرا متبحرا، إماما في الأصول والفروع، ترد الفتاوى عليه من أقطار الأرض، أخذ عنه جماعة منهم: النجم النسفي.

٤- هو عبد العزيز بن خالد بن زياد، قاضي ترمذ وصغانيان.

ومن فقهاء أسروشنة[١]

١- القاضي أبو جعفر بن عبد الله الأُسروشني[٢]، أستاذ القاضي أبي زيد الدبوسي.

٢- محمود بن الحسين برهان الدين الأسروشني.

٣- محمد بن محمود بن الحسين المتقدم، مجد الدين الأستروشني، الوالد والولد كلاهما من تلاميذ سيدنا المرغيناني.

ومن فقهاء إسبيجاب

١- شيخ الإسلام علي بن محمد الإسبيجابي، شيخ سيدنا المرغيناني -رضي الله عنهما-.

٢- القاضي أبو نصر الإسبيجابي أحمد بن منصور.

ومن فقهاء سرخس[٣]

١- شمس الأئمة محمد السرخسي[٤] صاحب "المبسوط".

٢- عبد الرحمن بن محمد السرخسي، تلميذ أبي الحسين القدوري.

٣- برهان الإسلام رضي الدين السرخسي، صاحب "المحيط الرضوي".

١- الأُسْرُوشَنة -بضم الألف، وسكون السين المهملة، وضم الراي المهملة، وسكون الواو، وفتح الشين المعجمة، في آخره نون-: بلدة كبيرة وراء سمرقند، ودون سيحون، وقد يزاد فيه التاء فيقال: "أستروشنة"، والصحيح هو الأول. ر: الأنساب.

٢- تفقه أبو جعفر على محمد بن الفضل عن عبد الله السبذموني، وعن أبي بكر الجصاص عن الكرخي عن البردعي.

٣- اعلم أن سَرْخَس -بفتح السين وسكون الراء المهملتين، وفتح الخاء المعجمة، وآخره سين مهملة، ويقال: سَرَخْس- بالتحريك- والأول أكثر- وبلخ ليستا من بلاد ما وراء النهر، بل هما من بلاد من خراسان في أصح الأقوال عند البلدانيين، وإنما أوردت من فقهائهما لما خيِّل إلي أن ترك ذكرهم من الجفاء بهم، ولأن الإمام الأجل والشيخ المبجل سيدنا شمس الأمة والأئمة عمدتنا في الميدان الفقهي المقدس والقدوة: محمد بن أبي سهل السرخسي من سرخس -رضوان الله تعالى عليه ورحماته-، ولما أن المرغيناني -رضي الله تعالى عنه- أحال إليهم في كتابه فذكرت عدة منهم؛ وفاء وإيفاء للحق المستحق -تقبل الله مني-.

٤- هو محمد بن أحمد بن أبي سهل، أبو بكر شمس الأئمة، كان إماما علامة حجة متكلما مناظرا، أصوليا مجتهدا، لازم -

. . . .

- شمس الأئمة الحلواني حتى تخرج به ولقب بلقبه، وتفقه الحلواني على القاضي أبي علي النسفي عن أبي بكر محمد بن الفضل الكماري عن الأستاذ عبد الله السبذموني عن أبي حفص الصغير عن أبيه أبي حفص الكبير عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني عن الإمام الأعظم أبي حنيفة -رضوان الله تعالى عليهم-وصار في النظر فرد زمانه، وواحد أقرانه، وأخذ في التصنيف والتعليق، وشاع ذكره في الآفاق، تفقه عليه: برهان الأئمة عبد العزيز، ومحمود بن عبد العزيز الأوزجندي، وركن الدين مسعود بن الحسن، وعثمان بن علي البيكندي، وعمر بن حبيب -جد صاحب الهداية لأمه- أملى "المبسوط" نحو خمس عشرة مجلدا وهو في السجن بأوزجند، كان محبوسا في الجب بسبب كلمة نصح بها الخاقان، وكان يملي من خاطره من غير مطالعة كتاب وهو في الجب وأصحابه في أعلى الجب، وقال عند فراغه من شرح العبادات: "هذا آخر شرح العبادات، بأوضح المعاني وأوجز العبارات، إملاء المحبوس عن الجمع والجماعات". وقال في آخر كتاب الطلاق: "هذا آخر شرح كتاب الطلاق بالمؤثرة من المعاني الدقاق، أملاه المحصور عن الانطلاق، المبتلى بوحشة الفراق، مصليا على صاحب البراق، وآله وصحبه أهل الخير والسباق، صلاة تتضاعف وتدوم إلى يوم التلاق، كتبه العبد البري من النفاق".آه

وقال في آخر كتاب الطلاق: "انتهى شرح كتاب العتاق من مسائل الخلاف والوفاق، أملاه المستقبل للمحن بالإعتناق، المحصور في طرف من الآفاق، حامدا للمهيمن الرزاق، ومرتجيا إلى لقائه العزيز بالأشواق، ومصليا على حبيب الخلاق، وعلى آله وأصحابه خير الصحب والرفاق".آه

وقال في آخر شرح الإقرار: " انتهى شرح كتاب الإقرار، المشتمل من المعاني ما هو سر الأسرار، وإملاء المحبوس في موضع الأشرار، مصليا على النبي المختار". آه

وقال: "انتهى ربع البيوع من المبتهل إلى الله تعالى بالخضوع، وإسبال الدموع، المنقطع عن الأهل والكتاب المجموع". آه

وقال في آخر كتاب الولاء: "انتهى شرح كتاب الولاء، بطريق الإملاء، من الممتحن بأنواع البلاء، يسأل من الله تعالى تبديل البلاء، والجلاء بالعز والعلاء، فإن ذلك عليه يسير، وهو على ما يشاء قدير. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين".آه

وقال في أواخر باب الكفالة بالنفس: "والحاصل أن من تكلف لذلك من أصحابنا -رحمهم الله- تعذر عليه تخريج المسألة بالتحقيق أصلا. وكل ما ذكروه عندي في تصنيف ولكن لم يكن معي شيء من كتبي، ولم يجُد به خاطري الآن، فإن تيسر وصولي إلى كتبي أو جاد به خاطري أيّ وقت أتيت منه بقدر الممكن [لعل الصحيح: بالقدر الممكن] إن شاء الله تعالى، ثم نعيد المسألة في آخر الكتاب بعينها". آه

حكي عنه أنه كان جالسا في حلقة الاشتغال، فقيل له: حكي عن الشافعي أنه كان يحفظ ثلاث مائة كراس، فقال: حفظ الشافعي زكاة ما أحفظ. فحسب حفظه فكان اثني عشر ألف كراس. ومن فطنته مع هذا الحفظ ما حكي في "المسالك": أن

....

- الأمير زوج أمهات أولاده من خدامه الأحرار، فسأل العلماء الحاضرين عنها، فكلهم قال: نعم ما فعلت. فقال شمس الأئمة: أخطأت، لأن تحت كل خادم امرأة حرة فكان هذا تزويج الأمة على الحرة، فقال الأمير: أعتقت هؤلاء، وجددوا العقد، وقال للعلماء الحاضرين، فقالوا: نعم ما فعلت. فقال شمس الأئمة: أخطأت؛ لأن العدة تجب على أمهات الأولاد بعد الإعتاق، فكان تزويج المعتدة من الغير، ولا يجوز.

له من المصنفات:

١- المبسوط.

٢- شرح الجامع الكبير.

٣- شرح الجامع الصغير.

٤- شرح الزيادات.

٥-شرح زيادات الزيادات، المسمى بـ"النكت".

٦- شرح السير الكبير، أملاه وهو في الجب، فلما وصل إلى باب الشروط حصل الفرج فأطلق، فخرج في أخر عمره إلى فرغانة، فأنزله الامير حسن بمنزله، فوصل إليه الطلبة فأكمل الإملاء في دهليز الأمير.

٧- شرح كتاب الكسب -وهو ضمن "المبسوط"-.

٨- شرح مختصر الطحاوي.

٩- شرح كتاب النفقات للخصاف.

١٠- شرح أدب القاضي للخصاف.

١١- كتاب الحيض.

١٢- الفوائد الفقهية.

١٣- أصول الفقه.

١٤- أشراط الساعة.

توفي سنة ٤٩٠هـ قالت الأمة الضعيفة: ثم الكتب ذات أرقام: ١، ٥، ٦، ٧، ١٣، مطبوعة، والباقية لا أدري حالها، أفُقِدتْ أم هي في ظلمات المخطوطات؟ أللّهُمَّ إلا أن صورة مخطوطة شرح "الجامع الصغير" قد حصلها الشيخ الوالد وزود بها مكتبته- عمرها الله بطول عمره-.

هذا وقد طولت في ترجمة الإمام الأجل السرخسي -رضي الله عنه وأرضاه- عن قصد، لأنه هو الرجل الذي عليه معول الشيخ الوالد في المذهب في شرحه للهداية، يعترف بالفضل والمنة له على نفسه وعلى المذهب، وجعل كتابه "المبسوط" من الكتب الدراسية. -

....

- وقد لقبته-رحمه الله- بـ "محمد بن الحسن الثاني" أو "الصغير"، ولم ينكر علي ذلك الشيخ الوالد -لازلتُ أتفيأ ظلال إرشاده- بل قررني عليه، فإذا قلت في الشرح: قال محمد بن الحسن الصغير، أو ذكر الشيباني الثاني، يكون هو الذي أعنيه، -رضي الله عنه- فاعلم هذا سلفا.

وقال الشيخ الوالد: "لا يستغني عن كتب الإمام السرخسي -رضي الله عنه- أحد، ولقد اقتبس منها من جاء بعده من مشايخ المذهب فكيف بغيرهم!

أخذ الإمام الحصيري البخاري كثيرا منها". وأخذ الإمام قاضي خان منها في كتبه أيضاً.

مسائل المبسوط مثل فرائد ... ولكنها لم ينخرط في القلائد

كتاب يفوح بريح المسك رياه ... لا بل يفوح كمثل البدر معناه

هذا جنى شجر طابت مغارسه ... يا حسن منبته يا طيب مجناه

جمعتَ وقيدتَ الأوابد شُرّدا ... وصرتَ بتأييد الإله مؤيدا

أحرزتَ فصولا كالفصوص ثواقبا ... وشدت قصور الحور في جنة المأوى

فتحت ينابيع العلوم بخاطرك ... وفجرت عن صدرك رحيقا وكوثرا

خذوا من سحاب الفضل طلا ووابلا ... ومن لج بحر العقل درا وجوهرا

ولعل سيدنا السرخسي -رضي الله عنه- هو المصداق الحقيقي لقول الشاعر:

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه ... تفتق نورا أو تنظم جوهرا

أخر:

له يد برعت جودا بنائلها ... وقلم درّه في الطّرس ينتثر

فحاتمٌ كامنٌ في بطن راحته ... وفي أناملها سحبان مستتر

أخر:

كلامٌ بل مدامٌ بل نظام ... من المرجان بل حب الغمام

(الأمثال الثلاثة للأقلام الثلاثة للأعلام الثلاثة: أحمد ومحمد ومحمود)

قلم أحمد الجصاص الرازي غواص دوار نثارٌ.

وقلم محمد السرخسي بحر مواج زخارٌ.

وقلم محمود الحصيري غواص جوال نشارٌ.

بيانه: هي أمثال ضربناها لغور فقه هؤلاء الثلاثة الأعلام، ثم لقوة تفهيمهم الآخرين بتحرير العبارات، وسلاستها. -

....

- فقلم الجصاص رحمه الله يغوص بحر المعاني والعلل والدلائل، فينتقي من كل نوع أغزرها مادة، وأعمقها فقها، وأدقها معنى، فيوردها في كتبه -خصوصا في شرحه لمختصر الطحاوي- إلا أنه لا يمكن الاستفادة منها إلا لذي تمرن وتدرب في هذا الشأن لجلالتها، ولنوع عقد في عباراته.

ومثله كمثل رجل غواص غاص البحر، ودار في نواحيه، ولا يأخذ كل ما يعرج به من الجواهر إلا الفرائد -وليس كل غواص يظفر بها؛ لعزة وجودها وللافتقار إلى التدرب- ثم نثرها للناس وقال: شأنكم فأصيبوا منها، فابتدر إليها من علم عزتها ونفاستها، وحرم الباقون.

وقلم الإمام السرخسي -رحمه الله- في كتبه -خصوصا في "المبسوط" سيال لا منتهى له، جمع فأوعى، وأحاط بالظواهر والنوادر، والأشباه والنظائر، أبرز حقائق فقه أمهات المذهب، وأحرز دقائقه، وقنص شوارده، ونظم قلائده وذلل مصاعبه، وقرب مطالبه، وحل غوامضه ورموزه، واستخرج كنوزه بعبارات سهلة، وأسلوب رائع جاذب، ينهل منه كل من طبقات هذا الشأن، ويظفر فيه بطلبته وبغيته. فمثله كمثل بحر يموج مائه موجا، فيه من كل شيء جواهر وغيرها، من غاصه أصحب معه شيئا لا محالة، فإن لم يغص ولكن عبره لا جرم ابتلت قدماه وثيابه.

وقلم الإمام الحصيري -رحمه الله- يغوص بحر المعاني والعلل والدلائل ويجول في زواياه فيورد منها أنواعا في كتبه -خصوصا في "التحرير" الذي هو مصب شروح الجامع- من وردها أخذ شيئا لا محالة؛ لتنوعها وسلاسة عباراته وفصاحته، فمن لم يفهم معنى فهم معنى آخر.

فشأنه كشأن رجل غواص غاص البحر وجال في زواياه، فلا يظفر بشيء من أنواع الجواهر من اللآلي والدرر واليواقيت والمرجان، والعسجد والجمان والعقيان، إلا أصحبه معه ما استطاع في غرائره، ثم خرج بها ملآ ونشرها للناس، فلا يمر بها أحد من طبقات الناس إلا أخذ منها ما يوافقه من غال ورخيص.

فوائد هي فرائد:

أ) المعاني الفقهية كالجواهر النفيسة، بل أغلى وأنفس.

ب) لا يتمكن من استخراج الأحكام والمعاني والعلل الفقهية من نصوص الشرع الشريف إلا من أعطاه الله -جلت قدرته- قوة الاجتهاد والاستنباط فيها، ومن لم يعطها وتكلم في هذا الشأن رَدِيَ و أَرْدى، كما أن استخراج الجواهر من البحر لا يقدر عليه إلا الغواص السباح فيه، ومن طلبها وهو لا يقدر على السباحة غرق فيه، فضلا أن ينال الجواهر، قال الشاعر : چون نه اسباح ونه دریائے در میفگن خویش از خود رائے.

ج) لا يجوز لأحد أن يعمل بنصوص الكتاب والسنة متأولا بآرائه، متوهما بأهوائه إلا الذي يعلم معانيها وحدودها وعللها ومقاصدها، وناسخها من منسوخها، أو يسأل عالما في ما ينزل به، ومن تصدى للعمل بها وهو لا يعلم تأويلها ولا يسأل العالم بها ضل وأضل، كالجواهر تكون عند أحد في صندوقه لا يتمحض له النفع بها إلا إذا كان نظاما ماهرا بأمور النظم، أو يأتي بها إلى النظام فينظمها له عقدا أو غيره من الحلي. والله تعالى أعلم.

ومن فقهاء بلخ

١- إبراهيم بن أدهم البلخي.

٢- شقيق البلخي.

٣- أبو مطيع البلخي[١].

٤- عصام بن يوسف البلخي.

٥- مكي بن إبراهيم البلخي.

٦- محمد بن سلمة البلخي.

٧- محمد بن سلام البلخي[٢].

٨- الحاكم الشهيد المروزي البلخي، صاحب "المنتقى" و"الكافي".

٩- أبو بكر الإسكافي البلخي محمد بن أحمد.

١٠- أبو جعفر الهندواني محمد بن عبد الله.

١١- محمد بن خزيمة القلاسي[٣].

رضي الله عنهم وأرضاهم.

١- هو الحكم بن عبدالله بن مسلمة بن عبدالرحمن القاضي الفقيه راوي كتاب "الفقه الأكبر" عن أبي حنيفة -رحمه الله- يروي عن ابن عون ومالك بن أنس وغيرهما، وعنه أحمد بن منيع وغيره، تفقه عليه أهل بلاده، وكان ابن المبارك يجله لدينه، ولي قضاء بلخ. (ت: ١٩٧هـ)

٢- هو: أبو نصر البلخي، تارة يذكر في الفتاوى باسمه، وتارة بكنيته، وتارة بهما، من أقران أبي حفص الكبير. (ت: ٣٠٥هـ)

٣- هو: أبو عبدالله البلخي، أحد مشايخ بلخ، وله اختيارات المذهب. (ت: ٣١٤هـ) و"القلاسي" نسبة إلى "قلس" وهو الحبل الذي يربط به السفينة.

***

قد تم الاقتباس في الفصلين: التاسع والعاشر من المصادر التالية -مع التصرف-:

- القند في ذكر علماء سمرقند، للنجم عمر بن محمد النسفي. -

....

-

- الأنساب، للإمام السمعاني.
- الجواهر المضيئة.
- تهذيب الأسماء الواقعة في الهداية والخلاصة، لعبد القادر القرشي.
- تاج التراجم.
- الفوائد البهية.
- الأثمار الجنية في الأسماء الحنفية، للملا علي القاري.
- الطبقات السنية، لتقي الدين التميمي.
- هدية العارفين أسماء وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي.
- مفتاح السعادة، لطاش كبري زاده.
- كشف الظنون، لحاجي خليفة.
- جامع الشروح والحواشي، لعبد الله بن محمد الحبشي.

إزالة شبهة الشيخ شهاب الدين المرجاني

قال الشيخ شهاب الدين المرجاني -رحمه الله-[1] في كتابه "ناظورة الحق في فرضية العشاء وإن لم يغب الشفق":

"لما كان الغالب على فقهاء العراق السذاجة في الألقاب، وعدم التلون في العنوانات، والجد في الجري على منهاج السلف في التجافي عن الألقاب الهائلة، والأوصاف الحافلة، والتحاشي عن الترفع وتنويه النفس، وإعجاب الحال تدينا وتصلبا وتورعا وتأدبا، كما كان الغالب عليهم الخمول والاجتناب عن ولاية القضاء، وتناول الأعمال السلطانية؛ لأن منازع الأتباع ما كانت مفارقة عنهم، ولا شعارهم متحولا إلى شعار غيرهم، فكانوا يذهبون مذهبهم في الاكتفاء بالتميز عن غيرهم بأسماء ساذجة يبتذلها العامة، ويمتهنها السوقة، من الانتساب إلى الصناعة أو القبيلة أو القرية أو المحلة أو نحو ذلك، كـ"الخصاف، والجصاص، والقدوري، والثلجي، والكرخي، والصيمري". فجاء المتأخرون منهم على منهاجهم في الاكتفاء بها، وعدم الزيادة عليها في الحكاية عنهم.

وأما الغالب على أهل خراسان ولا سيما ما وراء النهر فهو المغالاة في الترفع على غيرهم، وإعجاب حالهم، والذهاب بأنفسهم عجبا وكبرياء، والتصنع بالتواضع سمعة ورياء، ويستصغرون الأحاديث عمن سواهم، ولا يستكرمون في معمورة الأرض مثوى غير مثواهم. قد تصور كل منهم في خلده أن الوجود كله يستصغر بالإضافة إلى بلده، فلا جرم جرى عرق منهم في علمائهم فلقبوا بالألقاب النبيلة، ووسموا بالأوصاف الجليلة، مثل: شمس الأئمة، وفخر الإسلام، وصدر الشريعة. واستمرت الحال في أخلاقهم على ذلك المنوال، من الإتراف والغلو في تنويه أسلافهم، والغض من غيرهم، فإذا ذكروا واحدا من أنفسهم بالغوا في وصفه، وقالوا: الشيخ الإمام الأجل

١- هو شهاب الدين بن بهاء الدين المرجاني، ولد بمرجان في قزان سنة ١٢٣٣هـ ، وتلقى العلم من والده ثم رحل إلى بخارى وسمرقند وتخرج على شيوخ تلك البلاد، له مصنفات في الفقه والأصول، والتوحيد والتاريخ، وكان له صولات وجولات في العلم، وبعض شذوذ في الفهم. (ت: ١٣٠٦هـ) ر: نثر الجواهر والدرر.

الزاهد الفقيه، ونحو ذلك، وإذا نقلوا كلاما عن غيرهم فلا يزيدون على مثل قولهم: قال الكرخي، والجصاص .... "

انتهى ما قال المرجاني ملخصا.

قال الأمة الضعيفة -عفى الله عنها- كلام الشيخ المرجاني -رحمه الله- خروج عن الاعتدال والسداد، حيث طعن في علماء خراسان وديار ما وراء النهر بما طعن، وأكثر مشايخ المذهب والمجتهدين فيه من تلك البلاد، وخدموا المذهب حق خدمته، حتى صار المعول عليهم بعد أصحاب المذهب -رضوان الله تعالى عليهم- ولم يتم لأحد فقه لم يعرفهم حق المعرفة. مع أن المرجاني سرد ما سرد ردا على ابن كمال باشا حيث جازف في تقسيم الفقهاء إلى طبقات فأخطأ في ذلك -وكلنا يخطئ- فرد عليه انتصارا للمذهب، فعاد على المذهب حيث جازف أشد من جزاف ابن كمال، وتفلت بذلك عن ربقة الإنصاف والاعتدال.

والأغرب من صنيعه صنيع من طار بكلامه بعده من أهل العلم تقليدا له وذكروه في كتبهم، كالعلامة أبي الحسنات اللكنوي[١]، والشيخ العلامة محمد الزاهد الكوثري[٢] مع تصلبه في المذهب -رحمهما الله- وغيرهما، كيف خفيت عليهم بشاعة كلامه؟!

وكلام المرجاني -سامحه الله تعالى وإيانا- باطل من وجوه:

الأول:

أطبقت كلمة المؤرخين والبلدانيين على أن الغالب على أهل ما وراء النهر الصلاح والخير والسذاجة، وحسن الخلق والتواضع والزهد في الدنيا ، في غناء وثروة وجدة، كما قدمنا عن أبي عبيد البكري وياقوت الحموي -رحمهما الله-.

وزهاد بلخ -من خراسان- مشهورون، فأين هم من المغالاة والترفع والتصنع بالتواضع سمعة ورياء حتى يجري عرق منهم في علمائهم فيتخلقوا بخلقهم، وتشهد لسذاجتهم مصنفاتهم في المذهب حيث لم يسموها بأسماء مقفاة -كما يسمي بها البعض- بل تجد شروحهم للأصول أو

١- في كتابيه: "النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير"، و"الفوائد البهية" -في الفصل الثاني من الخاتمة-.

٢- في أواخر كتابه: "حسن التقاضي في سيرة أبي يوسف القاضي".

لكتاب سواها غير موسومة أصلا، فهي تدعى بـ"شرح الجامع الصغير"، أو "شرح الجامع الكبير"، أو "شرح المبسوط"، أو "شرح مختصر الطحاوي" وهكذا ....

الثاني:

كان الغالب على أهل ما وراء النهر تبجيل العلماء، وتكريمهم وتفضيلهم، وتلقيبهم بألقاب مشعرة بذلك؛ لحبهم إياهم، فضلا عن التلامذة فهم كانوا أشد حبا وتعظيما لهم من العامة، ولأجل ذلك تسلسلت فيهم الفقهاء قرنا بعد قرن، جزاء عن صنيعهم مع أهل العلم، فربما تكون في الدار الواحدة سبعة أو عشرة من الفقهاء الأجلاء الأعلام[1].

الثالث:

فقهاء ما وراء النهر لم يلقبوا أنفسهم بتلك الألقاب، بل لقبهم بها تلامذتهم الذين كان حقا عليهم التأدب معهم، وذكرهم -حضرة وغيبة- بأحسن الأسماء والألقاب مما ينبئ عن تعظيمهم وتفضيلهم، فبذلك يتقوى الاتصال بينهم وبين مشايخهم، فينتقل الفقه والعلم من الصدور إلى الصدور. وبهذا انتهى الفصل العاشر. والله تعالى أعلم.

١- كما قدمنا في ترجمة الإمام عبد العزيز بن عبد الرزاق المرغيناني -رحمه الله- أنه كان يخرج مع أبنائه، فتقول الناس: "خرج السبعة الفقهاء". ومن نظر في كتب طبقات أصحابنا وقف على ما ذكرنا.

الخاتمة

في بيان المنهج الذي انتهجه الشيخ الوالد في تدريس كتاب "الهداية":

قال الشيخ الوالد-لا زالت إفادته تترى كالمطر الوسمي-:

لما كان كتاب "الهداية" محطَّ جهدنا، ومصبَّ وسعنا، وفهم الدارس في مجال التفقه والتفقيه غايتنا، انتهجنا في تدريسه منهجا، وسلكنا مسلكا يكون سهلا في ذاته، معتصرا في بابه، آخذا في الأذهان، باقيا فيها مدى الأزمان، مطابقا لما أرشدنا إليه صاحب الكتاب المرغيناني -رضي الله عنه-: "أنه يشتمل على أصول ينسحب عليها فصول". نرجو بذلك مرضاة الله -عز وجل- وسعادة الدارين، ويوفى به بإذن الله تعالى من حق الكتاب وحق دارسه عسى، وما ادخرنا جهدا في بلوغ المجهود ونيل المأمول، ولله الكمال وإليك البيان:

○ الجنس: أولا نضع الجنس والعنوان الجامع لمسائل كل درس؛ ليكون كالإطار للدراسة، ويجول ذهن المتفقه في زواياه فيكون مشتاقا ومقبلا على ما يُلقى عليه.

○ المفردات: وثانيا نوضح المفردات والمصطلحات الواردة في العبارة؛ ليكون المتفقه على بصيرة في الأخذ من الكتاب، وسائر كتب الفقه، ولا تكون عليه عمىً، فيقع في مَعْمِيَة، ويصل إلى عُمِّيَّة.

○ الأصول: وثالثا نذكر أصول كل كتاب أو باب في الأوائل، أو ما يكون من الضوابط ورؤوس المسائل، وكذلك نذكر أصول كل دراسة من الكتاب؛ ليصير فقه الكتب فقه الصدور، وبها تملك الملكة الفقهية ويصير الرجل فقيه النفس.

قالت الأمة الضعيفة -لطف بها ربها-: كل فقه لم يخرَّج على الأصول والقواعد فلا يكون تاما، فإن هذه الأصول كالسرج في مسالك الفقه، من لم يستصحبها كيف يسلكها؟ ويكون كالذي يسير ليلا من غير سراج يضيء له الطريق إلى منزله، كيف يهتدي إليه؟ وإن سار وقع في مهالك ومهاو، ولم يصل إلى مرامه ومراده.

قال الشهاب القرافي المالكي -رحمه الله- في فاتحة كتابه: "أنوار البروق":

"هذه القواعد مهمة في الفقه، عظيمة النفع، بقدر الإحاطة بها يعلو قدر الفقيه ويشرف، ويظهر رونق الفقه ويُعرف، وتتضح مناهج الفتاوى وتكشف. فيها تنافس الفقهاء وتفاضل الفضلاء وبرز القارح[1] على الجذع[2]، وحاز قصب السبق من فيها برع.

ومن جعل يخرج الفروع بالمناسبات الجزئية دون القواعد الكلية تناقضت عليه الفروع واختلفت، وتزلزلت خواطره فيها واضطربت، وضاقت نفسه لذلك وقنطت، واحتاج إلى حفظ الجزئيات التي لا تتناهى، وانقضى العمر ولم تقض نفسه من طَلِبَته مناها.

ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات؛ لاندراجها في الكليات، واتحد عنده ما تناقض عند غيره وتناسب، وأجاب الشاسع البعيد وتقارب، وحصل طَلِبته في أقرب الأزمان، وانشرح صدره لما أشرق فيه من البيان، فبين المقامين شأو بعيد، وبين المنزلتين تفاوت شديد". انتهى نص الشهاب القرافي -رحمه الله-.

- الفصول: رابعا نضبط الفصول المودعة في نصّ المصنف -رضي الله عنه- وما يتعلق بها من الأوضاع والفروع الهامة، ثم نخرّج أحكامها على الأصول المؤصّلة بإذن الله -جل وعلا-؛ لتكون أوقع في القلب بذكر المآخذ ويعض عليها بالنواجذ.
- التحليل: وأخيرا يُكشف بإذن الله -الفتاح- غلاف الإغلاق عن بعض العبارات، والله الموفق وهو يهدي السبيل.

قالت الأمة الحقراء: هذا ما لا تخلو عنه دراسة من دراسات الشيخ الوالد، وهناكم أمور أخرى يأتي بها أحيانا عند ما تمس الحاجة إليها، وإليكم هي:

- يورد بعض الزيادات من الوفاقيات والخلافيات الهامة، المتعلقة بالدراسة.
- يوضّح أثناء التحليل كلام الشراح وأصحاب الحواشي، وما أبهم عليهم، أو استشكل أثناء شروحهم أو على غيرهم.

١- هو من قولهم: قَرَحَ ذوالحافر، أي: انتهت أسنانه، فهو قارح، وذلك عند إكمال خمس سنين.

٢- الجَذَع: ما دخل في السنة الثالثة من ذات الحافر.

○ يستدرك على الشراح ما وقع منهم من مسامحات في المسائل أو في تحليل العبارات.

○ يدفع إيرادات أوردها بعض الشارحين على سيدنا المرغيناني -رضي الله عنه- ويجيب عنها بأجوبة فاحمة، معضودة بحجج فاخرة.

○ يورد الفوائد والنكات المهمة الخارجية تحريضا وتشويقا للمتفقهين في الفقه والعلم.

○ يأتي بالحكايات والطرائف المستطرفة المشحونة بالعبر تشحيذا للخواطر والألباب، وتنشيطا للمتفقهين والأصحاب، وإزالة للسآمة عنهم.

على ثنيات الوداع

وقبل أن نفترق أودّ أن أنبه إخوتي وأخواتي القراء الكرام ثانيا -كما نبّهت في مطلع الكتاب- أن هذا عمل بشري يعتريه النقص من جميع الوجوه، وأحسب أني بذلت وُكدي، ولم أبتئر كدّي، فهذا جهد المقلة في سبيل هذه الثمرة الأبوية، والتعليق عليها، وإخراجها في أحسن صورة.

فإن كنت أصبت فمن ربي -الفتاح الوهاب- هو المانّ وحده، وإن كنت أخطأت فذلك شأني؛ لضعف حالي وقلة بضاعتي، وعسى ربي أن يغفر لي إنه كان بي حفيّاً.

وجزى الله من أبدى لي خطأي وأوضح لي عيبي وأذكّره ونفسي بقول ربنا -تعالى شأنه- ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[١].

وقال المزني صاحب الشافعي -رحمهما الله تعالى-: "قرأت كتاب "الرسالة" على الشافعي ثمانين مرة، فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ، فقال الشافعي: هيه! أبى الله أن يكون كتابٌ صحيحا غير كتابه"[٢].

الله ربي أسأل أن يجعله عونا لي ولهم، وأسألهم أن يذكروني ووالديّ بصالح دعواتهم في خلواتهم وعقيب صلواتهم.

إلى ههنا وقفت الأقلام، وتم لنا المرام على ما أمر به الوالد الهمام، والحمد لله الذي بلّغه الختام، والصلاة والسلام على من أرسله رحمة للأنام محمد وآله وصحبه الكرام، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم نلقى فيه الخبير العلّام.

١- النساء: ٨٢.

٢- قول الشافعي -رحمه الله تعالى- ذكره عبد العزيز البخاري في فاتحة كتابه: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي.

اللّٰهُمَّ اغفر لي ولوالديّ ولمشايخي، ولجميع المؤمنين والمؤمنات واهدنا سبل السلام، وألحقنا بالعلماء الأعلام، والفقهاء العظام، برحمتك وكرمك يا ذا الجلال والإكرام، وأدخلنا بفضلك دار السلام، من باب السلام بسلام.

والسلام......

من من من الله تعالى عليها

بنت مجيب الرحمن الديروي

خيمة الخير ١٣ من ذي الحجة ١٤٣٥هـ

قائمة المصادر والمراجع

١- أبو حنيفة النعمان، لوهبي سليمان غاؤجي.

٢- إتقان ما يحسن من الأخبار الواردة على الألسنة، للنجم الغزي، محمد بن محمد. (ت: ١٠١٦هـ)

٣- الأثمار الجنية في الأسماء الحنفية، للملا علي القاري. (ت: ١٠١٤هـ)

٤- أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار أئمة الخمسة الأمصار الذين انتشرت قراءتهم في سائر الأقطار، لقاضي القضاة عبد الوهاب بن وهبان المزي الحنفي. (ت: ٧٦٨هـ)

٥- أحكام القرآن، للجصاص، أبي بكر أحمد بن علي الرازي. (ت: ٣٧٠هـ)

٦- أحمد بن حنبل، لعبد الغني الدقر.

٧- إحياء علوم الدين، للغزالي، أبي حامد محمد بن محمد بن محمد. (ت: ٥٠٥هـ)

٨- الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح، شمس الدين محمد المقدسي. (ت: ٧٦٣هـ)

٩- أداب الشافعي ومناقبه، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي. (ت: ٣٢٧هـ)

١٠- أدب الإملاء والاستملاء، لأبي سعد السمعاني، عبد الكريم بن محمد. (ت: ٥٦٢هـ)

١١- أدب الدنيا والدين، للماوردي، علي بن محمد بن حبيب الشافعي. (ت: ٤٥٠هـ)

١٢- الأشباه والنظائر، لابن نجيم ، زين الدين بن إبراهيم. (ت: ٩٧٠هـ)

١٣- أصول البزدوي، لفخر الإسلام البزدوي، أبي العسر علي بن عبد الكريم. (ت: ٤٨٢هـ)

١٤- الأعلام، لخير الدين الزركلي.

١٥- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، لعبد الحي بن فخر الدين الحسيني الندوي. (ت: ١٣٤١هـ)

١٦- الاكتفاء في أخبار الخلفاء، للتوزري، أبي مروان عبد الملك بن الكردبوس، من علماء القرن السادس الهجري.

١٧- الإكمال في رفع عارض الارتياب من المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب،

لابن ماكولا، أبي نصر سعد الملك علي بن هبة الله البغدادي. (ت: ٤٧٥هـ)

١٨- الانتصار للأولياء الأخيار، للخضرمي، يوسف بن عبد الجليل الموصلي. (ت: ١٢٤١هـ)

١٩- الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، للحافظ ابن عبد البر المالكي، أبي عمر يوسف النمري. (ت: ٤٦٣هـ)

٢٠- الأنساب، للسمعاني، أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي. (ت: ٥٦٢هـ)

٢١- البحر الرائق، لابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم المصري. (ت: ٩٧٠هـ)

٢٢- البحر المحيط في أصول الفقه، للبدر الزركشي، محمد بن بهادر. (ت: ٧٩٤هـ)

٢٣- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني، أبي بكر بن مسعود بن أحمد. (ت: ٥٨٧هـ)

٢٤- بستان الفقراء ونزهة القراء، للعماد الكتامي، صالح بن عبد الله الشافعي. (ت: ٩٩١هـ)

٢٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للجلال السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (ت: ٩١١هـ)

٢٦- بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام، للطرنباطي، أبي عبد الله محمد بن مسعود. (ت: ١٢١٤هـ)

٢٧- بلوغ الأماني في الإمالم محمد بن الحسن الشيباني، للشيخ الكوثري، محمد زاهد. (ت: ١٣٧١هـ)

٢٨- البناية في شرح الهداية، للبدر العيني، أبي محمد محمود بن أحمد. (ت: ٨٥٥هـ)

٢٩- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، لابن رشد، أبي الوليد محمد بن أحمد. (ت: ٥٢٠هـ)

٣٠- تاج التراجم، لابن قطلوبغا، الشيخ قاسم السودوني. (ت: ٨٧٩هـ)

٣١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (ت: ٧٤٨هـ)

٣٢- تاريخ الأعظمية مدينة الإمام الأعظم، للوليد الأعظمي.

٣٣- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي. (ت: ٤٦٣هـ)

٣٤- تاريخ دمشق، لابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي. (ت: ٥٧١هـ)

٣٥- تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب، للشيخ الكوثري، محمد زاهد بن الحسن. (ت: ١٣٧١هـ)

٣٦- التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، يحي بن شرف الشافعي. (ت: ٦٧٦هـ)

٣٧- التبيان لبديعة البيان، لابن ناصر الدين الدمشقي، محمد بن عبد الله بن محمد الشافعي. (ت: ٨٤٢هـ)

٣٨- تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة، للجلال السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (ت: ٩١١هـ)

٣٩- التحرير في شرح الجامع الكبير، للجمال الحصيري، محمود بن أحمد. (ت: ٦٣٦هـ) (صورة من المخطوطة)

٤٠- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للمحقق المصطفوي.

٤١- تذكرة الحفاظ، للذهبي، شمس الدين محمد بن احمد. (ت: ٧٤٨هـ)

٤٢- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، للبدر ابن جماعة، محمد بن إبراهيم الكناني الشافعي. (ت: ٧٣٣هـ)

٤٣- تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري، للشيخ أبي غدة عبد الفتاح. (ت: ١٤١٧هـ)

٤٤- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي. (ت: ٥٤٤هـ)

٤٥- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للمنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي. (ت: ٦٥٦هـ)

٤٦- التعليقات السنية على الفوائد البهية، لأبي الحسنات اللكنوي، محمد عبد الحي بن عبد الحليم. (ت: ١٣٠٤هـ)

٤٧- تعليم المتعلم طريق التعلم، للزرنوجي، برهان الإسلام.

٤٨- التمهيد في أصول الفقه، لأبي الخطاب الكلوذاني، محفوظ بن أحمد الحنبلي. (ت: ٥١٠هـ)

٤٩- تهذيب الأسماء الواقعة في الهداية والخلاصة، للقرشي، عبد القادر ابن ابي الوفاء. (ت: ٧٧٥هـ)

٥٠- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، يحي بن شرف. (ت: ٦٧٦هـ)

٥١- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (ت: ٨٥٢هـ)

٥٢- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للجمال المزي، أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن. (ت: ٧٤٢هـ)

٥٣- تنبيه الغافلين، للفقيه أبي الليث السمرقندي، نصر بن محمد. (ت: ٣٧٣هـ)

٥٤- تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين، لمرعي بن يوسف الحنبلي. (ت: ١٠٣٣هـ)

٥٥- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر المالكي، أبي عمر يوسف النمري. (ت: ٤٦٣هـ)

٥٦- الجامع الصحيح، للإمام الترمذي، محمد بن عيسى. (ت: ٢٧٩هـ)

٥٧- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، أبي عبد الله بن أحمد الأنصاري. (ت: ٦٧١هـ)

٥٨- جامع مسانيد الإمام الأعظم، لأبي المؤيد الخوارزمي، محمد بن محمود. (ت: ٦٥٥هـ)

٥٩- جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، للدكتور قاسم علي سعد.

٦٠- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، للقرشي، عبد القادر ابن أبي الوفاء. (ت: ٧٧٥هـ)

٦١- حاشية العدوي على شرح أبي الحسن المسمى: كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، للعدوي، علي بن أحمد الصعيدي. (ت: ١١٨٩هـ)

٦٢- حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي، للشيخ محمد الزاهد الكوثري. .(ت: ١٣٧١هـ)

٦٣- حسن التنبه لما ورد في التشبه، للنجم الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الشافعي. (ت: ١٠٦١هـ)

٦٤- الحكم العطائية، لابن عطاء الله السكندري، أحمد بن محمد الشاذلي المالكي. (ت: ٧٠٩هـ)

٦٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. (ت: ٤٣٠هـ)

٦٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي، عبد القادر بن عمر. (ت: ١٠٩٣هـ)

٦٧- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، محمد بن أمين بن فضل الله الحموي ثم الدمشقي. (ت: ١١١١هـ)

٦٨- الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان، لابن حجر الهيتمي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي السعدي. (ت: ٩٧٤هـ)

٦٩- دائرة المعارف، للمعلم بطرس البستاني.

٧٠- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، للسيدة زينب فواز العاملية. (ت: ١٣٣٢هـ)

٧١- الدر المنضد في أسماء كتب مذهب الإمام أحمد، للسبيعي، عبد الله بن علي الحنبلي. (ت: ١٣٤٦هـ)

٧٢- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون، إبراهيم بن فرحون المالكي اليعمري. (ت: ٧٩٩هـ)

٧٣- ديوان الإمام الشافعي.

٧٤- ديوان الحطيئة.

٧٥- ديوان الحماسة.

٧٦- ديوان علي -رضي الله عنه-.

٧٧- ديوان الفرزدق.

٧٨- الذخيرة في فروع المالكية، لأبي العباس القرافي، أحمد بن إدريس المالكي. (ت: ٦٨٤هـ)

٧٩- ذيل طبقات الحنابلة للقاضي ابن أبي يعلى، لابن رجب الحنبلي، أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب. (ت: ٧٩٥هـ)

٨٠- ربيع الأبرار وفصوص الأخبار، لجار الله الزمخشري، محمود بن عمر. (ت: ٥٨٣هـ)

٨١- رد المحتار على الدر المختار، لخاتمة المحققين ابن عابدين، محمد أمين بن عمر الشامي. (ت: ١٢٥٢هـ)

٨٢- رفع النقاب عن تراجم الأصحاب، لابن ضويان، إبراهيم بن محمد.

٨٣- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي، محمد بن خليل الدمشقي. (ت: ١٢٠٦هـ)

٨٤- سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (ت: ٢٧٥هـ)

٨٥- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. (ت: ٢٧٥هـ)

٨٦- سنن الدار قطني، الحافظ علي بن عمر الدارقطني. (ت: ٣٨٥هـ)

٨٧- سنن الدارمي، أبي محمد عبد الله بن بهرام الدارمي. (ت: ٢٥٥هـ)

٨٨- السنن الكبرى، للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين. (ت: ٤٥٨هـ)

٨٩- سنن النسائي، أحمد بن شعيب. (ت: ٣٠٣هـ)

٩٠- سيرة أعلام النبلاء، للذهبي، محمد بن أحمد. (ت: ٧٤٨هـ)

٩١- سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (ت: ٥٩٧هـ)

٩٢- السير الكبير، للإمام الشيباني، محمد بن الحسن. (ت: ١٩٩هـ)

٩٣- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف المنستيري. (ت: ١٣٥٥هـ)

٩٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، عبد الحي بن أحمد الحنبلي. (ت: ١٠٨٩هـ)

٩٥- شرح الجامع الصغير، لشمس الأئمة السرخسي، محمد بن أبي سهل. (ت: ٤٩٠هـ) (مخطوط)

٩٦- شرح الجامع الصغير، للصدر الشهيد، عمر بن عبد العزيز ابن مازة. (ت: ٥٣٦هـ)

٩٧- شرح الجامع الصغير، للكردري، أبي المفاخر عبد الغفور بن لقمان. (ت: ٥٦٢هـ) (مخطوط)

٩٨- شرح الزيادات، لفخر الدين قاضي خان، الحسن بن منصور. (ت: ٥٩٢هـ)

٩٩- شرح عقود رسم المفتي، لابن عابدين الشامي، محمد أمين بن عمر. (ت: ١٢٥٢هـ)

١٠٠- شرح مختصر الروضة، للطوفي، سليمان بن عبد القوي. (ت: ٧١٦هـ)

١٠١- شرح المعالم في أصول الفقه، لابن التلمساني، عبد الله بن محمد بن علي المالكي. (ت: ٦٤٤هـ)

١٠٢- شعب الإيمان، للبيهقي، أحمد بن الحسين. (ت: ٤٥٨هـ)

١٠٣- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري. (ت: ٢٧٦هـ)

١٠٤- الصحاح (في اللغة)، للجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، المتوفى في حدود سنة ٤٠٠هـ

١٠٥- الصحيح، للبخاري، محمد بن إسماعيل. (ت: ٢٥٦هـ)

١٠٦- الصحيح، لمسلم بن الحجاج القشيري. (ت: ٢٦١هـ)

١٠٧- صفة الصفوة.

١٠٨- صيد الخاطر، كلاهما لابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي. (ت: ٥٩٧هـ)

١٠٩- طبقات الأولياء، لابن الملقن، سراج الدين عمر بن علي الأندلسي. (ت: ٨٠٤هـ)

١١٠- طبقات الحنابلة، للقاضي ابن أبي يعلى الحنبلي، محمد بن محمد. (ت: ٤٥٨هـ)

١١١- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، للتميمي، تقي الدين عبد القادر. (ت: ١٠١٠هـ)

١١٢- طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي، عبد الوهاب بن علي. (ت: ٧٧١)

١١٣- طبقات الصوفية، للسلمي، أحمد بن الحسين بن محمد. (ت: ٤١٢هـ)

١١٤- طبقات الفقهاء الشافعيين، لابن كثير، إسماعيل بن عمر. (ت: ٧٧٤هـ)

١١٥- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد الهاشمي. (ت: ٢٣٠هـ)

١١٦- الطبقات الكبرى المسماة بـ لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، للشعراني، أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد. (ت: ٩٧٣هـ)

١١٧- طبقات المفسرين، للداودي، شمس الدين محمد بن علي. (ت: ٩٤٥هـ)

١١٨- العقد الفريد، لابن عبد ربه، أبي عمر أحمد بن محمد. (ت: ٣٢٨)

١١٩- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، لابن الملقن، عمر بن علي الأندلسي. (ت: ٨٠٤هـ)

١٢٠- عقلاء المجانين، لأبي القاسم النيسابوري، الحسن بن محمد بن حبيب. (ت: ٤٠٦هـ)

١٢١- عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان، للشمس الصالحي، محمد بن يوسف الدمشقي. (ت: ٩٤٢هـ)

١٢٢- عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم. (ت: ٢٧٦هـ)

١٢٣- غاية البيان ونادرة الأقران (شرح الهداية)، لأمير كاتب الأتقاني. (ت: ٧٥٨هـ)

١٢٤- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، للوطواط، محمد بن إبراهيم الكتبي. (ت: ٧١٨هـ)

١٢٥- غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، لابن عباد الرندي، محمد بن إبراهيم الحميري. (ت: ٧٩٢هـ)

١٢٦- الفائق في غريب الحديث، لجار الله الزمخشري، محمود بن عمر. (ت: ٥٨٣هـ)

١٢٧- فتح القدير للعاجز الفقير، للكمال ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد السيواسي. (ت: ٦٨١هـ)

١٢٨- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي، أبي الخير محمد بن عبد الرحمن. (ت: ٩٠٢هـ)

١٢٩- الفَرْق بين الفِرَق، لأبي منصور البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. (ت: ٤٢٩هـ)

١٣٠- الفروق، للقرافي، أحمد بن إدريس المالكي. (ت: ٦٨٤هـ)

١٣١- الفصول في الأصول، للجصاص، أحمد بن علي الرازي. (ت: ٣٧٠هـ)

١٣٢- فضائل القرآن، للإمام أبي عبيد القاسم بن سلّام. (ت: ٢٢٤هـ)

١٣٣- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت. (ت: ٤٦٢هـ)

١٣٤- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، للحجوي، محمد بن الحسن الفاسي. (ت:

١٣٧٦هـ)

١٣٥- الفهرست في تواريخ الأدباء، لابن النديم، محمد بن إسحاق.

١٣٦- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات اللكنوي، عبد الحي بن عبد الحليم. (ت: ١٣٠٤هـ)

١٣٧- القاموس المحيط (في اللغة)، للفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (ت: ٨١٧هـ)

١٣٨- القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي، للزين الحلبي، عمر بن أحمد بن علي. (ت: ٩٣٦هـ)

١٣٩- قضاة قرطبة، للخشني، محمد بن الحارث. المتوفى نحو سنة ٣٦١هـ

١٤٠- القند في ذكر علماء سمرقند، للنجم النسفي، عمر بن محمد. (ت: ٥٣٧هـ)

١٤١- القواطع في أصول الفقه، لأبي المظفر السمعاني، منصور بن محمد المروزي. (ت: ٤٨٩هـ)

١٤٢- قواعد الأصول ومعاقد الفصول، لصفي الدين البغدادي، عبد المؤمن بن كمال الدين الحنبلي. (ت: ٧٣٩هـ)

١٤٣- قوت القلوب، لأبي طالب المكي، محمد بن علي الحارثي. (ت: ٣٨٦هـ)

١٤٤- الكافي في شرح البزدوي، للحسام السغناقي، حسين بن علي. (ت: ٧٧٤هـ)

١٤٥- كتاب بيان خطأ من أخطأ على الشافعي، للبيهقي، أحمد بن الحسين. (ت: ٤٥٨هـ)

١٤٦- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعلاء الدين البخاري، عبد العزيز بن أحمد. (ت: ٧٣٠هـ)

١٤٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، الملا كاتب الجلبي. (ت: ١٠٦٧هـ)

١٤٨- كشف الغمة عن جميع الأمة، للشعراني، أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد. (ت: ٩٧٣هـ)

١٤٩- لب اللباب في تحرير الأنساب، للجلال السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (ت: ٩١١هـ)

١٥٠- لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري. (ت: ٧١١هـ)

١٥١- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (ت: ٨٥٢هـ)
١٥٢- لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله سبحانه وتعالى على الإطلاق.
١٥٣- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، كلاهما للشعراني، أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد. (ت: ٩٧٣هـ)
١٥٤- مالك بن أنس، لعبد الغني الدقر.
١٥٥- المبسوط، لشمس الأئمة السرخسي، محمد بن أبي سهل. (ت: ٤٩٠هـ)
١٥٦- المجالسة وجواهر العلم، للقاضي الدينوري، أبي أحمد بن مروان المالكي. (ت: ٣٣٣هـ)
١٥٧- مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، لداماد آفندي، عبد الله بن محمد.
١٥٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر. (ت: ٨٠٧هـ)
١٥٩- المجموع شرح المهذب، للنووي، يحي بن شرف. (ت: ٦٧٦هـ)
١٦٠- محاسن الإسلام، للزاهد العلاء، محمد بن عبد الرحمن البخاري. (ت: ٥٤٦هـ)
١٦١- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصبهاني، الحسين بن محمد بن المفضل. (ت: ٥٠٢هـ)
١٦٢- المحصول، للفخر الرازي، محمد بن عمر. (ت: ٦٠٦هـ)
١٦٣- محمد بن إدريس الشافعي، لعبد الغني الدقر.
١٦٤- المحيط الرضي، لرضي الدين السرخسي، محمد بن محمد. (ت: ٥٧١هـ) (مخطوط)
١٦٥- المختار من مناقب الأخيار، للمجد ابن الأثير، أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري. (ت: ٦٠٦هـ)
١٦٦- مختصر طبقات الفقهاء، للنووي، أبي زكريا يحي بن شرف. (ت: ٦٧٦هـ)
١٦٧- المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، لابن الحاج، أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي. (ت: ٧٣٧هـ)
١٦٨- المدخل المفصل إلى فقه أحمد بن حنبل، لأبي زيد، بكر بن عبد الله.

١٦٩- المسالك والممالك، لأبي عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز. (ت: ٤٨٧هـ)

١٧٠- المستطرف في كل فن مستظرف، للشهاب الأبشيهي، محمد بن أحمد. (ت: ٨٥٠هـ)

١٧١- مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن الجارود. (ت: ٢٠٤هـ)

١٧٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل. (ت: ٢٤١هـ)

١٧٣- مشكاة المصابيح، للخطبيب التبريزي، ولي الدين محمد بن عبد الله. (ت: ٧٤١هـ)

١٧٤- مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول، أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي الوهراني. (ت: ٥٦٩هـ)

١٧٥- معارف السنن شرح جامع الترمذي، للبنوري، محمد يوسف بن محمد زكريا الحسيني. (ت: ١٣٩٧هـ)

١٧٦- معلم السنن شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان الخطابي، حمد بن سليمان. (ت: ٣٨٨هـ)

١٧٧- معجم البلدان، لياقوت الحموي، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. (ت: ٦٢٦هـ)

١٧٨- المعجم الكبير، للطبراني، سليمان بن أحمد. (ت: ٣٦٠هـ)

١٧٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي.

١٨٠- المغني في شرح الخرقي، لابن قدامة الحنبلي، موفق الدين عبد الله بن أحمد. (ت: ٦٢٠هـ)

١٨١- المغني في ضبط أسماء الرجال، لمحمد طاهر بن علي الهندي. (ت: ٩٨٦هـ)

١٨٢- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد. (ت: ٩١١هـ)

١٨٣- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبري زاده أحمد بن مصطفى.

١٨٤- مقامات الحريري، أبي محمد القاسم بن علي البصري. (ت: ٥١٦هـ)

١٨٥- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. (ت: ٨٠٨هـ)

١٨٦- المقفى الكبير، للتقي المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر. (ت: ٨٤٥هـ)

١٨٧- مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (ت: ٧٤٨هـ)

١٨٨- مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي. (ت: ٥٩٧هـ)

١٨٩- مناقب الإمام الأعظم، للملا علي القاري. (ت: ١٠١٤هـ)

١٩٠- المنتقى شرح موطأ مالك، لأبي الوليد الباجي، سليمان بن خلف المالكي. (ت: ٤٩٤هـ)

١٩١- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، للعليمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد المقدسي. (ت: ٩٢٨هـ)

١٩٢- منهل الواردين من بحار الفيض على ذخر المتأهلين في مسائل الحيض، لابن عابدين الشامي، محمد أمين بن عمر. (ت: ١٢٥٢هـ)

١٩٣- الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي المالكي. (ت: ٧٩٠هـ)

١٩٤- مواكب الضياء من رياض العلماء، للدكتور سيد بن حسين العفاني.

١٩٥-الموسوعة الجغرافية، للدكتور سليم إلياس.

١٩٦- الموسوعة العربية الميسرة، للجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية في رئاسة الدكتور محمود محمد محفوظ.

١٩٧- موضح أوهام الجمع والتفريق، للخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت. (ت: ٤٦٢هـ)

١٩٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، محمد بن أحمد. (ت: ٧٤٨هـ)

١٩٩- الميزان الكبرى الشعرانية، للشعراني، أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد. (ت: ٩٧٣هـ)

٢٠٠- النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير، لأبي الحسنات اللكنوي، عبد الحي بن عبد الحليم. (ت: ١٣٠٤هـ)

٢٠١- نثر الجواهر والدرر في أعيان القرن الرابع عشر، للدكتور يوسف المرعشلي.

٢٠٢- نظم الجامع الكبير وشرحه، للنسفي، أحمد بن أبي المؤيد المحمودي، المتوفى نحو سنة ٥١٥هـ (مخطوط)

٢٠٣- نفائس الأصول في شرح المحصول، للقرافي، أحمد بن إدريس. (ت: ٦٨٤هـ)

٢٠٤- نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب، لأبي العباس التلمساني، أحمد بن محمد. (ت: ١٠٤١هـ)

٢٠٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، مجد الدين المبارك بن محمد. (ت: ٦٠٦هـ)

٢٠٦- النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، لابن أبي زيد القيرواني، عبد الله بن عبد الرحمن المالكي. (ت: ٣٨٦هـ)

٢٠٧-نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لبابا التنبكتي، أحمد بن أحمد. (ت: ١٠٣٦هـ)

٢٠٨- هدية العارفين أسماء وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، ابن محمد أمين الباباني. (ت: ١٣٣٩هـ)

٢٠٩- الوافي بالوفيات، لابن ايبك الصفدي، صلاح الدين خليل. (ت: ٧٦٤هـ)

٢١٠- الوجيز في شرح الجامع الكبير، للجمال الحصيري، محمود بن أحمد. (ت: ٦٣٦هـ) (مخطوط)

٢١١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، أبي العباس أحمد بن محمد. (ت: ٦٨١هـ)

٢١٢- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. (ت: ٤٢٩هـ)

فهرس المحتويات

خطة العمل في التعليق والتهميش........ ٣
خطبة الكتاب........ ٦
التمهيد........ ٨
المبحث الأول: في فضل العلم والتعلم والتعليم........ ٨
حقيقة العلم الذي هو منبع هذه الخيرات........ ١٢
المبحث الثاني: في وجوب تعظيم أهل العلم والتحذير........ ١٣
المبحث الثالث: في الإخلاص لله تعالى في طلب العلم والحث على العمل به........ ١٥
المبحث الرابع: في آداب المعلم........ ٢١
آداب المعلم في نفسه........ ٢٢
آداب المعلم نحو تلاميذه........ ٢٧
آداب المعلم في درسه........ ٣٠
المبحث الخامس: في آداب المتعلم........ ٣٤
آداب المتعلم في نفسه........ ٣٤
آداب المتعلم مع شيخه........ ٤٢
المبحث السادس: في آداب مشتركة بين المعلم والمتعلم........ ٤٨
تذنيب: في الآداب مع الكتب والحث على تحصيلها........ ٥٥
الفصل الأول: في معنى الفقه وحكمه التكليفي وما يتصل بذلك........ ٥٨
المبحث الأول في معنى الفقه لغة وشرعا وموضوعه وغرضه ومأخذه........ ٥٨
المبحث الثاني........ ٦١
المطلب الأول: في حكم الفقه التكليفي........ ٦١
المطلب الثاني: في ضرورة الفقه وعظمته........ ٦١
المبحث الثالث........ ٧٣

المطلب الأول في شروط التفقه في الدين وما لا بد منه........................ ٧٣
تنبيه.. ٧٤
المطلب الثاني: في فوائد التخصص في الفقه وثمراته........................ ٧٥
المطلب الثالث: في آداب مطالعة الكتب الدينية............................ ٧٦
الفصل الثاني.. ٧٨
المبحث الأول: في شهادة أئمة الأمة بإمامة إمام المسلمين أبي حنيفة ﷺ وعلمه وفقهه وتقواه........... ٧٨
من شيوخ الإمام ﷺ.. ٩٠
من أصحاب الإمام ﷺ... ٩٣
المبحث الثاني: في شهادات أئمة الأمة للإمام أبي يوسف القاضي................ ٩٧
المبحث الثالث: في شهادات أئمة الأمة للإمام محمد بن الحسن.................. ١٠١
من الكتب المصنفة في مناقب الإمام وأصحابه................................ ١٠٨
إيقاظ في توضيح معنى الرأي وأهله... ١١٠
الفصل الثالث.. ١١٦
المبحث الأول: في مراحل تدوين الفقه الحنفي وحلقات........................ ١١٦
المرحلة الأولى: مرحلة الإمام وأصحابه ﷺ.................................... ١١٧
المرحلة الثانية: مرحلة كتب الإمامين محمد بن الحسن.......................... ١٢٨
المرحلة الثالثة: مرحلة الواقعات والنوازل.................................... ١٣٤
المرحلة الرابعة: مرحلة الجمع والتلخيص والشرح.............................. ١٣٥
ممن اختصر كتاب الأصل وغيره من كتب الأصول.............................. ١٣٥
من شروح الأصل... ١٣٦
من شروح الجامع الصغير.. ١٣٧
من ترتيبات الجامع الصغير... ١٤٠
من منظومات الجامع الصغير.. ١٤١
من شروح الجامع الكبير... ١٤٢

من مختصرات الجامع الكبير ١٤٦
من منظومات الجامع الكبير ١٤٧
من شروح الزيادات ١٤٧
من شروح زيادات الزيادات ١٤٨
من شروح السير الكبير ١٤٨
من المتون والمختصرات في المذهب ١٤٩
من جمع بين متنين فصاعدا ١٥٤
من الجوامع الكبار ١٥٥
من الفتاوى ١٥٥
المبحث الثاني: في طبقات الفقهاء ١٥٨
استدراكات على تقسيم ابن كمال باشا ١٦٠
طبقات الأمة الضعيفة ١٦١
تتمة: في شمول الفقه لجميع الجهات من الحياة الإنسانية ١٦٤
الفصل الرابع ١٦٦
المبحث الأول: في شهادات أئمة الأمة لإمام دار التنزيل مالك بن أنس رحمه الله ١٦٦
من شيوخ مالك رحمه الله ١٦٩
حملة الفقه عن مالك رحمه الله ١٧١
من الكتب المؤلفة في سيرة مالك ومناقبه ١٧٣
المبحث الثاني: في مراحل تدوين الفقه المالكي ١٧٤
المرحلة الأولى: مرحلة الأمهات والدواوين ١٧٤
المرحلة الثانية: مرحلة توابع الأمهات ١٧٥
المرحلة الثالثة: مرحلة استقرار المذهب ١٧٦
المرحلة الرابعة: مرحلة مختصر خليل وشروحه ١٧٦
الفصل الخامس ١٨١

المبحث الأول: في شهادات أئمة الأمة للإمام الشافعي رحمه الله ١٨١
من مشايخ الإمام الشافعي رحمه الله ١٨٤
من الكتب المصنفة في سيرة الإمام الشافعي رحمه الله ١٨٥
المبحث الثاني: في مراحل تدوين الفقه الشافعي رحمه الله ١٨٦
المرحلة الأولى: مرحلة المذهب القديم ١٨٦
المرحلة الثانية: مرحلة المذهب الجديد ١٨٦
المرحلة الثالثة: مرحلة لواحق الأمهات من الجمع والبسط والاختصار والشرح ١٨٨
المرحلة الرابعة: مرحلة ترتيب المذهب ١٩٠
المرحلة الخامسة: مرحلة تحرير المذهب وتنقيحه ١٩٠
المرحلة السادسة: مرحلة لواحق كتب الشيخين ١٩٢
الفصل السادس ١٩٦
المبحث الأول: في شهادات أئمة الأمة للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ١٩٦
من مشاهير شيوخ أحمد بن حنبل رحمه الله ١٩٩
من أصحاب أحمد رحمه الله وحملة الفقه عنه ٢٠٠
ما صنف من الكتب في سيرة الإمام أحمد رحمه الله ٢٠٢
المبحث الثاني: في مراحل تدوين الفقه الحنبلي ٢٠٤
المرحلة الأولى: مرحلة كتب مسائل الرواية عن الإمام أحمد ٢٠٤
المرحلة الثانية: مرحلة الكتب الجامعة لمسائل أحمد ٢٠٤
المرحلة الثالثة: مرحلة المتون والمختصرات على رواية أو روايتين ٢٠٦
الفصل السابع: في بعض المصطلحات الفقهية المقارنة ٢١٣
المبحث الأول: في ما يتعلق من المصطلحات بذكر الرجال في الفقه ٢١٣
المبحث الثاني: في ما يرجع منها إلى الأحكام التكليفية وما يتعلق بها ٢٢٢
المبحث الثالث: في ما يرجع منها إلى التعليل والتدليل والتصحيح والترجيح في الفقه ٢٢٦
تنبيه ٢٣٠

الفصل الثامن.. ٢٣١
المبحث الأول: في وجوه الاستدلال من النصوص.. ٢٣١
المبحث الثاني: في علل الأحكام.. ٢٣٣
المبحث الثالث: في القياس الشرعي.. ٢٣٤
المبحث الرابع: في الاستحسان.. ٢٣٥
إيقاظ: هل الاستحسان الذي اعتبره الحنفية هو الحكم بالتشهي؟........................ ٢٣٧
المبحث الخامس: في العرف والاحتياط والاستصحاب.................................... ٢٤٠
العرف - العادة - التعامل.. ٢٤٠
حجية العرف.. ٢٤١
هل تعتبر كل الأعراف والعادات في الشرع الشريف؟.................................... ٢٤٢
الدين كامل مكمل... ٢٤٣
نموذج من القواعد الفقهية المبنية على العرف.. ٢٤٤
الاحتياط.. ٢٤٥
الاستصحاب.. ٢٤٦
شبهة وإزالتها... ٢٤٦
الفصل التاسع: في التعريف بصاحب الهداية الإمام المرغيناني......................... ٢٤٨
المبحث الأول: في اسمه ونسبه ومولده ووفاته... ٢٤٨
المبحث الثاني: في طلبه العلم.. ٢٤٨
المبحث الثالث: في منزلته بين فقهاء المذهب في الفقه................................ ٢٤٩
المبحث الرابع: في مشايخه.. ٢٥١
المبحث الخامس في تلاميذه.. ٢٥٦
المبحث السادس: في كتبه وآثاره الباقية... ٢٥٨
الفصل العاشر: في التعريف بكتاب الهداية.. ٢٦٠
المبحث الأول: في كتاب الهداية ومكانته في المذهب.................................... ٢٦٠

المبحث الثاني: في الكتب المصنفة على الهداية ٢٦٣
من شروح الهداية وحواشيها ٢٦٣
من مختصرات الهداية ٢٦٧
من الكتب المخرجة لأحاديث الهداية ٢٦٧
المبحث الثالث: في بعض ملامح منهج سيدنا المرغيناني في الشرح ٢٦٩
المطلب الأول: في منهجه في تحرير المسائل وأسلوبه في التعليل والتدليل ٢٦٩
المطلب الثاني: في بعض مصطلحاته واختصاراته ٢٧٤
المطلب الثالث: في التعريف بديار ماوراء النهر وما أخرجت من فقهاء مذهب أبي حنيفة البحر ٢٧٧
أهل ما وراء النهر ومبادرتهم إلى الخيرات ٢٧٧
ما أنبتت أرض ما وراء النهر من الرجال العظام ٢٧٨
من فقهاء بخارى ٢٧٩
من فقهاء سمرقند ٢٨٢
من فقهاء فرغانة ٢٨٦
من فقهاء نسف ٢٨٧
من فقهاء شاش ٢٨٨
من فقهاء سغد ٢٨٨
من فقهاء ترمذ ٢٨٨
من فقهاء أسروشنة ٢٨٩
من فقهاء إسبيجاب ٢٨٩
من فقهاء سرخس ٢٨٩
من فقهاء بلخ ٢٩٤
إزالة شبهة الشيخ شهاب الدين المرجاني ٢٩٦
الخاتمة في بيان المنهج الذي انتهجه الشيخ الوالد في درس الهداية ٢٩٩
على ثنيات الوداع ٣٠٢

قائمة المصادر والمراجع.................... ٣٠٤
فهرس المحتويات.................... ٣١٧